حمود عبدالله الأهنومي



مذبحة حجاج اليمن
في تنومة وسدوان
على يد عصابات ابن سعود
عام ١٩٢٣م



صنعاء | ١٤٣٩هـ

حمود عبدالله الأهنومي

مجزرة الحجاج الكبرى

مذبحة حجاج اليمن في تنومة وسدوان

على يد عصابات ابن سعود عام ١٩٢٣م



صنعاء ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com

تصميم الغلاف

محمد حسان الشامي



البريد الإلكتروني : Zmagls5@gmail.com

الموقع الإلكتروني : www.zaidiah.com

قنـــاة التلقـــرام : https://t.me/zmagls

الفيســـــــــبوك: www.facebook.com/AlMaglisAlZZaidiAlEslami


بسم الله الرحمن الرحيم

تنويــه

نظـرا لأهميـة التوثيـق لأسمـاء الشـهداء والنـاجين في تلـك المجـزرة، ولقـرب حلـول المئويـة الأولى لـذكرى استشـهادهم في ذي القعدة ١٤٤١هـ، فإن الباحث يدعو كل من يعلم أي معلومة عن أي شهيد أو ناج منها أن يرسل بها عبر العناوين التالية:

الإيميل: Hamoodalahnomi1@gmail.com

رقم التلفون والتلقرام والواتساب:

٧٧٧٢٥٣٥١٢

شكر

أشكر كل من ساهم معي في هذا العمل المبارك.

وأخص بالذكر المجلس الزيدي الإسلامي ممثلا في رئيسه السيد العلامة محمد قاسم الهاشمي، ونائبيه السيد العلامة عبدالمجيد الحوثي، والسيد الأستاذ عبدالله هاشم السياني.

وأشكر المركز الوطني للمعلومات ممثلا في الأستاذ علي أبو الرجال، ومؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ومركز بدر العلمي.

والشكر أيضا للسيد الأستاذ علي محمد يحيى الذاري والسيد العلامة عبدالرحمن حمود الوشلي، وسيدنا العلامة عبدالله الحاضري، والسيد العلامة محمد عبدالله الهادي ، والأستاذ العلامة فتح الله السماوي.

وللجميع المحبة والتقدير..

المقدمة

سبب اختيار هذا الموضوع

في منتصف ليلة الـ٢٦من مارس ٢٠١٥م أيقظتنا أصواتُ الانفجارات العنيفة وهزّات القصف المكثف على أنحاء مختلفة من مدينة صنعاء، ولما هُرِعت إلى النت لأتعرف على هذه الحادثة الغريبة إذا بإعلان بداية العدوان ينطلق من واشنطن على لسان سفير السعودية هناك، بدعوى إعادة الشرعية، وفي الصباح حملَتِ الأنباءُ أخبارَ مجازر وحشية طالت حيَّ بني حوات في شمال صنعاء، ثم توالتِ المجازر بشكل يومي ووحشي وعلى نحوٍ فظيع، وسرعان ما انبعثت أصوات دعاة ووعاظ البلاط السعودي الأمريكي بتبرير تلك الجرائم بكون اليمنيين مجوسا، وروافض، ومنحرفين، وضالين، وهمُ هم الذين لم يطل بنا وإياهم العهد وهم يصرخون بالثناء على هؤلاء اليمنيين وأنهم أهل الإيمان والحكمة، ومهد العروبة، ومدد الإسلام.

لم تطُلِ الغرابة لديَّ من هذا العدوان، بحكم المعرفة التاريخية بجرائم هذا الكيان، وبطبيعة المهمة والدور الموكَلَيْنِ إليه من مشغِّله البريطاني أولا، ثم الأمريكي لاحقا، حتى أنني في وسائل النقل العام

وبعض التجمعات كنت أطرح أن هذه الجرائم التي يرتكبونها ليست جديدة عليهم؛ إذ يجب أن نتذكّر جميعا مجزرة تنومة ضد الحجاج، وأن هذه المجازر التي نراها بشكل يومي في صنعاء وغيرها قد بدأت من ذلك اليوم المشؤوم، غير أن المصيبة كانت في أن معظم اليمنيين الذين أصادفهم لم يكونوا يعرفون شيئًا عنها.

كانت مجزرة (تنومة وساق الغراب) قد علِقت في ذهني منذ صغري بحكم حديث والدي حفظه الله عنها، وهو الشغوف بالتاريخ، وفي عام ٢٠١٢م لما حاولَتِ السعودية تلافيَ انفراطِ عِقد السلطة الموالية لها في اليمن في ما سمي بالمبادرة الخليجية، كان الثوار اليمنيون في مواقع التواصل الاجتماعي وبالأخص الفيسبوك وفي المنشورات الورقية الثورية، يتناولون خطر السعودية على اليمن، وكانوا يذكِّرون بين الحين والآخر بعدوانِها على الحجاج في تنومة.

خلال ٢٠١٤م كتبْتُ منشورا على الفيسبوك عن جرائمِ السعودية بحقِّ الحجاج اليمنيين، قلت فيه: "آلاف الحجاج اليمنيين تمّ قتلُهم بدمٍ باردٍ من قبلِ جنود الملك عبدالعزيز الوهابية في ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ .. مجزرة يكاد أن ينساها التاريخ ولا تجد لها إلا ذكرا يتيما"، ثم أوردتُ بعضا من تفاصيل تلك المذبحة، وبعض

الردود على الرواية النجدية حولها.

في الأشهر الأولى من العدوان السعودي الأمريكي على اليمن استشعرتُ ضرورة إنجازِ بحث تاريخي عن هذه المجزرة الموءودة ، تأصيلا لفظاعة ووحشية المعتدين تاريخيا ، وبالفعل بدأتُ بجمع المعلومات ، ولكن صعوبات انعدام الكهرباء وكثافة القصف وإغلاق المكتبات أعاقتني إلى حدٍّ ما ، وهذه كروت المعلومات تذكِّرني هوامشُ بعضِها بأنني كنت قد كتبتُها ساعةَ قصف العدوان بالقرب من مسكَنِنا ، وأنني كنتُ أكتُبُها وطفلي الحسينُ (٥ سنوات) يَرْتَعِشُ من الخوف في حضني ، حيث كان لا يأمن إلا فيه ، وكانت تجتاحني موجة شعور واحدة إزاء مرتكب جريمة تنومة وجرائم ٢٠١٥م.

وخلال عملية جمع المعلومات اكتشفتُ أنها قضية موءودة، وذات مظلومية عظيمة، ليس من جهة المعتدين الذين أبادوا الشهداء بدمٍ بارد ظلما وعدوانا، ولكن منا نحن اليمنيين الذين شاركنا في دفن القضية أيضا ثقافيا وتاريخيا وتربويا بقصدٍ وبغير قصد.

كتبتُ خلال ٢٠١٥م و٢٠١٦م مقالات منشورة حولها، منها: (اليمن والسعودية بين مجزرة تنومة ١٩٢٣م ومجازر ٢٠١٥م)، و(مجزرة تنومة الموءودة تحت المجاملات السياسية)، و(مجزرة تنومة بداية مجازر آل سعود)، و(مجزرة تنومة .. جرسٌ مبكِّر

للعدوان)، و(مرثاة السيد العلامة يحيى بن علي الذاري لشهداء تنومة)، و(العدوان السعودي على حجاج بيت الله الحرام)، وغيرها، كما شاركتُ بعددٍ من البرامج التلفزيونية والإذاعية حول تلك المجزرة.

كنتُ بعدها مدفوعا باعتقادي أهمية أن يعلَمَ كلٌّ اليمنيين بهذه المجزرة من أجل تكوينِ وعيٍ عميقٍ عن طبيعة هذا العدوان القائم، وأن يكون هذا الوعي جزءا من المواجهة الاستراتيجية لهذا الكيانِ المتوحِّش، وهو الأمر الذي شاطرني فيه كثير من الإخوة والزملاء، وعلى رأسهم أستاذنا الكاتب الكبير محمد المقالح الذي حثني كثيراً على إنجاز هذا البحث.

قُدِّر لتلك الكتابات والبرامج مني ومن كتَّابٍ وإعلاميين آخَرين أن تشارِك في رسم دائرة ضوء جيدة في الوعي اليمني، لكنها لم تكن بالقدر الكافي، وكان من الأهمية بمكان أن شاطرنا الرئيسُ الأسبق علي عبدالله صالح في لقائه مع قناة الميادين في ١٣/ ١٠/ ٢٠١٥م بذكره المجزرة دليلا على حقد السعودية على اليمنيين منذ وقتٍ مبكِّر، على رغم أنه كان على رأسِ سلطةٍ حجَبَت الضوءَ لمدة ٣٣ سنة عن تلك المذبحة.

إن هيمنة السعوديين — وهم رأسُ حَرْبَةِ الأمريكيين في المنطقة - على القرار السيادي والسياسي والتربوي والثقافي والاجتماعي في البلد طوال عقودٍ من الزمن كانت قد استفحلت بشكل مُرْعِب، إلى الحدِّ الذي جعل تناسي تلك المجزرة وغيرها من حوادث التاريخ النجدي الوهابي المشين من أهم الشروط التي يجب أن تتوفَّر في الأكاديمي والباحث والمؤرِّخ اليمني، وإلا فإنه سيُحْرَمُ من الحصول على امتيازاتٍ كثيرة، أقلُّها المشاركةُ في المؤتمرات العلمية، والتاريخية، وستَحْرِمه (دارة الملك عبدالعزيز) من كرَمها الحاتمي الذي توزِّع نوالَه على كل من يعملون معها في مغسلةِ تنظيفِ تاريخِه من الأوساخ والأقذار، والتي قليل منها يكفي لأن يلوِّث التاريخ الإنساني من أوله إلى آخره.

وقد أُفْصِحُ هنا عن شيءٍ قليلٍ مما كان يمارسه الملحق الثقافي السعودي والسفارة السعودية في اليمن، من ضغوطِ الترغيب والترهيب بحق المثقفين والمؤرِّخين والشعراء والأدباء والكتاب والصحافيين الذين لا يدورون في نفس الفلَك السعودي الوهابي، وهو أمرٌ كان معروفاً في تلك الأوساط؛ لهذا لا غرابة أن تُدْفَن تلك المذبحة إما بين غثاءِ أهلها، أو في أعماق أوجاعهم، وبطون تأوهاتهم.

إنها المذبحة التي لولا جهود الثوار اليمنيين وثورة الحادي والعشرين من سبتمبر المجيدة لما رأى هذا البحثُ عنها النور، ولما

سُمِح لأيٍّ منا بالتعبير عن آلامِنا العميقة وتلمُّس جروحنا الغائرة في جسد تاريخنا المعاصِر المثخَن بالآلام.

وهي أيضا المذبحة التي كانت تثيرُ فيَّ عدداً من الأسئلة: لماذا ارتُكِبَتْ بحقِّ حجاجٍ أبرياء؟ ما هي الدوافع السياسية وراء ارتكابها؟ وما علاقة الدول الاستعمارية بها؟ وكيف وقعت؟ وكيف نجا من نجا منهم؟ وماذا كان موقف الإمام يحيى وحكومته؟ وهل تم الاقتصاصُ والثأرُ من المجرمين؟ وهل تسلَّم أولياءُ الدم دياتِ ذويهم؟ وكيف كان أثرها على العلاقة السياسية بين البلدين؟ وغيرها من الأسئلة التي شكّلت وتشكِّل بمجملها مُشْكِلَ هذا البحث.

تلك إذن .. هي قصة أسباب اختياري لهذا البحث.

أهميته وأهدافه

أرى أن لهذا البحث العزيز لديَّ أهميةً بالغةً وأهدافا هامة ونتائج متوقعة، يمكن تلخيص بعضها في هذه النقاط:

-أنه أولُ بحث مستقِلٍّ حولَ هذه القضية الموءودة بحسب اطلاعي، وأنه سيفْتَحُ آفاقا أرحَبَ لباحثين آخرين، أو لطبعاتٍ جديدةٍ منه تتضمَّن معلوماتٍ أكثرَ لا سيما حول أسماء وتراجم شهداء تلك المجزرة، لا سيما حين تحل الذكرى المئوية الأولى للمجزرة بعد

٣ سنوات، عام ١٤٤١هـ إن شاء الله.

- تضمَّن معلوماتٍ هامة لم يسبِقْ تدوينُها، وكانت مجردَ رواياتٍ شفهية، أو متناثرة، كانت في طريقها إلى الموت بموت أصحابها، كما جرى على آخَرين ممن عايشوا المذبحة، ولكن وضعُ السلطة السابقة لم يسمَحْ لأيٍّ بالاستفادة من شهاداتهم ولا بتوثيقها.

- توصَّل إلى نتائج جديدة، بحيثيات مرجحة، وقرائن دالة، كان خلافها هو السائد والمشهور.

- سيفيد أبناء شعبنا الذين لا يعلمون لا قليلا ولا كثيرا عن هذه المجزرة، أو حُرِموا من التعرُّف على تفاصيلها.

- سيُصَحِّح النظرة ويعزز الوعي بخطورة هذا العدو، وطريقةِ تفكيره وتكفيره، ويؤصِّل لهذا القبح والإفحاش في الظلم والتعدي الذي نعايشه اليوم، ومن ثم سيهيِّئ النفوس والعقول للتعامُل مع هذا الخطر بما يلزم من المواجهة.

- سيفضح مرتزقة السعودية وأدواتِها وعملاءَها والمخدوعين بها في اليمن، كما سيشارك في فضحِ وُعَّاظها، ودعاتها، ومفتيها؛ لأن هذه الفئات هي أكثر مَن ستنزعج منه، ومن ثَمَّ يؤسِّس للتعامل

الصحيح مع كل هذه المنظومة التي تعاقَب على اليمن كيدُها ومكرُها الشيطاني.

- يبيِّن أصولَ وجذورَ داعش وتطبيقاتِها المتوحِّشة سابقا، ويُبرِهن للجميع من أيِّ فكرٍ ومنهجٍ وسلوكٍ وُلِدَتْ داعش والحركات التكفيرية الوهابية بفعلاتها الشنعاء والبشعة، وأننا مهما فتَّشنا عن جذورها فلن نجدها في أمة من الأمم، إلا في مدرسة قرن الشيطان النجدية الوهابية، ويبين أن ما أظهرته الصورة اليوم، كان قد أفصح عنه الفعلُ والقلمُ بالأمس، وأن أمسَ التكفير مثلُ يومه، وأن الغائب الوحيد بين الأمس واليوم هي الكاميرا فقط، كما يبيِّن طبيعة العلاقة بين أنظمة الاستكبار العالمي، وعملائهم من جهة، وبين هذه الحركات التكفيرية من جهة أخرى.

- إنه إذا كنا بحاجة إلى انتصار واستقلالٍ عسكري وأمني وسياسي، فإنه لا بد أن يرافق هذا انتصار ثقافي وتربوي وتوعوي يهيِّئ للاستقلال ويعززه، ولا يسمح بوجود قوى ناعمة ثقافية أو تربوية أو أكاديمية في أوساطنا تدين بالولاء لهذا الكيان التدميري، أو تنخدع به، أو تمارس دورَ التزيين و(المكيَجة) لوجه الشيطان القبيح.

- وبقدر ما يؤكِّد ضرورة الاستقلال السيادي والسياسي والتربوي

والثقافي لليمن، فإنه أيضا ينمّي وعيَ صُناعَ الاستراتيجيات السياسية والتربوية والثقافية في اليمن المنتصِر والناهضِ بتعزيزِ استيعابِ طبيعة الصراع الجاري بشكلِ أعمَق، وبالتالي بناء استراتيجياتهم على أساسٍ أقوى، بما يُمَكِّن من تصحيح مسار العلاقة مع هذا الكيان المزروع بالشكل الذي يخدِم حضارةَ اليمن الأصيلة وانتماءه الإسلامي المحمدي، ويستنهِض مقوِّماته الحضارية الطارِفة والتليدة.

- ويتلكأ البعض حول قبول مفهوم قرن الشيطان، ويزيغ عن التعامل مع مقتضاه، لكنَّ هذا البحث سيساهم في كشف معنى قرن الشيطان، الذي وردت نصوص الإسلام محذِّرة بخطورته.

الدراسات السابقة

لم أجِد - بحسب بحثي في فهارس الدراسات والكتب المتاحة وفي شبكة النت - بحثا مستقلا أُفرِد لتلك المجزرة بحثا وتعليلا وتفصيلا، بل ولا حتى مقالة أكاديمية واحدة، وإذا صدق هذا الافتراض المرجَّح فهو ليس ببعيدٍ عن الهيمنة السعودية على اليمن، ولتفادي الكثير من الباحثين والمؤرِّخين الوقوعَ في مرمى غضب مملكة قرن الشيطان.

وأمامي نماذج عديدة لدراساتٍ تاريخية في جامعة صنعاء يشمل

إطارها الزمني والمكاني والموضوعي تلك المجزرة، ولكنها مرَّت عليها مرورا عابرا وسطحيا أو متجاهلا أو متبنيا للرواية السعودية بقضها وقضيضها.

ولعلَّ أكثرَ من وقف مليا عندها هما شيخنا الدكتور سيد مصطفى سالم أستاذ التاريخ في جامعة صنعاء في كتابيه (مراحل العلاقات اليمنية السعودية)، و(تكوين اليمن الحديث)، والدكتور محمد عيسى صالحية في مقدّمته ودراسته لسيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين.

ذكر الأولُ بعضَ وقائعِ المجزرة وبعضَ أسبابها ونتائجها، ثم تتبَّع مدى حضورها في المفاوضات اليمنية السعودية، وبسط الثاني الحديث عن ملابساتها، وعن شيء من وقائعها، وأورد معلومات جيِّدة اطلع عليها من بحثٍ مخطوط من ورقتين، لكنه خلُص رحمه الله إلى بعض الاستنتاجات التي تتناقض وبعضَ الحيثيات التي أوردها هو بنفسه.

ويشبهُه إلى حدٍّ كبيرٍ عرْضُ الأمير محمد بن أحمد بن الحسين حميد الدين للوقعة، في كتابه القيِّم والرائع (الإمام الشهيد يحيى بن محمد حميد الدين)، الذي تبنَّى فيه جزئيا الروايةَ السعودية، واستنتج بعضَ الأمورِ التي لم تصِحّ تاريخيا، مثل تسليم ابن سعود

لديات الحجاج. وعذرُه أن ابن سعود وسِع أسرته الكريمة والأصيلة ببلاده وأمواله، يومَ ضاقت عليهم أرضُ آبائِهم وأجدادِهم بسبب لؤمِ النظام اليمني.

أما أبلغُ مَظاهرِ الهيمنةِ السعوديةِ فهو أن تلك المجزرة وُئِدَتْ تربويا وثقافيا، فلم يجرُؤْ أو لم يُجِزْ مؤلفو المناهج التربوية لأنفسهم أن يذكروها ولو عرضا، أو جبرَ خاطر لذوي الشهداء في أيٍّ من كتب الاجتماعيات، وللأسف فلا زال هناك من يقدِّس هذه المناهج التي أنتجت قطيعا كبيرا من حملة الشهادات العليا الذين ارتموا في أحضان هذه المملكة الشيطانية مرتزقةً مأجورين.

منهج البحث

سلك الباحث في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المعلومات وتفكيكها وتصنيفها ومقارنتها وتحليلها وكشف العلاقة بينها، وعرض النتائج التي تمَّ التوصل إليها، مع تحري الصدق والموضوعية.

هيكل البحث

اشتمل البحث على مقدِّمة، وسبعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في اليمن ونجد والحجاز قبل وقوع المجزرة.

الفصل الثاني: المـجـزرة من حيث الزمان والمكان والأسباب.

الفصل الثالث: فصَّل القول عن وقائع المـجـزرة، وناقش الرواية النجدية بالتفنيد والتبيين.

الفصل الرابع: رصد المواقف المختلفة إزاء المـجـزرة من كل من ابن سعود والإمـام يـحـيى والبلدان العربية والإسـلامية.

الفصل الخامس: الشـهـداء والناجـون وتراجم من ظفِر الباحث بتراجمهم منهم.

الفصل السادس: النتائج والآثار المترتِّبة على المـجـزرة، وكيف ساهمت في صنع بعض المتغيِّرات والتطورات السياسية والاجتماعية.

الفصل السابع والأخير: الأدب حـول المـجــزرة بنوعيه الفصيح والحميني.

الخاتمة: اشتملت على أهم الاستنتاجات والتوصيات.

مصادر البحث

عانى البـحـث من شحة المصادر، لا سيما في الوثائق الرسمية اليـمـنية، وهي ظاهرة خطيرة جدا، وإذا كان الجانب السعودي قد نشر عن العلاقة السعودية اليـمـنية كثيرا من الوثائق الرسمية بما يعزِّز من مواقفه وادعاءاته، فإن المركز الوطني للمعلومات وكذلك

الباحثون يشكون من شِحَّة وندرة الوثائق والسجلات التي تعود لذلك العهد، ولعلَّ اليد النجدية العابثة طالت هذه المصادر واستولت على كثير منها كما سيأتي في اعتراف أحدِ المسؤولين السعوديين.

ثم لاحقا ساهمت توجهات السلطة الموالية للسعودية في إهمال توثيق الروايات والشهادات الشفهية المعايِشة للحدث من شهود العيان، الذين نجوا من المجزرة، وشجَّعت عبر مراكز قوى موالية لقرن الشيطان البيئة الخانقة للأصوات التي بقيت حرة ومتمردة.

ومع ذلك فهناك من المصادر ما أفاد البحث منها أيَّما إفادة، ومنها تلك الروايات والشهادات الشفهية عن قليلٍ من شهود العيان الناجين من المجزرة.

ويدين البحث بالفضل للبحث المخطوط من ورقتين والذي ورد في مجموع أشعار ورسائل السيد العلامة يحيى بن علي الذاري في دار المخطوطات، ووردت فيه معلوماتٌ قيِّمة، وأرقامٌ محددة للشهداء، والناجين، وقيمة منهوباتهم، ويدل على أن كاتبه كان قريبا جدا من مصادر القرار اليمني.

وأفاد البحث من الوثائق التي أوردها صاحب المنار في مقالاته، وهي عبارة عن مراسلاتٍ بينه وبين الإمام يحيى، أو منشوراتٍ شبه رسمية تعبِّر عن لسان الحكومة النجدية أو اليمنية نقلها عن

صحفها الرسمية، واشتملت على تفاصيل ومواقف هامة.

كما أفاد البحث من كتاب (الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية) في العلاقة بين بريطانيا وابن سعود، وغيره من حكام الجزيرة، وفي الوثائق البريطانية وردت وثيقتان بتقريرين عن المجزرة، تعكِس فهمَ كتَّاب التقارير وانطباعاتهم عنها.

ولعلَّ أكثر المصادر التي أفاد منها البحث هو (كتيبة الحكمة) في سيرة الإمام يحيى حميد الدين، المطبوع تحت عنوان (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين)، لرئيس ديوان الإمام يحيى السيد العلامة عبدالكريم مطهر، حيث أورد تفاصيل دقيقة، ومعلوماتٍ واضحة، ورواياتٍ تنسجم مع بعضها، وتعود قيمة معلوماته إلى قربه من مصادر القرار اليمنية، وأنه أكثر المؤرخين المعاصرين توسُّعاً في ذكر المجزرة.

وأفاد البحث من مقالين وردا في جريدة القبلة المكية، وكانت لسانَ حكومة الشريف حسين في الحجاز، وقد تحدّثت عن الفاجعة في حينها بما يعكس الموقف الرسمي لحكومة الحجاز، وأوردت تفاصيل مهمة عن طريقة إبادة الوهابيين للحجاج وعن الناجين والقادمين إلى الحج منهم، وأي طريق سلكوا.

كما أفاد البحث من مخطوط نزهة النظر للمؤرخ السيد

العلامة محمد زبارة، في وقائع المـجـزرة، وتراجم الشـهـداء، وأمير الـحـــج، بخـــلاف مطبوعــه الــذي تــداولت عليــه أيــدي الحــذف والتمزيق، وغيَّبَتِ الكثيرَ مما يفيدُ في هذا الصدد.

وأفـاد البـحـــث مـن تـراجمِ العلمـاء الشـعـراء الإريـاني، والـذاري، والـحـجري، في كتاب هجر العلم ومعاقله في الـيـمـن للقاضـي إسماعيـل الأكوع، ونُبَذٍ وردت فيه عن مـجـزرة تـنـومة. وأفاد أيضا من كتابه الآخر (دروب الحـج) حيـث أودع فيـه قصـائد أولئـك الشـعـراء. كمـا أفـاد مـن مقدمـة الـرئيس الأسـبق عبـدالرحمن الإريـاني لكتـاب والـده (هدايـة المستبصرين) وفيها معلومات ذات قيمة تسلط الضوء على دوافع القتلة، وصدرت عن أحد أهم رجالات ذلك العهد.

والقصـائد اليـمـنية في رثـاء الشـهـداء بنوعيها الفصيح والحميني عكسـت الوجـدان اليـمـــني تجـاه تلـك المـجــزرة واختزلـت تفسـيرات الـيـمـنيين لها، واقترحت الطرق العملية لمواجهة مرتكبيها.

وأفاد البـحـث أيضا من كتـاب (رحلة في العربيـة السعيدة) للأسـتاذ نزيه العظم الذي عايَشَ الحدثَ، ومن خلاصة نتيجة بـحـثه عن سبب إبـادة أولئـك الـحـجــاج. كمـا أفـاد مـن كتـاب (ملـوك العـرب) لأمـين الريحاني، فيما يتعلَّق بالشِّق السياسي من أسباب المـجـزرة، ومن كتـاب

جون حبيب عن الإخوان الوهابيين وظروف نشأتهم وأدوارهم وطريقتهم العسكرية والحربية، وعلاقتهم بابن سعود.

ومن المراجع التي أفاد منها البحث بحث الدكتور عبدالرحمن الوجيه[1] (عسير في النزاع السعودي اليمني)، لا سيما في تفنيد الرواية السعودية وإظهار بواطلها، وكان سبّاقا في هذا الجانب، ومثله كتاب (كشف الارتياب) للسيد الأمين العاملي.

وحول الرواية السعودية للمجزرة فقد استُفيدَتْ من مجلة المنار، نقلا عن جريدة أمِّ القرى السعودية، وكذلك من كتُبِ مؤرِّخين سعوديين، وأبرزهم عبدالواحد دلال في كتابيه: (البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران)، و(مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية).

كلمة .. عن الحجاج والنجديين

كان للهيمنة النجدية أثرٌ بالغٌ في وأدِ تلك المجزرة، ودفنها في رمال النسيان، من خلال الهيمنة السافرة في القرار السياسي والتربوي والثقافي والأكاديمي في البلد، وبأدواتها المختلفة من الترغيب والترهيب، ورغم أن المجزرة كانت جرسا مبكرا يشير إلى

---

(١) باحث يمني حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة ، لكنه مات مع أسرته في حادثٍ في ظروف غامضة بعد تأليفه هذا الكتاب ونشره بشكل محدود، وبعد انتزاعه حكماً قضائياً بتمكينه من التدريس بجامعة صنعاء.

عدوانية هذا الكيان الشيطاني المتوحش (قرن الشيطان)، والذي نشاهد اليوم بعضا من مخرجاته في هذا العدوان القائم، إلا أننا لم نكن قد أعددنا العدة لمواجهته؛ حيث أُسْدِل الستار على تلك المجزرة في الواقع التعليمي والثقافي في البلد، فغاب معها الوعي العميق بأسبابها، وهذا يعني أنه في ظروف التحرُّر والاستقلال يجب إعداد العدة لذلك، وتنمية الوعي الوطني المستقل بهذه الأحداث حتى لا نُخْدَع مرة أخرى.

والسؤال الأهم الآن هو: أين تقع تلك المجزرة في النظرة السعودية الاستراتيجية للحج ؟ وأين موقعها في سيلِ الاعتداءاتِ السعودية على الحجاج بشكل عام؟ ولماذا لم يخلُ عامٌ من كثير من الأعوام إلا وفيه اعتداءات أو عدوان أو إهمال وتقصيرٌ نتج عنه مجازرُ كبيرة وقتلُ المئات والآلاف من حجاج بيت الله الحرام؟

إن الذي يظهر أن دور السعودية (قرن الشيطان) الاستراتيجي المنوط بها منذ إنشائها على يد المستعمِرين الغربيين يقوم على استراتيجية إفراغ الحج عن محتواه، وأهدافه، وغاياته، من خلال قتل الحجاج المسلمين، أو الإهمال المتعمَّد المؤدِّي إلى موتهم، ومن ثم تعزيز الشعور النفسي والتربوي لدى عامة المسلمين بالسخط وعدم الأمان والإحباط.

وكـذلك مـن خـلال صـد المسلمين عـن الحـج، أو منـع الحـج عـن تأديـة دوره في تقريـر وحـدة المسـلمين وتـوجيههم نحـو قضـاياهم المصـيرية، والتنديـد بسياسـات المسـتكبرين، وإذا كـان الـحـج في الأسـاس هـو المـؤتمر الأعظـم للمسـلمين سياسـيا ووحـدويا وثقافيـا واجتماعيا، فإنهم قد سخَّروا منـابر الحـرمين - التـي لهـا قدسيتها في قلوب الـمـسـلـمين - لتحقيق أهـداف ذلـك المشـروع الاستعماري، حيث حوَّلوا هذا المؤتمرَ الأعظم من مـؤتمرٍ لوحـدة الـمـسـلـمين إلى مـؤتمَرٍ للتفريـق بينـهم، وتكفيرِهـم، وتضـليلِهم وتبـديعهم، وقتلـهم، وإضفاءِ المشروعية على جرائمهم.

وأما التفريق والتمزيق للمسلمين من قبل شيوخ الدين الوهـابيين فقـد أصـاخوا بـذلك سمـع هـذا العـالمِ كلـه بنعـيقهم وأصـواتهم، ولكنـهم صـم بكـم عـن المعتـدين في فلسـطين والعـراق وغيرهـا مـن بلدان الـمـسـلـمين.

وهـاهم اليـوم ومنـذ عـام ٢٠١٥م وهـم يصـدون حـجـاج الـيـمـن عـن فريضـة الـحـج، وكـذلك منـذ ٢٠١١م وهـم يصـدون الـحـجـاج السـوريين عنـه، وفي العـام المنصـرم ١٤٣٨هـ منعـوا وسيَّسـوا حـج القطـريين، وخـلال نوبـات مختلفـة تعـرَّض الـحـجـاج المصـريون والـحـجـاج الأتراك للمنع، وعقب أزمة لوكربي بين أمريكا وليبيا في التسعينات تمَّ منعُ الـحـجـاج الليبـيين مـن الـحـج بضغوط أمريكيـة

وبريطانية وفرنسية على حد قول العقيد معمر القذافي؛ الأمر الذي دفعه لاتخاذ قرارٍ أخْرَق قضى بتوجيهِ بعض الليبيين إلى السياحة إلى المسجد الأقصى المحتل، وأعلنت إسرائيلُ ترحيبَها بذلك.

وأما مجزرة الحجاج الإيرانيين في عام ١٩٨٧م فهي فضيحة مدوية، لم تتفوَّق عليها إلا مجازر ٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ بسبب إسقاط الرافعة في الحرم، ثم تسبُّب موكب ولي ولي العهد آنذاك محمد بن سلمان بتوجيه سيولٍ بشريةٍ منهم في اتجاهاتٍ متعاكسة في منى، أدَّى إلى تدافعهم ودعْسِ بعضِهم بعضا، والغاية أن يمرَّ سِربٌ طويلٌ من السيارات الفارهة يمتطيها أمير (مهفوف) لا يبالي بحياة الناس ولا بكرامتهم، ولكي يتم إظهار ابن نائف وزير الداخلية بمظهر العاجز عن القيام بمهماته في إدارة الحج، تمهيدا لعزله، وهو ما حصل لاحقا.

لم يخلُ عامٌ من الأعوام إلا وفيه مجزرة للحجاج، بدعاوى مختلفة، وأعذار باردة، ما عدا الأعوام التي حكم فيها الملك عبدالله بن عبد العزيز، فتميَّزت بالسلامة للحجاج، وهذا يثير أكثرَ من سؤال.

إن الصدّ عن المسجد الحرام يأتي في ذات السياق الذي تبذل فيه مملكة قرن الشيطان جهودا كثيفة وسعيا حثيثا لإفراغ الحج

من أهدافه وغاياته التي تمثل تجسيدا حيا للوحدة الإسلامية وللكيان العالمي الموحَّد حيث مؤتمر المسلمين السنوي، وتعزيز وعي الأمة، ومعالجة قضاياها المصيرية وبراءتهم - وهم في خِضم ذلك المشهد الأسطوري - من أعداء الله الذين يناقضون المشروع الإلهي في هذه الأرض، وسيستمر الوضع على هذا النحو ما دام هذا الكيان - الذي سماه الإسلام (قرن الشيطان) والمرتبِط بالاستعمار ومشاريعِه الهدامة والمفرِّقة - يُحكِمُ سيطرتَه على ذلك البيت الطاهر.

البيت الذي جعله الله للناس أمنا، وجعلهم فيه سواءً العاكفَ فيه والبادي، حيث لا شرعية أبدا لأيِّ إجراءٍ يتمُّ فيه منعُ أو عرقلةُ الحجاج من أيِّ مكانٍ قدموا؛ حيث جعل الله حق البادي - وهو النائي عن المسجد الحرام وممن ليس من أهله - مثل حق العاكف فيه، سواء بسواء.

وإذا قلَّب آلُ سعود صفحة التاريخِ القريبةَ، فربما استشعروا أنهم سيخرُجُون من الباب الذي دخلوا منه، فتحديدا في عام١٩٢٤م أشاع والدُهم عبدالعزيز أن حاكم الحجاز آنذاك الشريف الحسين بن علي قد صدَّ حجاج نجد من دخول مكة، فعقدوا مؤتمرا في الرياض حضره أعيانُ نجد ومطوِّعتها وقادتها، وقرَّروا وجوبَ

إعلانِ الجهاد ضدَّ مَنْ صدّ عن بيت الله الحرام، وبهذه الذريعة تمَّ لهم اجتياحُ واحتلالُ الـحـجاز والحرمين الشريفين.

نهايتهم في الحرمين الشريفين لن تكون أحسن من نهاية كفار قريش لمّا صدوا المسلمين بقيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة، فاعتبره القرآن خطيئة تُضارِع خطيئةَ الكفر، وموجِبا لإسقاط ولايتِهم الواقعية على البيت الحرام، بالإضافة إلى سقوط ولايتهم الشرعية أصلا، وسببا موجِبا لتعذيبهم من الله؛ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ الله وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الأنفال:٣٤]، واعتبره إلحادا ظالما يستحق صاحبُه عذابا أليما، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥].

إنه عندَ إغلاقِ أبوابِ البيتِ الحرام أمام القلوب التي تهوي إليه، يكون الله قد أذن لأوليائه المؤمنين بفتحه والدخول إليه آمنين؛ ألم يقلِ اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[الفتح: ٢٧]، لقد كان صدُّ الكفار للمسلمين عنه فتحا مبينا لمكة وللبيت الحرام على يد المسلمين.

في ظل هذا العدوانِ البشِع الذي يستهدِفُ الأطفالَ والنساءَ بالدرجة الأولى علينا أن نحُجَّ جميعا إلى جبهات العزة والشرف، ونلبس ثيابَ الرجولة، وننوي الإحرام بالجهاد المزلزِلِ المنتصِر لدماء شهدائنا في تنومة وغيرها، وأن نطوف مع الجيش واللجان الشعبية حيث ما طافوا، ونسعى بين صفا حاجاتهم، ومروة عُدَّتهم وعتادهم، وأن ننطلِقَ للمرابطة والوقوف مع الأبطال على صعيد الجبهات، وكلُّ الجبهات مشعرٌ حرام، ولا يصحُّ حجُّنا إلا بالمبيتِ والمرابطة فيها، ويجب أن نزدَلِف إلى الله بأن نجمع بين الجهادين جهاد المال وجهاد النفس، والكلمة والموقف، وأن نرمي في كل يومٍ معسكرات إبليسهم الرجيم، ومواقعَ شيطانهم النجدي بما يسره الله من زلزال٣، أو توشكا، أو سكود أو بركان، أو بما يبدعه اليمنيون، مما لا نعلمه من فصيلة (والقادم أعظم).

هذا هو حجنا الذي يجب أن نحُجَّه كلَّ عامٍ حتى النصر، بلا وداعٍ للجبهات، ولا كللٍ من المشاركة فيها، وعاقبة التخلف عن هذا الحج العظيم هو الوقوعُ في السخط الكبير، والعاقبة الأثيمة.

ستستمرُّ هذه المملكة في المضي في طريقِها الشيطاني في الصد عن الحج، وتسييس الحرمين الشريفين، وتوظيف قدسيتهما في الترويج للمشروع التمزيقي التدميري للأمة الذي يتّسق والمشروع

الأمريكي في المنطقة، وفي إفراغ الحج عن محتواه، ولكن عقابَ الله آتٍ عليهم لا محالة، تلك سنة الله وناموسه الحكيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ الله وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٣٤].

ما هو مطلوبٌ اليومَ من الشعوب الإسلامية أن تتحرّك لتحرير الحرمين الشريفين على يد أوليائه المؤمنين الذين رضيَهم أولياء على الحرمين الشريفين الذين يحقِّقون كونه (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً)، يأمنون فيه، ويؤمِّنون غيرهم، لا يخضعون للحسابات الضيقة ولا للضغائن السياسية، ولا للإملاءات الأمريكية، الذين بهم تتيسَّرُ منافعُ الحجاج وتتوفَّر أجواءُ الذكر والعبودية الخالصة للّٰه في تلك الأيام المعلومات التي يتهيَّأ فيها الحاج نفسيا وسلوكيا وعقليا واجتماعيا لإعادة ضبط نفسه على أساس المعايير الإلهية الفطرية، فطرة الله التي فطر الناس عليها، فيعودُ بعد حجه المبرور (كيومٍ وَلَدَتْه أمُّه) كما ورد في الأثر الشريف على صاحبه وآله أفضل الصلاة والسلام.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في اليمن ونجد والحجاز قبل المجزرة

قبل الشروع في تفاصيل مجزرة الحجاج في تنومة يحسُنُ إيقافُ القارئ على المشهد السياسي العام الذي كان عليه اليمن ونجد والحجاز لما لها من علاقة بالحدث المراد بحثه.

أولا: اليمن

خضع جنوبُه للاحتلال البريطاني منذ عام ١٨٣٩هـ وكان الإنجليز قد أنشأوا إماراتٍ وسلطناتٍ في ما كان يسمى بالجنوب العربي، كانت تدين لهم بالولاء والطاعة، مقابل التزاماتٍ مادية ومعنوية يتقاضاها أولئك الأمراء والسلاطين.

وأما في شماله فقد بُويِعَ الإمام يحيى حميد الدين إماما بعد وفاة والده الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، في شهر ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وكان قد وُلِد في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، ونشأ في صنعاء، وأخذ العلم عن والده وعلماء عصره[١].

(١) الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ط٢، ١٩٨٤م، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ص٢٢٩- ٢٣٠.

كان معظم شمال اليمن يرزح تحت الاحتلال العثماني، ولكنَّ ثورات اليمنيين بقيادة الأئمة، وعلى رأسهم الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ثم ابنه الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد - زعزعت كيانَ الاحتلال، وألحقت بالأتراك خسائرَ فادحة اضطرَّتهم لعقدِ صلحِ دعَّان عام ١٩١١م، والذي بموجَبه انتزع الإمام يحيى اعترافَ الخلافةِ العثمانية بزعامته الروحية والسياسية والثورية لليمنيين.

لكن هزيمة الأتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) هي التي عجَّلت بخروجهم من اليمن، فأُعلِن استقلالُه، ودخل الإمام يحيى صنعاء في صفر ١٣٣٧هـ/ نوفمبر١٩١٨م[١].

في تلك الحرب كان الإمام قد وقف موقفا إسلاميا مشرِّفا، يحكيه القاضي الشماحي أحدُ المعارضين له بقوله: "ولكن الإمام يحيى كان أعمقَ القادة فكرا، وأشرفَهم موقفا، فوقف موقفَ الحياد، ولم يطعن الأتراكَ لا من الأمام ولا من الخلف التزاما منه باتفاقية دعان، وبأنهم مسلمون، يحاربون مستعمِرًا كافرًا (هم

(١) الجرافي، المقتطف، ص٢٣٧.

الإنكليـز وحلفـاؤهم)، ولم يقِـفْ بـه هـذا الاعتقـاد عنـد حـدٍّ المتاركَـة للأتـراك، بـل أمـدَّهم بالمـال، ولم يعـارِضْ مَـنْ أحـبَّ التطـوعَ مـن الـيـمـنيين للقتال معهم ضد الإنكليز"[1].

بعـد اسـتقرار الإمـام يـحيـى في صـنعاء ذهـب لإخضـاع وإصـلاح القبائل والمناطق اليـمـنية الأخرى، كلواء تعـز، ووصـابين وزبيـد، وكانـت بريطانيا قـد احتلت ميناء الحديدة في العام ١٣٣٧هـ، ثم سلَّمته في ٢٢ جمادى الأول ١٣٣٩هـ، الموافق ٣١ يناير١٩٢١م لحليفها السيد محمد بن علـي الإدريسـي حـاكم المخـلاف السـليماني[2]، ليشـتدَّ أوار المواجهـة بـين جيش الإمـام وعسـاكر هـذا المتغلِّب الإدريسـي في تهامـة، وقـد ردَّ الإمـام علـى تسـليم بريطانيـا للحديـدة إلى حليفهـا الإدريسـي باسـتعادة الضـالع والشعيب والأجعود[3].

كانت تهامة وبعض المرتفعات المُطلة عليها - من جنـوب الحديـدة جنوبـا إلـى القنفـذة شمـالا - تحـت حكـم السـيد محمـد بـن علـي الإدريسـي، وقـد سـلَّمته بريطانيـا ميناءَ الحديـدة مكافـأةً لـه على

(١) الشـماحي، عبداللـه عبدالوهاب، الـيـمـن الإنسـان والحضـارة، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، منشورات الـمـديـنة، بيروت، ص١٨٦.

(٢) الجرافي، المقتطف، ص٢٣٨.

(٣) الجرافي، المقتطف، ص٢٣٩.

خدماته لها في الحرب العالمية الأولى وبعدها، ونكايةً بخصمها اللدود الإمام يحيى الذي يَرْفَع شعارَ تحريرِ عدن ومحميات الجنوب بين الحين والآخر.

ومع ذلك فقد كانت هناك بعضُ الاضطرابات والتمرُّدات في مناطق حكم الإمام يحيى؛ إذ أرسل في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م سيفَ الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين "لإتقان أمور لواء إب"، وأرسل في نفس السنة الأميرَ علي بن عبدالله الوزير لإخماد فتنة في حُبَيش، والمقاطر[(١)].

كما يبدو أن بعضا من أعوان الإمام يحيى ورفقاء دربه في جهاد الأتراك تخلَّوا عنه، أو سجَّلوا امتعاضهم ضد بعض سياساته لا سيما بعد دخوله صنعاء؛ فهذا القاضي عبدالوهاب الشماحي كان قد فارقه مغاضِبا له عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م منصرِفا إلى التدريس في ظفير حجة، ومثله فعل سيف الإسلام أبو نيب محمد بن الهادي شرف الدين، حيث تفرَّغ في الأهنوم للدراسة والتدريس، وكذلك القاضي علي بن عبدالله الإرياني، بالإضافة إلى عدد من الشخصيات العشائرية والأمراء، بحسب رواية القاضي الشماحي[(٢)].

---

(١) مجهول، (لعله للعلامة يحيى بن علي الذاري)، بحث مفيد، ضمن مجموع فيه رسائل وأشعار العلامة يحيى بن علي الذاري، موجود في دار المخطوطات اليمنية، برقم٣٠٢١، ق ١١٣/ ب.

(٢) الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص١٩١.



خريطة اليمن والحجاز ونجد

وفي تلك الفترة حدَثَتْ أيضا عدةُ تمرُّدات ومشاكل داخلية، منها تمرُّد أميرِ حجة السيد يحيى بن ناصر شيبان، وأخيه محسن في حجة عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م[١]، وتمرد شيخ حاشد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، ثم فرار ابنه لاحقاً إلى ابن سعود، ومنها حركة السيد محمد بن علي الوزير في وادي السر ببني حشيش عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، والشيخ علي مطلق بهمدان صنعاء، وحركة بعض السادة آل النعمي عام ١٣٣٩هـ ضد عامل الإمام في الشرفين،

(١) الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص١٩١، ١٩٢.

وكذلك موالاة الشيخ أحمد الزيحي في الشرفين للإدريسي[١].

لقد كانت الفترة من عام ١٩١٨م إلى ١٩٢٣م أهمَّ وأخطرَ ما مرَّ على اليمن في تاريخها المعاصر، بسبب جسامة الحوادث التي تعرَّضَتْ لها البلاد، فالأخطار المُحْدِقة باليمن كانت عظيمة، والقوى المتربصة كانت كبيرة، ومعاول الهدم والتجزئة كانت مشحوذة، والباحثون عن الزعامة والمنافع كانوا متربِّصين بالإمام يحيى الدوائر[٢].

في الجانب الآخر وبعد خروج الأتراك من اليمن مباشرة، بعث كثيرٌ من مشايخ اليمن الأسفل وتهامة الرسائلَ والبعوثَ إلى المندوب السامي البريطاني في عدن، طالبين منه الدعمَ الفوري لمواجهة قوات الإمام يحيى الزاحفة إلى مناطقهم، وقد علَّق المندوبُ السامي في عدن على سيل الرسائل والبعوثِ المُرْسَلة إليه في هذا الشأن بقوله: "إن الحاصل في تلك المناطق من اليمن أن كلَّ

---

(١) الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص١٩٢، ١٩٤؛ ومطهر، عبد الكريم بن أحمد (ت١٣٦٦هـ)، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، تحقيق محمد عيسى صالحية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار البشير - عمَّان، ج٢، ٢٤٣.

(٢) حميد الدين، أحمد بن محمد بن الحسين، الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، دار المعارف، ج١، ص٢٧٦.

مقدم، وكلَّ عاقلِ حارة، وكلَّ شيخ يريد الاستقلال بنفسه، حيث وصله مندوبون لأكثر من ١٢ شيخا، وكلُّهم يطلبون الاستقلال والدخول تحت الحماية البريطانية". "وأوردت الوثائقُ البريطانية أسماءَ الكثير من أولئك المشائخ الذين فضَّلوا الإنجليز على الاندماج في دولة الوحدة" التي كان يسعى إليها الإمام يحيى[1].

ثانيا: الحجاز

ويضم الحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وكان يتولى أمره الأشراف، وآخرهم الشريف حسين بن علي، ابن عون، الذي ولد سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، وعند اشتعال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م اتصل به البريطانيون؛ إذ كان ينقِم على الأتراك، فثار عليهم في الحجاز، وأمدَّه الإنجليز بالسلاح والمال، ووعدوه بتمليكِه على العرب، لكنهم تملَّصوا عن وعودهم له، وذهبوا - حتى قبل أن تنتهي الحرب - ليقتسموا بلاد العرب مع الفرنسيين فيما بينهم، فيما سمي باتفاقية سايكس بيكو.

في عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م بعث الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز وفدا إلى الإمام، فردَّ عليه الإمام بإيفاد وفدٍ يمني مماثل،

(١) حميد الدين، الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، ج١، ص٢٨٢.

مع قصيدةٍ غرّاء تدعو إلى الوفاق بين الأمة العربية[(١)]، ثم وفد على اليمن الرحالة العربي أمين الريحاني وصاحبه قسطنطين يني[(٢)]، وقد حملا معهما رسالة من الشريف حسين بشأن عقد اتفاقية تعاونٍ تحت شعار (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (آل عمران:١٠٣)، وقد أورد الريحاني في كتابه (ملوك العرب) البنود المقترحة في تلك الاتفاقية[(٣)]، وبينما عاد صاحبه قسطنطين يني بذلك المشروع إلى الحجاز، أكمل الريحاني طريق رحلته إلى العراق ثم إلى نجد في تلك السنة.

ورغم حِرص الإمام يحيى على سرِّية مشروع تلك الاتفاقية عن كل أحد[(٤)]، لكن لعل أخبارها قد تسرّبت إلى مسامع بريطانيا وحلفائها؛ وعلى رأسهم ابن سعود سلطان نجد آنذاك، الخصم اللدود للشريف حسين ملك الحجاز؛ ومما يدل على ذلك ما صرَّح به الريحاني من أن (جرترد بل) كاتبة أسرار المندوب السامي

---

(١) مستهلها:

مغلغلة منشورة في المحافل   تهيم وتذري الدمع تهيامَ ثاكل

الجرافي، المقتطف، ص٢٣٩.

(٢) الجرافي، المقتطف، ص٢٤١.

(٣) الريحاني، أمين، ملوك العرب، ط٨، ١٩٨٧م، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٢١٨- ٢٢٤.

(٤) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص١٧٤.

البريطاني في العراق أخبرته - عند لقائها هناك - "بأمورٍ تتعلَّق برحلته، يضيف الريحاني[1] قولَه: "لم أستغربْ علمَها بها؛ لأني أعلم أن وكلاء إنكلترا السياسيين ومندوبيها في البلاد العربية يتبادلون التقارير السِّرِّيَّة من حينٍ إلى حينٍ".

ومع ذلك فإن الشكَّ يراودُني حول الريحاني نفسه، أنه هو الذي ساهم في تسريب خبرِ تلك الاتفاقية بشكلٍ أو بآخر إلى ابن سعود نفسِه في ذلك العام، وأنه كان يؤدِّي مهمة إنجليزية في إيقاع العرب ببعضهم، وهو الذي كان يحمل الجنسية الأمريكية، والذي كان يحرص على تطويعِ الحكَّام العرب لرغبات الإنجليز، بمبرِّر ضرورة التعامل معهم.

جديرٌ بالذكر أنه بعد ذلك طاب له المقام في حضرة سلطان نجد ابن سعود، وكتب في سيرته كتابه (تاريخ نجد الحديث)، الذي ملأه تبجيلا وتعظيما لابن سعود، وثناء وإشادة به وبحكمه.

ومع ذلك فقد كان الشريف حسين أيضا يحاولُ إقناعَ الإمام يحيى بمصالحة الإنجليز، فقد "كان ولده فيصل يحاول عبر مستشارِ الإمامِ إقناعَ الإمام يحيى بأهمية التقارب مع بريطانيا

---

(١) ملوك العرب، ج١، ص٤٩٧.

لعلاقاتٍ فيها مصلحة الأمتين"[1].

صـرَّح الريحـاني بمهمتـه لَّما اسـتثْبَتَه الإمـام يـحـيـى عـن بيتِ القصيد في رحلته، والـذي حمله على ترحاله إلى الـيـمـن، فقـال: "هما بيتان، الأول: أن تتفقوا والإنكليز، والثاني أن تعقدوا معاهدة مع ملك الـحـجاز"[2]؛ وتؤكِّد ذلك الوثائق البريطانية المعاصرة لهذه الأحداث؛ حيث تتحدَّث أنه إذا تمَّ عقدُ معاهدة بينهم وبين الإمام فـإنهم يقترِحـون إعطـاءَه مبلغـا معيَّنـا مـن الإعانـات الشـهرية، الـتي كـان يتلقاهـا حلفـاء بريطانيـا في المنطقـة ولا سـيما ابـن سـعود في نجد[3].

وافق الإمـام يـحـيـى – بحسب الريحاني - على مشروع اتفاقيـة تحالفٍ مع الشريف حسين، ولم يتحقَّق شـيء فيمـا يتعلَّق ببريطانيـا، وهذا بالتأكيد سيزيد من نقمة بريطانيا على دولة الإمـام يـحـيـى.

---

(١) مطهر، سيرة الإمـام يـحـيـى بن محمد حميد الـدين، ج١، ص٢٩٢- ٢٩٧، مقدمـة المحقق الدكتور صالحية.

(٢) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص١٦٩.

(٣) صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانيـة، ط١، ٢٠٠٧م، دار السـاقي – بيروت، مج٧، ص١٥٧.

ثالثا : جيزان وما جاورها

كان السيد محمد بن علي بن أحمد الإدريسي قد أعلن دعوته للإمامة في مدينة صبيا عام ١٩٠٦م، معتمدا على النفوذ الروحي والثروة المعنوية التي حققها جده السيد أحمد الإدريسي بعلمه وجهوده في الوعظ والإرشاد لأهل منطقة جيزان، وقد عقد السيد محمد الإدريسي مع إيطاليا معاهدة تحالف عام ١٩١٢م، ثم وقَّع معاهدة تحالف أخرى مع الإنجليز عام ١٩١٥م.

كان الإدريسي أول حكام الجزيرة العربية اصطفافا مع بريطانيا في مواجهة الأتراك في الحرب العالمية الأولى، واستخدمه الإنجليز دميةً طيِّعة لمواجهة خصومهم، ولم يكُن يُحَرِّك ساكنا إلا بأوامرهم، مقابل حصوله على مساعدةٍ شهريةٍ مقدَّرة بـ١٠٠٠جنيه[1]، وكانت علاقته بالإمام يحيى متَّسمة بالتفاهم في بداية الأمر، لكنه بعد تحالفه مع إيطاليا ثم مع بريطانيا اتَّسمت بالتجاذُب والاختلاف حتى وفاته في مارس ١٩٢٣م[2].

عقب ذلك حدَثَتْ منازعاتٌ شخصيةٌ داخل البيت الإدريسي، استغلها الإمام يحيى في تحرير الحديدة والصليف واللحية وميدي

(١) صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج٧، ص١٥٧.

(٢) حميد الدين، الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، ج١، ص٣٠٢، ٣٠٣.

عام ١٩٢٥م، ولما رأت بريطانيا تقدُّم جيوش الإمام يحيى في شمال تهامة وتحفُّزَه للانقضاض على ما بقي في يد الإدريسي من أراض يمنية، رأت أن أفضل الحلول لمنع حدوث هذا هو كفُّ يدها عن مساعدة الإدريسي الضعيف، فلا يبقى أمامه سوى اللجوء إلى الحماية السعودية؛ لتقف نجد بدعم بريطانيا في مواجهة اليمن.

وبالفعل كان هذا ما حدث، حيث أُعْلِنَتْ اتفاقية مكة عام ١٩٢٦م بين الإدريسي وابن سعود، بموجبها دخل المخلافُ السليماني تحت السيادة السعودية، مقابل احتفاظ الإدريسي بشؤونه الداخلية[١]، لكن السعوديين انقلبوا لاحقا على عملائهم الأدارسة، وقَضَوا على إمارتهم المتطفِّلة نهائيا، وضموها إلى سيادتهم.

رابعا: عسير

والتي من ضمن أراضيها أبها وخميس مشيط وتنومة والنماص فقد كان يحكمها حسن بن عائض، والذي ولي الأمر مستقلا بعد خروج الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، لكن بسبب نزعة التوسع السعودية في أراضي عسير استطاع جيش ابن سعود إخضاعَها لسيطرته؛ ولم يقف ابن عائض مكتوف اليد فاستنجد

---

(١) حميد الدين، الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، ج١، ص٣٠٧، ٣٠٨.

بالشريف حسين ملك الـحـجاز، فاستعاد (أبها).

أرسل ابن سعود جيشا من الإخوان (الغطغط) بقيادة ولده فيصل عام ١٣٤٠هـ /١٩٢٢م، فظفر فيصل بعد معارك حامية، ودخل (أبها) في صفر عام١٣٤١م، فأقام فيها حامية، وعاد إلى الرياض بعد نحو ستة أشهر، وانتهز حسن بن عائض فرصة عودة فيصل وخلوِّ الجو له، فجمع قوته وأعاد الكرة على الحامية السعودية في أبها وأميرها عبد العزيز بن إبراهيم، لكنه لم ينجح، وأخيرا ظفر به عبدالعزيز بن إبراهيم واقتاده أسيرا إلى الرياض[1].

بقيَت بعض قبائل بني شهر من عسير تأنف الخضوع لابن سعود، وتدين بالولاء لشريف الحجاز، فظلَّت حالة الاشتباك بينهم وقوات ابن سعود من الإخوان بقيادة عبد العزيز بن إبراهيم حتى مرور قافلة الحجيج اليمانية.

خامساً: نجد

وتضم الرياض والدرعية وما جاورهما، وكان في الرياض قد وُلِد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الفيصل آل سعود عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ثم فرَّ مع أبيه إلى الكويت بعد أن استولى آل الرشيد على

(١) الزركلي، الوجيز، ص٦٧.

الرياض، ثم كان ينزعِ دوما الى استعادة مُلْك أجداده في نجد، وقد استطاع وهو في العشرينات من عمره أن يستعيد عاصمة أجداده (الرياض) في إحدى ليالي شهر شوال من عام ١٣١٩م/ يناير ١٩٠٢م.

وليس معلوما دورُ بريطانيا في هذه الحركة النجدية، لكن المعلوم أن عبد العزيز كان بعد ذلك حليفَ بريطانيا المفضَّل، وأنه كان الحاكم العربي الوحيد الذي "يقبض إعاناته من الإيرادات الامبراطورية"[(١)]، وأنه كان يستلم إعانة شهرية بريطانية بمقدارِ خمسةِ آلاف جنيه استرليني بالإضافة إلى أسلحة وذخائر[(٢)]، وكان مؤتمر القاهرة المنعقد بتاريخ١٩٢١م قد وضع سياسة شاملة لإعانات حلفاء بريطانيا من العرب، وقرَّر زيادة الإعانة لابن سعود الى ١٠٠٠٠٠ جنيه سنويا، واقترح مساواة الشريف حسين بابن سعود[(٣)].

وقد أرسل ابن سعود في ٢ أغسطس ١٩٢٠م إلى الهيئات البريطانية مستزيدا لهباتهم يقول: "ادعموني وأنا أضمن لكم أيَّ

---

(١) صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج٧، ص١٥٤.

(٢) صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج٧، ص١٥٦؛ وحبيب، جون، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله بن مصلح النفيعي، ط١٩٩٦م، ص١١٦.

(٣) صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج٧، ص١٥٤.

عمل عدائي للإنجليز"، ويقول أيضا: "لقد أعطيتُم أصدقاءَكم الخوَنة ألقابا وأراضيَ غنية، وأنا صديقكم الحقيقي بقيتُ فقيرا أكثر من ذي قبل"[(١)].

ظلَّت احتياجات وإعانات ابنِ سعود لدى بريطانيا شُغْلَ وثائقِها الشاغل؛ ولهذا كان الإنجليز قِبلةَ ابنِ سعود عند المُلِمَّات، وقد أبرق المندوب السامي في العراق برسي كوكس إلى وزير المستعمرات في يناير ١٩٢٣م يخبره بضائقة ابن سعود المالية وأنه مَدِينٌ بمبالغَ كبيرة، وحضَّه في تلك البرقية على ترتيب سُلْفة أو قرضٍ بقيمة ٥٠ ألف جنيه، وتشير الوثيقة أن المندوب السامي اقترح إعطاءه المبلغَ المرغوبَ قرضا من قِبَل أصحاب امتياز النفط، الذي بدت مؤشِّراتُ تدفُّقِه في الجزيرة العربية في تلك السنة"[(٢)]؛ الأمر الذي من المرجَّح أنه أسال لعاب بريطانيا فأغدقت أموالها على هذا الحليف العربيِّ الواعِد.

تفرَّد عبد العزيز - كما يروي مؤرِّخه المُعْجَبُ به الأستاذ خير الدين الزركلي - بين أقرانه "بمزايا أهمها المفاجآت تصبيحا أو هجادا"[(٣)]، أو من حيث لا ينتظر عدوُّه الهجومَ، وكان يعتمد على

(١) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص١١٦-١١٧.

(٢) صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج٧، ص١١٤.

(٣) هي الغارة العسكرية التي تكون ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر، كما سيأتي تفسيرها عند الحديث عن تكتيكات الإخوان الوهابيين العسكرية.

الاستخبارات قبل الملاقاة، فكلما أغار على أرضٍ يجهلها، أو ليس له عينٌ فيها يبعث إليه بأخبارها، ويكثر من الاحتياط إذا هم بالزحف ويفترض في خصمه من القوة أضعاف ما هو فيه"[1].

كانت (نجدُ ابنِ سعود) و (حجازُ الأشراف) تتنازعان واحتي (الخرمة)[2] و(تُرَبة)[3] على الحدود بينهما؛ لذا فقد انقضَّ جيش ابن سعود بقيادة سلطان بن بجاد التميمي حاكم (هجرة الغطغط)[4]، والشريف الوهابي خالد بن لؤي حاكم (الخرمة)، على جيشِ الشريفِ حسين ملك الحجاز على مقربة من (تُرَبة) فمُزِّق هناك جيشُ الشريف حسين بتاريخ ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م[5].

وكالعادة فإن عبد العزيز ابن سعود لم يملِك بعد أن رأى جُثث القتلى كالتلال إلا أن ترقرق دمعُ عينيه، على حد قول روايات معجبيه[6]، ومع ذلك فإنه لم ينفك عن هوى هؤلاء المقاتلين

---

(١) الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط٥، ١٩٨٨م، دار العلم للملايين-بيروت، ص٧١.

(٢) تقع شمال شرقي مدينة الطائف وتبعد عنها مسافة ٢٣٠ كم.

(٣) توصَف بأنها بوابة نجد ومفتاح الحجاز، وهي تبعد بمسافة مستقيمة شرقا عن مدينة الطائف ١٣٠ كم وعن مدينة الباحة ١٢٠ كم.

(٤) سيأتي التعريف بها.

(٥) الزركلي، الوجيز، ص٨٢.

(٦) الزركلي، الوجيز، ص٨٢.

المتوحِّشين؛ لذا فإنه أرسلهم هم بذاتهم لاقتحام مدينة الطائف، وبالفعل تم اقتحامها في صفر ١٣٤٣هـ/ سبتمبر١٩٢٤م، و"انطلق الأعراب يقتلون وينهبون على عادتهم في ذلك العهد"[(١)]، وارتُكِبَتِ تلك المجازر البشعة، وليس لدى ابن سعود غيرُ البكاء والتنصُّل من جرائمهم، كما هو في كل مرة، ولم يكن بكاؤه ذلك بمانعٍ له من أن يُكَلِّفهم مرة أخرى باقتحامِ مكة المكرمة ثم جدة وغيرهما.

وصف الرحالة العربي أمين الريحاني المتشدِّدين من الإخوان الوهابيين، سكان الهِجَر (جمع هجرة)، بأنهم: "جيشُ ابن سعود القومي الديني، جيش التوحيد". وقد جمعهم ابن سعود في هجَر، حيث كان يعيِّن بقعة من الأرض فيها ماء لقبيلة، فينزحون إليها، ويبنون بيوتهم فيها بمساعدته لهم ماليا، ويرسل إليهم المطاوعة لتعليمهم التوحيد وأساسيات الوهابية[(٢)].

وحكاية الإخوان الوهابيين مع ابن سعود حكاية عتيدة، حقَّقها الباحث الغربي المُعْجَب به وبالإخوان أيضا، إنه جون حبيب، الذي وصف تحرُّكاتِهم في الجزيرة العربية بقوله: "اكتسحوا الجزيرة

---

(١) الزركلي، الوجيز، ص٨٤.

(٢) الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ط٦، ١٩٨٨م، دار الجيل، بيروت تاريخ نجد الحديث، ص٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢.

العربية كمبضعٍ للجراح الذي يزيل ما هو مؤلِم أو خبيث، ويترك ما هو معافًى وصحي"[1]، وفي هذه العبارة ما فيها من الانحياز للإخوان الوهابيين والتبرير الفجِّ لفظائعهم ومجازرهم.

ومع ذلك فمن المهم اعتمادُ تقريرِه عن الإخوان؛ لأنه توصَّل إليه بعدَ كثيرٍ من العناء والاطلاع على الوثائق البريطانية والأمريكية، ومنها ٧٣ وثيقة، و٥٨ كتابا، و٣٠ مقالة، وأجرى ١٢ مقابلة شخصية مع صناعِ أحداثِ الإخوان، وخرج بتقريرٍ أسماه: (جنود ابن سعود المحاربون من أجل الإسلام)[2].

هذا الباحث الغربي الذي لا يُتَّهم في الإخوان، وقد أثنى عليهم وبرَّر فظاعاتِهم في أكثرَ من مكان في كتابه[3]، توصَّل إلى بعض النقاط الهامة عنهم، ومنها:

١- أنهم أولئك البدو النجديون الذين اعتنقوا الوهابية عن طريق الوعظ الديني، وبمساعدة ابن سعود المادية تركوا الحياةَ البدوية ليعيشوا في هِجَر بناها ابنُ سعودٍ لهم[4]، وتجمَّعت

(١) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية ، ص٨، مقدمة المترجم النفيعي.

(٣) ينظر على سبيل المثال ما ذكره في إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٢٠٩، ٢١٠.

(٤) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٣٦

تلك المجاميعُ في تجمُّعاتٍ سكنية سُمِّيت بـ(الهجر)، والهجرة تعني الرحيل من وسَطِ غيرِ المؤمنين إلى عالم الإسلام[1].

٢- وجد الكاتب أن مختَلَفَ مصادرِه تتفق أن ابن سعود هو الذي أنشأ حركة الإخوان[2]، وأنه هو المسؤول عن قيامها كما هو المسؤول عن إسقاطها أيضا[3].

٣- ووجد أن ظهورَهم في عام ١٩١٢م، أي بعد استعادة ابن سعود لنجد، وهذا يمكن فهمه في إطار خِطة احتلال ابن سعود للحجاز، وأنه لم يكن تكوينهم حدثا عارضا أو استجابة لأغراض اجتماعية أو اقتصادية أخرى[4]، بل لاستخدامهم في تحقيق حلم ابن سعود السياسي.

٤- بلغ عدد الهِجَر كبيرا، وأهمها هجرة الأرطاوية ، ثم هجرة الغُطْغُط، والأخيرة أُسِّسَت في عام ١٩١٢م على يدِ أفرادٍ، معظمُهم من قبيلة عُتيبة، ووصل تعداد هجرة الغُطْغُط إلى (١٢٠٠٠) نسمة، وتقع على بعد ٥٠ ميلا جنوب الرياض، وحاكمُها هو سلطانُ بن بجاد التميمي الرجل الذي قاد الغزو

---

(١) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص٢٦١.

(٢) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٤٣.

(٣) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٤٦.

(٤) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٣٨.

نحو الطائف وشارك في احتلالها؛ وصنَع الرعب الذي تميَّز به الإخوان من جيش ابن سعود[(١)].

٥- وكانت كل هجرة تُحكَم بواسطة أمير وحاكم إداري، وكلاهما مرتبط مباشرة بابن سعود[(٢)].

٦- وكانوا في قتالهم تحدوهم الرغبةُ في الشهادة في سبيل الله، كما كانت تتسم تكتيكاتهم العسكرية بصناعة التوحش والرعب من خلال ذبح كلِّ الرجال والأطفال في معسكر العدو، وفي بعض الأحيان بذبح النساء[(٣)].

٧- وكانت أنواع هجومات الإخوان هي : ١- الصُّبحة في ساعات الفجر الأولى. ٢- الغارة وتكون قبل الظهر. ٣-الراعة وتعرف بالتروية وتحدث بعد الظهر وتتطلَّب قوةً عسكرية إلى درجة ما، وقوة ضاربة كما في الصبحة. ٤-الهجدة وهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر[(٤)].

٨- وكان التكتيكُ العامُّ لمعارِكِهم عبارةً عن ضربةٍ أو خبطةٍ

---

(١) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٧٩،٨٠،٨١.

(٢) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٨٦.

(٣) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٩٤.

(٤) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٩٣.

مباغِتـة ومرَكَّـزة دون أن تعطـيَ للخصـم فرصـة للـتفكير، وفي حالـة الهجـوم المباغِـت كـانوا ينقضُّـون علـى الهـدف كنسـيجٍ متوحِّشٍ من الرجال على الجياد والجمال والمشاة، ويحطِّمون كلَّ شيء في معسكر العدو، ويقتلون الجنود وكلَّ شخص هناك دون عطفٍ أو رحمة[1].

٩- ولهـذا كـانوا "الأداةَ الفريـدة الـتي اسـتخدمَها ابـنُ سـعود" لإخضـاعِ شـبهِ الجزيـرة العربيـة لحكمـه؛ بـدليل أن جميـعَ الأمـاكنِ الاستراتيجية والمهمة التي استولى عليها ابنُ سعود فيهـا سـقطت في أيـديهم، ومنـها تُرَبـة، والطـائف، ومكـة، والمـديـنة، وحائـل، والجـوف، وكـان الخـوف مـن انتقـام الإخوان هو الذي جعل كل المناطق الخاضعة وخاصة (حائل) خالية من العصيان أو التمرد العلني[2].

١٠- ورغم قضاء ابن سعود على حركة الإخوان عام ١٩٢٩م، لما أكثـروا المشـاغبات عليـه، وانتـهى الـدور المرسـوم لهـم، لكـن اعترافا بإسهامهم في تكوينِ دولته فإن الإخوان المخضرمين

(١) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٩٦.

(٢) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٢٠٧

كانوا يحصلون على معاشٍ شهري جيِّد من حكومة ابن سعود، وامتدَّت هذه المزايا لتشمل أبناءهم الأوائل وإن بصورة أقل[1].

نجد قرن الشيطان:

في ختام الحديث عن الأوضاع السياسية يجدر الإشارة إلى قضية هامة يجب أن لا نغفل عنها ونحن نتحدث عن النجديين الوهابيين، وعلاقتهم بما ورد في أدبيات الإسلام عن (قرن الشيطان)؛ لنعرف مدى الخطورة التي يمكن أن يشكِّلوها ضد الإسلام والمسلمين، ومن ثم يجبُ العمل بناء على هذا المُعْطَى الخطير، وليس هناك خيرٌ من تلك النصوص الإسلامية المتّفَق عليها وهي تحلل لنا ظاهرة هؤلاء التكفيريين النجديين، وطبيعة دورهم، ونوعية سلوكهم.

هناك مجموعة أحاديث صحيحة في كتب الصحاح والمسانيد مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تتحدَّث عن (نجد) - التي هي منشأ الدعوة الوهابية التكفيرية، وسبب كلِّ هذه الفتن والمآسي والحروب التي تعصف بالعالم الإسلامي المعاصر - بأنها قرن الشيطان؛ فقد ورد في البخاري في كتاب الفتن عن عبدالله بن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال مرَّتين: (اللهم بارِكْ

(١) حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ص٢١٣.

لنا في يمننا، اللهم بارِكْ لنا في شامنا). قالوا: وفي نجدنا؟ قال: (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا إن الفتنة هاهنا - يشير إلى المشرق - من حيث يطلع قرن الشيطان) أخرجه مالك (٢/٩٧٥ ، رقم ١٧٥٧)، والبخاري (٣/١٢٩٣، رقم ٣٣٢٠)، ومسلم (٤/٢٢٢٨، رقم ٢٩٠٥)، وأخرجه أيضًا: أحمد (٢/١٢١، رقم ٦٠٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٨)، وفي رواية: (الإيمان يمان والفتنة من هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان)، وعن ابن مسعود الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان يمان ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر) أخرجه أحمد (٤/١١٨، رقم١٧١٠٧) ، والبخاري (٣/٢٠٢، رقم٣١٢٦)، ومسلم (١/٧١، رقم٥١)، وأخرجه أيضًا : أبو عوانة (١/٦١، رقم١٦١).

والزلازل هي الاضطرابات والاختلافات المنافية للسكينة والطمأنينة والأمن، يقول الله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾ [الأحزاب١١]. والفدادون: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، مفردها: فدَّاد.

والعجيب في هذه الأخبار والأحاديث النبوية أنها تتحدث عن نجد باعتباره مقابلا موضوعيا لليمن، فإذا كانت نجد هي قرن

الشيطان، ورأس الكفر، ومكان الفتنة، والقسوة وغلظ القلوب، فإن اليمن هي موطن الإيمان، والحكمة، والرحمة، ورقة القلوب، ولعل هذا إشارة إلى المهمة التي سيضطلع بها اليمنيون وهي القضاء على ذلك الكيان الشيطاني النجدي، والتي ربما نعايش اليوم فصولا من أحداثها المثيرة والاستثنائية.

كانت قد ظهرت الوهابية بظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي (١١١٥ - ١٢٠٦هـ) (١٧٠٣م - ١٧٩١م) في نجد، وتحالف مع نجدي آخر هو الأمير محمد بن سعود (ت١١٧٩هـ/١٧٦٥م) ومع أبنائه من بعده، لينشئوا أول سلطة وهابية ارتكبت كثيرا من الفظائع والشناعات بحق المسلمين في الحجاز واليمن والعراق، وكان إنشاء هذه الدولة المتطرفة التكفيرية برعاية استعمارية بريطانية.

وفي بداية القرن العشرين الميلادي سعت بريطانيا بقصارى جهدها في رعاية ودعم عبدالعزيز ابن سعود، ثم خلَفَ الأمريكيون البريطانيين في رعاية هذا الكيان الوهابي منذ لقاء عبدالعزيز ابن سعود بالرئيس الأمريكي روزفلت على ظهر السفينة الحربية كوينسي عام ١٩٤٥م في قناة السويس؛ وبعدها دأبوا على العمل سويا؛ الأمر الذي أنتج هذه الحركات التدميرية التي تنتشر على طول العالم الإسلامي وعرضه، والذي من أهم خصائصها أنها تتصالح مع الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية، وتتَّسم بالعدائية المفرطة ضِدَّ كلِّ ما هو إسلامي.

بعد ذلك ظهرت هذه الوهابية في أشكالٍ متوحِّشة وهمجية حيث ظهرت القاعدة وداعش في أفغانستان وباكستان واليمن والشام ومصر والصومال والعراق، وأنصار الشريعة في ليبيا، وبوكو حرام في نيجيريا، وجبهة الإنقاذ في الجزائر، ومن المعروف أن كلا من هذه الحركات قد مارست وتمارس أشكالا قبيحة ووحشية همجية ضد المسلمين ذبحا وحرقا وسحلا جماعات وفرادى، وهو ما ينسجم مع تاريخ هذه الجماعة النجدية.

وكما أصبح معلوما ضرورة لكل متابع في العالم، في ما يسمى (عاصفة الحزم) فقد أظهرت السعودية في مجازرها ضد اليمنيين أنها لا تزال تحمل ذلك الفيروس الشيطاني الإغوائي التدميري المضل والضال، وارتكبت مجازر إبادة جماعية، في كل منطقة في اليمن، وأغوت الكثير بأموالها للوقوف في صفها أو الصمت على جرائمها، فكشفت عن وجهها الشيطاني الحقيقي والوحشي، وبينت أنها داعشية السلوك وهابية الجذور، شيطانية الإغواء.

إنه لجدير بأن ينتبه المسلمون أن قرن الشيطان مفهومٌ واسع يشمل كلّ من يؤمن بأفكار هذه المدرسة النجدية الوهابية التي تمارس التضليل والإغواء والقتل والوحشية والزلزلة والفَتْنَ بحق الآخرين، وحين نستقرئ مخرجات هذه المدرسة النجدية الشيطانية نجد أنها قد تكون في صورة شخصيات أو جمعيات أو مؤسَّسات أو جماعات أو أحزاب أو دول، جميعها لها ارتباطٌ روحيٌّ وفكري

ووجداني بهذه المدرسة الشيطانية، حتى وإن ظهروا بشكل المصلحين أو الدعاة إلى الخير أو المحسنين، فهم ممن لا خلاق لهم، ولا وثوق بهم، ويجب أن لا يغترَّ مغترٌّ بما يقدِّمونه مما ظاهرُه الإحسانُ فهو ليس سوى طُعْمِ الشيطان لإضلال واقتناص فرائسه، حتى إذا أسفر الصبح لذي عينين كشّروا عن أنيابهم المدمِّرة والممزِّقة، وحققوا حقيقة معتقداتهم وسلوكاتهم وأخلاقهم، فلا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة، وحتى في حالة الخلاف بين جماعات قرن الشيطان أيضا والتي جميعا تستند للعقيدة النجدية الوهابية فإنهم يقتلون بعضَهم بشكلٍ قاسٍ وغليظ وبدون شفقة ولا رحمة.

ومجزرة الحجاج الكبرى في تنومة لم تكن سوى جَرَس مبكِّر لهذه المدرسة الشيطانية، وبعدها كان يجب على اليمنيين أن يكونوا عند مستوى الوعي الذي يمكِّنهم من إعداد العدة تجاه هذا العدو، ولكنهم غفلوا عن ذلك فعادت مملكة قرن الشيطان لتمارس بحقهم أقبحَ السلوكات، وأسوأ التصرفات.

جدير بالذكر أنه لم تكن هناك أيةُ علاقةٍ تربط الإمام يحيى حميد الدين بعبدالعزيز ابن سعود، حيث لم يكن قد حصل أيُّ تماسٍّ بين حدودِ بَلَدَيهما حتى ذلك الوقت.

وبهذا العرض المختصر اتضح المشهد السياسي الذي كان يرسِم الحالة في أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية عشية وقوع المجزرة.

الفصل الثاني

مجزرة تنومة.. الزمان والمكان والأسباب

أولاً: زمان وقوع المجزرة

تعدَّدت رواياتُ المؤرِّخين في تحديد زمن المجزرة فقد ذكر الواسعي[(١)]، والكرملي[(٢)]، والرحالة العربي نزيه مؤيد العظم[(٣)]، والأستاذ أحمد حسين شرف الدين[(٤)]، وتبعهم الأستاذ يوسف الهاجري[(٥)]، أنها ارتُكِبَتْ في عام ١٣٤٠هـ. غير أن عددا من المصادر الهامة والمعايِشة للحدث، والقريبة من تفاصيله أرَّخت

(١) الواسعي، عبد الواسع بن يحيى (ت١٣٧٩هـ)، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط١٣٤٦هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، ص٢٦٤.

(٢) العرشي، حسين بن أحمد (ت١٣٢٩هـ)، بلوغ المرام شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٩٣، والكتاب ابتدأ تأليفه القاضي العرشي، ووصل فيه إلى حوادث عام ١٩٠٠م، ثم أكمل حوادثه الأب أنستاس الكرملي وانتهى فيه إلى عام ١٣٥٨هـ، الموافق ١٩٣٩م.

(٣) العظم، نزيه مؤيد، رحلة في العربية السعيدة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، منشورات المدينة، بيروت، ص٢١٨-٢١٩.

(٤) شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ص٣٨.

(٥) الهاجري، يوسف، السعودية تبتلع اليمن، ط١، ١٩٨٨م، لندن، ص١٠.

المجزرة بذي القعدة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م.

على رأس تلك المصادر سيرة الإمام يحيى حميد الدين حيث تقول: "وفي هذه السنة ١٣٤١هـ في يوم السبت السادس عشر، وقيل: في يوم الأحد السابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام ..."[١]، ويقول الجرافي[٢]: "وفي هذه السنة ١٣٤١هـ هاجمت النجودُ حجاج اليمن ..."، وترجم المؤرِّخ زبارة لأحد شهدائها وهو العلامة القاضي أحمد بن أحمد السياغي، وذكر أنه أحدُ مَنْ ذهبوا لحج سنة١٣٤١هـ، فكان ممن "استُشْهِدَ في يوم السبت ١٦ ذي القعدة بمطرح تنومة وسدوان"[٣]، والمؤرِّخ زبارة أحدُ مَنِ اضطلعوا بالملف اليمني في المفاوضات التي أعقبت المجزرة مع ابن سعود[٤].

وهذا القول هو الأصوب؛ لما ذُكِر، ولكونه التاريخ الذي حدَّده المعنيون بالقضية، ومنهم القاضي العلامة الحسين بن أحمد السياغي رئيس الاستئناف بصنعاء، وهو ابن أحد شهداء تنومة، وقد ذكره كذلك عند ترجمته لوالده[٥]. كما حدَّده مخطوطُ "بحث

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٧-٤١٨.

(٢) المقتطف، ص٢٤٥.

(٣) زبارة، محمد بن محمد بن يحيى (ت١٣٨٠هـ)، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ج١، ص٥٤.

(٤) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٣٨٠.

(٥) السياغي، الحسين بن أحمد (ت١٤١٠هـ)، أصول المذهب الزيدي اليمني وقواعده، ط١٤٠٣هـ، ص٢٢ (الهامش).

مفيد في ذكر المصيبة العظمى التي لم تقع فيما تقدم إلا في هذا العام بحجاج بيت الله الحرام في طريق الحجاز"، والذي كُتِبَ عقِب المجزرة[1]. وكذلك ذكره السيد العلامة مجد الدين المؤيدي في ترجمة أحد شهداء تنومة وهو السيد العلامة الحسين بن أحمد شريف المؤيدي[2]. وأكَّدته جريدة القبلة المكية في عددٍ صادرٍ منها بعد المجزرة بأيام[3]، والذي سرعان ما انعكس في برقيات بريطانية تُعتَبَر من وثائق ذلك العهد[4]، بشكلٍ يؤكد وقوع المذبحة في ذي القعدة ١٣٤١هـ /١٩٢٣م.

وبينما تؤرِّخ المصادر وقوعَها في السبت ١٦ ذي القعدة ١٣٤١هـ ، ومنها الأكوع في هجَر العلم ومعاقله في اليمن[5]، والبحث المفيد في المصيبة العظمى المرفق بقصيدة السيد العلامة يحيى بن علي

(١) مجهول، بحث مفيد، ورقة ١١٤/ أ.

(٢) المؤيدي، مجد الدين بن محمد، التحف شرح الزلف، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية، صنعاء، ص٢٤٣- ٢٤٤.

(٣) العدد ٧٠٣، ٢٧ ذي القعدة، ١٣٤١هـ/ ١٢ يوليو، ١٩٢٣م، مقالة: فاجعة فظيعة، ص١.

(٤) الوثيقة برقية مرسلة من المكتب البريطاني في القاهرة إلى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، وتمت إعادة إرسالها إلى رئيس المعتمدين البريطانيين في (بوشهر) المحمرة، ومنها أرسلت إلى وزارة المستعمرات البريطانية في لندن، بتاريخ ١٨تموز/ يوليو ١٩٢٣م، ونشرتها صحيفة التايمز بتاريخ ١٩تموز/ يوليو/ ١٩٢٣م، وهناك وثيقة أخرى بتاريخ ١٠ يوليو ١٩٢٣م، تحمل عنوان: الوهابيون يهجمون على شمال عسير، كما سيأتي.

(٥) الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر، بيروت، ج٢، ص٦٦٦.

الذاري[١]، وزبارة في نزهة النظر[٢]؛ فإن وثيقة بخط السيد العلامة قاسم بن حسين أبو طالب المشهور بـ(قاسم العزي) أحد رجال حكومة الإمام يحيى وكبار مفاوضيه مع ابن سعود[٣]، وتعليقة كتبها أمير الحج السيد العلامة محمد بن عبدالله شرف الدين بخطه تعطيان تحديداً دقيقا لتوقيت الحادثة، وهو يوم الأحد ١٧ ذي القعدة ١٣٤١هـ الساعة الخامسة بالتوقيت الغروبي[٤]، أي الموافق ١يوليو ١٩٢٣م.

ويترجح لدى الباحث ما ذكره أمير الحج حيث هو أدرى وأعلم من غيره بتاريخ وتوقيت الحادثة.

وتوقيتها في ظهر ذلك اليوم ورد أيضا في مخطوط البحث المفيد[٥]، بل بتفصيل أكثر، حيث ذكر أنهم تعرَّضوا للمذبحة وبعضهم كان قد انتهى من شدِّ رحلَه بعد الغداء، وبعضهم في حال شدِّ الرحل، وبعضهم كان لا زال في حال الغداء[٦]، ولا يتعارض هذا مع ما قاله أمير الحج، من كونها في الساعة الخامسة غروبيا قبل

---

(١) مجهول، بحث مفيد، ق١١٤/أ.

(٢) ج١، ص٥٤.

(٣) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٣٧٩.

(٤) الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، ص٦٦٦؛ وشرف الدين، محمد بن عبدالله (أمير الحج تلك السنة)، تعليقة بخطه على كتاب تاريخ اليمن للواسعي عند ذكره للحادثة.

(٥) مجهول، بحث مفيد، ١١٤/أ.

(٦) مجهول، بحث مفيد، ١١٤/أ.

الظهر، فهو ذكر بداية المـجـزرة في المطرح الأول في تنـومـة، واستمر ذلك حتى المطرح الثاني والثالث في سدوان الأعلى والأسفل.

ثانياً: مكان المجزرة

تكاد المصادر تُجْمِع أنه في تنومة من بني شهر بين بني الأسمر وبني الأحمر في منطقة عسير[1]، لكنه ورد في سيرة الإمام يحيى ووثيقة العلامة قاسم العزي تفصيلٌ أكثر لمكان المذبحة، وهو أن الحجاج كانوا قد نزلوا على ثلاث فرق، الفرقة الأولى تقدَّمت ونزلت في تنومة، وعدادها في بني شهر، وفرقة في سدوان الأعلى، وفرقة في سدوان الأسفل[2]، وسدوان معدودٌ في بني الأسمر، ووقع سهوا أو تجاوزا تحديد (تنومة) في الحجاز في كلام السيد العلامة مجد الدين المؤيدي[3]؛ لأن عِدادَها قطعا في عسير وليس في الحجاز.

---

(١) الجرافي، المقتطف، ص٢٤٥؛ والكرملي، بلوغ المرام، ص٩٣؛ والواسعي، تاريخ اليمن، ص٢٦٤؛ وشرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٣٨٠؛ والسياغي، أصول المذهب الزيدي اليمني وقواعده، ص٢٢، الهامش؛ وزبارة، نزهة النظر، ج٢، ص٥٨١؛ ومجهول، بحث مفيد، ١١٤/أ؛ والأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، ص٦٦٦؛ ومطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٧-٤١٨.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٨؛ والأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، ص٦٦٦.

(٣) التحف، ص٢٤٣.



(مكان المجزرة في تنومة وسدوان – عسير)

ثالثاً: أسباب ارتكاب المجزرة

وصفت جريدة القبلة المكية تلك المجزرة بأنها "الفاجعة الفظيعة التي لم يسبِق لها مثيلٌ في التاريخ"[1]، والسؤال الأهم ما هي الأسباب التي دفعت أولئك النجديين إلى ارتكابِ جريمةٍ بشعة وفظيعة بحق مسافرين وحجاج مسالمين وبأعدادٍ مهولة كأعداد تلك الجريمة، ولماذا حاولوا بكل ما لديهم من قوة أن يقتلوهم جميعا حتى الجرحى منهم، إذ كانوا يذفِّفون على الجريح، ويتمِّمون قتله، ولماذا أبادوهم تماما حتى النساء منهم؟!

ويمكن الإجابة على ذلك في ذكرِ عددٍ من الأسباب :

١- أسباب عقائدية

من المعروف أن الوهابية تكفِّر جميعَ المسلمين، وتعتبرُهم مُشركين وضالِّين ومنحرِفين ومبتدعين، ويمكن لأحدهم بأيِّ تبريرٍ تافه أن يتجرأَّ على ارتكاب قتل المخالفِ له أيا كان ذلك المخالف.

إنها مدرسة قرن الشيطان التي بها الفساد والزلازل والفتن، إنه التكفير الذي أنتج هذه الجماعات العنفية بدءا بالإخوانِ أهل الهِجَر، وانتهاء بالقاعدة وداعش في عصرنا، وكان من الصعب أن

---

(١) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١.

نتصوَّر أن التكفيرَ سببٌ رئيسٌ في ارتكاب جرائم إبادة، وقتلٍ جماعي متوحِّش، حتى رأينا بأمِّ أعيننا هؤلاء الإرهابين وهم يقتُلون مخالفيهم بشكلٍ بشِعٍ وفظيع تفجيرا واغتيالا وحرقا وغرقا وبجميع الوسائل والأساليب التي لا تخطر إلا على بال الشيطان وأوليائه، وهاهم في العام الثالث من عدوانهم على اليمن لا يزالون يقتلون اليمنيين بطائراتهم وصواريخهم بشكل بشِعٍ وفظيعٍ وبتبريرات تافهة وسخيفة وشيطانية.

إن السبب العقائدي وهو تكفير مخالفيهم في الدين والمذهب والطائفة هو الباعث لهم على استباحة دماء مخالفيهم؛ وهذا ليس في أهل عصرنا منهم فقط، بل فيهم منذ أول يوم وُجِدَت فيه الوهابية، فـ"لقد قامت حركتُهم على أساسِ العنف الدموي، وتميَّزت بالشراسةِ والوحشية، فلم يكونوا يخضعون لقانونٍ أخلاقي أو ديني، فمِن قتلِ النساء والأطفال، إلى قطع رؤوس الأسرى، إلى الغدر ونقضِ العهود والمواثيق، إلى التقلُّبِ في المواقفِ وموالاة الأمم الغالبة"[(١)].

وصف محمد حامد الفقي (من المتحمِّسين للوهابية) مجزرة كربلاء مشيدا بدور (جند الإسلام) الوهابي، فقال: "توجَّه سعود

---

(١) الخطيب، محمد عوض، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ص١٦٩.

في ذي القعدة في سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م بجموعٍ كثيرةٍ إلى العراق ... فكانت وقعة هائلة، وكانت مذبحة عظيمة، سالت فيها الدماء أنهارا، خرج منها سعود وجيشه ظافرين، ودخل كربلاء، وهدم القبة العظيمة بل الوثن الأكبر"[١].

ولا يختلف هذا عن عددٍ كبيرٍ من المجازر التي ارتكبها الوهابيون في نجد والحجاز واليمن في ما مضى وفي عصرنا هذا، ومنها غزوهم عَرَبَ شرق الأردن، وكذلك غزوهم ضد أهل العراق، وقد تابعوا عليهم الغزو والقتل والنهب[٢]. كل ذلك بسبب تكفيرهم للمسلمين الآخرين.

علَّل الرئيسُ الأسبق القاضي عبد الرحمن بن يحيى بن محمد الإرياني أن جنود ابن سعود قتلوا الحجاج في تنومة بسبب أنهم مشركون في نظرهم، وذكر أنهم كانوا يتنادون فيما بينهم قائلين: "اجتلوا المشرج"، أي أقتلوا المشرك[٣].

---

(١) الفقي، محمد حامد، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب وغيرها، ط١٣٥٤هـ، ص٨١.

(٢) العاملي، محسن الأمين، كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، ص٥٠.

(٣) الإرياني، يحيى بن محمد (ت١٣٦٢هـ)، هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين، ط١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مطبعة العلم، دمشق، ص٢١- ٢٢، مقدمة ولد المؤلف الرئيس الأسبق عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، التي كتبها في عام ١٩٧٦م.

وبعد المجزرة اعتذرَ السياسيون السعوديون بأن من ارتكب المجزرة هم فريقٌ من البدو يقال لهم (الغُطْغُط)، وتصفهم سيرة الإمام يحيى أنهم ممن يكفِّرون أهل القبلة[1]، وعند مراجعة هذا الاسم نجد أنه اسم هجرة قبيلة عُتَيبة النجدية، والتي مرَّ ذكرها، وشاركت في السيطرة على الطائف ومكة وجدة والمدينة، وارتكَبَت فيها كثيرا من الفظائع والجرائم البشعة.

لقد فهم اليمنيون في حينها أن السبب الباعث لهذه الجريمة هو الانحراف العقائدي والفكري عند هؤلاء الوهابيين بتكفيرهم للحجاج ولأهل القبلة، واعتقادِهم حلَّ دمائهم، كما كان عليه الخوارج من أهل النهروان؛ وهو الأمر الذي فاضت به قصائدُ ثلاثةٍ من أهمِّ رجالات ذلك العصر، وهم السيد العلامة يحيى بن علي الذاري (ت١٣٦٤هـ)، والقاضي العلامة يحيى محمد الإرياني (ت١٣٦٢هـ) والد الرئيس الأسبق القاضي عبد الرحمن الإرياني، والقاضي العلامة محمد بن أحمد الحجري (ت١٣٨٠هـ)[2].

كما أن سببية التكفير هو الأمر الذي لَمَّحت إليه الوثائق البريطانية حول ذات الموضوع حيث أوسعت الحديث عن تكفير

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠

(٢) نصوصها كاملة في ملحق هذا البحث.

الوهابيين للمسلمين وتشددهم في مسائل مختلفة[١].

لم يَعُدْ تصديقُ هذا الأمر صعبا على اليمنين اليوم، وقد رأوا فتاوى علماء الوهابية ومفتيهم باستباحة دمائهم - منذ مارس ٢٠١٥م وحتى يومنا هذا وإلى أن يأذن الله بهزيمتهم - بتبرير أنهم (مجوس) و (روافض)، فشنوا حرب إبادة عسكرية واقتصادية على اليمن واليمنيين بلا هوادة.

وبالنسبة لقيادة مملكة قرن الشيطان في الماضي وفي الحاضر فإنهم قد استخدموا هذا التكفير للاستهلاك الداخلي الحافِز لعلماء البلاط وأوليائهم إلى تشجيع العدوان ودعمه ودفعه، وبالتالي فهو غطاء لأسباب حقيقية أخرى؛ وذلك بالجزم أنهم يعتقدون أنهم أبعدُ ما يكونون عن التدين، حتى ولو كان خاطئا.

٢- أسباب سياسية

شكَّلت مجموعةٌ من العناصر أسبابا سياسية دفعت أولئك النجديين لارتكاب هذه المذبحة بسَبْقِ تعمُّدٍ وإصرار.

كان الملك عبد العزيز ابن سعود قد أخضعَ معظم عسير لحكمه

(١) صدرت الوثيقة في القاهرة ١٨ يوليو، ١٩٢٣م، ونشرت في التايمز بتاريخ ١٩ يوليو، ١٩٢٣م؛ ينظر: Ingrams, RECORDS OF YEMEN, 1798-1960, V6, b 694.

وعلى رأسها (أبها)، وقد قدِم ولدُه فيصل بجيش من الإخوان التكفيريين، وخاض عددا من المعارك مع ابن عائض العسيري انتهت بهزيمته وتثبيت حكم النجديين على هذا الجزء من اليمن الكبرى؛ وعلى إثرها عاد فيصل إلى الرياض في أوائل سنة ١٣٤١هـ، لكن قبائلَ من بني شهر في عسير لم تشأ الاستسلام، حيث ثار الشبيلي وجماعة من بني شهر ضد ابن سعود خلال عام ١٣٤١هـ، واشتبك مع جيش ابن سعود بقيادة عبد العزيز بن إبراهيم[(١)].

في المقابل كان الإمام يحيى واليمنيون يعتبرون منطقة عسير جزءًا لا يتجزأ من اليمن وكانوا يجاهرون بذلك؛ ولهذا كان الخلاف والاصطدام متوقعاً ، وكان تأجيله ناتجاً عن انشغال الإمام يحيى في ترتيب أوضاعه الداخلية التي منعته من التعامل بما ينبغي تجاه ملف عسير، بينما كان ملك الرمال ينتظر الفرصة لإيصال رسالةِ تهديدٍ وإجبارٍ للإمام يحيى بإقرار الوضع الحالي كما هو عليه وبدون ادعاءات.

كان الإمام يتمسَّك بالحق التاريخي في عسير جبالِها وسهلها وأنها جزء لا يتجزّأ من اليمن منذ قرون طويلة، بل ولأنه كان

(١) مجلة المنار، مج٣٣، العدد ٧، شعبان ١٣٥٢هـ/ نوفمبر ١٩٣٣م، مقالة: ما بين الإمامين في جزيرة العرب، ص٢٠؛ نقلا عن جريدة أم القرى السعودية، أول رجب سنة ١٣٥٢هـ.

الوريثَ الوحيدَ للأتراك العثمانيين في كل ما كانوا يسيطرون عليه في اليمن، بما في ذلك عسير، التي كانوا يعتبِرونها اللواء الرابع من ألوية اليمن، وكان ينظر إلى الأدارسة بأنهم دخلاء[(١)].

يقول الدكتور الوجيه: "إن رفض الإمام يحيى للاحتلال السعودي لمدينة أبها وما حولها ومطالبته لآل سعود بالرحيل منها ليوحي بأن تلك الحادثة (مجزرة تنومة) كانت رسالة تهديد وتخويف"[(٢)].

في جانبٍ آخر، ظلَّ الإمام يحيى عصيا على بريطانيا على خلافِ جميعِ حكام الجزيرة العربية، لم يقبل التطويع، وأنِف من التحالف معهم والمهادنة لهم، باعتبارهم أعداءً للأمة، ويسعون لاحتلال بلدانها واستغلالها، وباعتبارهم محتلين لجنوب اليمن، وكانت بريطانيا تتحين الفرص إلى الدفع بالحاكِمَيْنِ الأقْوَيَيْنِ في الجزيرة العربية إلى حافَّة المواجهة، لحَرْفِ نظر الإمام يحيى إلى الحدود الشمالية لليمن، وصرفه عن النظر نهائيا إلى عدن والمناطق المحتلة في الجنوب، والتي دوما يكرِّر الإمام يحيى

---

(١) سالم، سيد مصطفى، مراحل العلاقات اليمنية السعودية (١١٥٨-١٣٥٣هـ/ ١٧٥٤-١٩٣٤م)، خلفية وحوارات تاريخية، ط١، ٢٠٠٣م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٣٨٤.

(٢) الوجيه، عبدالرحمن محمد حمود، عسير في النزاع السعودي اليمني، (بدون بيانات)، ص١٢٨.

ضرورة تحريرها من دنس الاحتلال البريطاني. وهذا ما تجلّى بوضوح في دفعها للإدريسي للاحتماء بالسعوديين ليدفَعَهم نحو التصادم مع الإمام يحيى مباشرة.

وفي المقابل كانت الخصومة التاريخية بين أشراف الحجاز والنجديين قائمة، وكانت مسألة حدود نجد والحجاز هي القاصمة لظهر العلاقات الودية بين الحاكمَيْنِ المواليَيْنِ للإنجليز، بالإضافة إلى الاختلاف المذهبي والخصومة التاريخية بين أسلافهما؛ لهذا تميَّزت علاقات الطرفين بالسوء، وقد رأينا كيف أمدَّ الشريف حسين ثوارَ عسير بالرجال والمال في مواجهتهم لابن سعود.

بيدَ أن الشريف حسين ملك الحجاز أخطأ في تقدير قوة خصمه النجدي عبد العزيز ابن سعود؛ ولهذا تعرَّض جيشه للتمزيق والتبديد في وقعة (تُرَبة)، وبدأ منذئذ العدُّ العكسي لحكمه على الحجاز.

وكان على الدوام يحدو عبدَ العزيز ابنَ سعود الشوقُ الدائمُ لاحتلال الجزيرة العربية مدَّعيا أنها أملاكُ أبائه وأجداده كما صرَّح بذلك لأمين الريحاني؛ ولهذا فقد جنّد كثيرا من بدو الوهابيين النجديين ممن سمي بالإخوان في تلك الهِجَر المنعزلة عن العالم والموبوءة بأفكار التطرف والوحشية.

عبد العزيز - من خلال أذرعه العسكرية الوحشية، هِجَر

الإخـوان وتشـكيلاتهم القتاليـة — أجـاد صـناعةَ الرعـب، وإدارةَ التـوحش، والحـربَ النفسـية، وبهـا اسـتطاع إيصـال رسـائل نفسـية جامحة إلى قلوب خصومه قبل أن يصلهم بجيشه، وكان في الوقت نفسه بارعا جدا في التمثيل والتظاهر بالسخط تجاه ما يرتكبه جيشه المدجَّج بعُقَد وعقائد الكراهية والتكفير والوحشية، ولم يمانِع من ذَرْفِ دموع التماسيح إذا استلزم الأمر، والتي كان يطير بها عشاقه ومريدوه لإظهاره حمامةَ سلامٍ لا تُجارى، وإمامَ هداية لا يبارَى، لكن إصرارُه على استخدام هذه القوات الوهابية المتوحشة في كل مرة لاحقة[1]، وإخضاعُهم لأهم المناطق الاستراتيجية في الجزيرة العربية - دليلٌ على إجادته التمثيل وعلى تصنُّعه البارع.

وما أشبه الليلة بالبارحة فها هم أولاده شاركوا مع الأمريكان في صناعة جماعات التكفير المعاصرة في العالم الإسلامي، وشغَّلوها لضرب الأمة الإسلامية من الداخل بما لا يضرُّ مصالحَ دولِ الاستكبار، بل بما يفيدُها، ووجدْنا عيانا بيانا دعمَ النظام السعودي والأمريكي لهذه الحركات، في الوقت الذي تظاهروا كثيرا بأنهم يحاربونها ويكرهون تصرفاتِها، سواء في سوريا أو العراق أو اليمن

(١) بكى بعد وقعة تربة، ثم كلف أولئك القادة وجيشهم لمهاجمة الطائف. ينظر الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢٥٧، ٣٣١.

أو مصر أو المغرب العربي، أو غيرها من البلدان.

وبالعودة إلى أسباب مجزرة تنومة السياسية فإنه بحسب الرواية النجدية كان قد تسرَّب خبرُ مشروعِ اتفاقيةٍ بين الإمام يحيى والشريف حسين ملك الحجاز بالتصدي لابن سعود[(١)]، ومن بنود تلك الاتفاقية "التعاون والتناصر" بين الجانبين، ولكنه تعاونٌ مشروط بكونه "موقوفا على الطلب من أيِّ الجانبين عند الاحتياج واللزوم، وفي دائرة النصوص الشرعية"[(٢)]، كما هو النص المقتَرح للاتفاقية التي لم تكن قد وُقِّعَتْ بعد، وكانت لا تزال مجردَ حِبر على ورق.

وصل ابنَ سعود نبأُ هذه الاتفاقية المزمع توقيعُها، فكان بحاجة ماسّة إلى فضِّ هذا الاتفاق الذي يلوح في الأفق بين اليمن والحجاز، بل وكان بحاجة إلى ضربه في الصميم نفسيا وواقعيا، وإيصال رسائلَ متعدِّدة الأهداف لكيِّ دماغِ حكام اليمن والحجاز في هذا الصدد.

(١) دلال، عبدالواحد محمد راغب، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، القاهرة، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص٣٢١.

لكنَّ السؤالَ المُهِمَّ: من الذي سرَّب مشروع هذه الاتفاقية، وهي التي ظلَّت طيَّ الكتمان، والتي أوصى الإمام يحيى بإبقائها سرية، ومن هو المستفيد من تسريب هذا الخبر، وما الذي يريد تحقيقه من أهداف؟

والذي يترجَّح أنه أحد جهتين: إما الإنجليز هم من تولَّى إبلاغ ابن سعود ببنود هذه الاتفاقية المزمع توقيعها، وهو ما لَمَّح إليه عرّاب هذه الاتفاقية أمين الريحاني عند لقائه بكاتبة أسرار المندوب السامي في الأمور الشرقية في العراق (جر ترود بل)[1] كما مر ذكره، أو الرحالة أمين الريحاني نفسه، والذي تدل على ذلك مؤشراتٌ أنه أعجبه المقام في حضرة ابن سعود، وأنه أخلص له، وطالما أنشأ معلقات النثر في الثناء عليه.

الإنجليز وقد عانوا من الإمام يحيى وتهديداته المتكرِّرة بطردهم من عدن ومحمياتها التسع في الجنوب، وكونه الحاكم العربي الوحيد في الجزيرة العربية العصي على التطويع لسياساتهم الاستعمارية في المنطقة؛ كان لا بد أن يهيئوا الظرف الملائم لمعاقبة الإمام يحيى من خلال إقحامه في مشاكلَ مع جيرانه، وحرْفِ نظرِه بعيدا عن محمياتهم في ما سموه بـ(الجنوب العربي)، وكان

(١) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص٤٩٧.

المرشَّح للقيام بهذا الدور في تلك الفترة هو رجلهم المفضل عبد العزيز ابن سعود.

حاول الرحالة نزيه مؤيد العظم أحدُ رجال العرب آنذاك التحريَ والبحث الدقيق في سبب هذا العدوان على حجاج اليمن، مع "أناس مسؤولين" "في اليمن، والحجاز، ونجد، ومصر، ممن "يتتبَّعون حوادثَ البلاد العربية باهتمامٍ كبير"، فبحث معهم "عن الأسباب الحقيقية التي حدَتْ بالإخوان الوهابيين لاغتيال هذا العدد العظيم من الناس وهم ذاهبون إلى بيت الله الحرام"[1].

وبعد هذه الرحلة الشاقة توصَّل إلى نتيجةٍ مفادُها "أن لبعض الأجانب ضلعا في هذه المؤامرة، وقد كانوا يتوخَّون منها إثارة الفتنة بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى وامتداد الحرب من الحجاز إلى اليمن"، واستنتج أنهم ذكروا لابن سعود بأساليبَ شتى، وعن طرقٍ عديدة، وبواسطة أناسٍ كثيرين أن الملك حسين قد استنجد بالإمام يحيى للقتال معه ضده، فاعتذر الإمامُ عن الدخولِ في الحرب معه بشكلٍ علَني، ولكنه أوفد هذا الجمعَ الغفيرَ بصورةِ حجاج للتطوع في الجيش الحجازي، ويبدو أن ابن سعود قد "أخذ بهذه الدعاية الباطلة، وأمرَ جُندَه من الإخوان بأن يبيدوا هؤلاء

---

(١) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٧-٢٢٨.

الناس عن بكرة أبيهم"[١].

ويرجح الدكتور صالحية: "أن خبر المعاهدة التي تولى صياغتها أمين الريحاني مع الإمام يحيى ومستشاريه والتي لم توقَّع بعدُ قد وصلت أخبارُها إلى بلاد الملك عبدالعزيز ابن سعود، إما من قبل عيونه، أو سرِّبت من قبل البريطانيين"[٢].

إنه لمن الوجاهة بمكانٍ صحة هذا الاستنتاج الذي توصَّل إليه نزيه العظم ذلك الرحالة العربي بعد رحلة طويلة من البحث، وهذا الدكتور صالحية الباحث المتخصص في تاريخ العرب الحديث، لا سيما ونحن الآن نشاهد كيف يَمْضي أولادُ ابن سعود في تنفيذ مؤامراتِ هؤلاءِ الأجانب من الأمريكيين والإنجليز بأسوأ مما كان عليه والدهم؛ إذ لم يتغير شيء من سياسة هذا الكيان، بل ازدادت حالته سوءا.

بالإضافة إلى أنه استنتاجٌ يدعمُه سلوكُ الإنجليز الاستعماري وتاريخُهم المشين في صناعة الفرقة والشتات في الشرق خدمة لأغراضهم الاستعمارية، كما يدعمه أيضا مقتضى الفكر التكفيري المتوحِّش الذي حمله الوهابيون في (مملكة قرن الشيطان).

---

(١) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ج١، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج١، ص٣١٨. مقدمة المحقق الدكتور صالحية.

وبهذا لم يكن هناك داعٍ لمحاولةِ تبرئة ساحة عبد العزيز من هذه الجريمة البشعة كما حاول البعض[1] لظروفٍ لاحقة اقتضتها المتغيِّرات السياسية والاجتماعية، وهو أمرٌ يتناقض وهذا الاستنتاجَ هنا بوصول نبأ المعاهدة إلى ابن سعود.

٣- السبب الاقتصادي

اعتاد الحجاج اليمنيون أن يَحمِلوا معهم البضائع والمنتَجَات المحلية لبيعها في موسم الحج، والانتفاع بمردودها المالي في مواجهة تكاليف الحج واستبدالها باحتياجاتهم من الملابس وغيرها، وقد ذكر الرحَّالة ابن جبير الأندلسي أن أسعار الزبيب

---

(١) على سبيل المثال، الدكتور محمد عيسى صالحية رحمه الله؛ إذ يقول مبرِّئا ساحة الملك عبد العزيز من التلطخ بهذه الجريمة بتناقض عجيب: "فأقدمت جماعة من البدو على الإيقاع بالحجاج دون اختيار أحدٍ من أمراء قوات ابن سعود النظامية، ولكنهم يدرون عن ذلك، فحركة قوات بهذا العدد الكثيف لا يمكن أن تتم خفية ودون علم أحد"، ويواصل مبرِّئا قادة ابن سعود من الجريمة: "ولا أعتقد أن أمراء القوات السعودية كانوا قادرين على منعهم، فالإخوان المقاتلة يرون أنفسهم بأنهم أصحابُ اليد الطولى في تحقيق الانتصارات التي حققتها قوات ابن سعود، وفضلهم لا ينكر!!، ورأيهم لا يقوى أحد على معارضته!!". مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج١، ص٣١٨، مقدمة المحقق. ونحى هذا المنحى الأمير أحمد بن محمد بن الحسين حميد الدين، في كتابه القيم الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، ج٢، ص١٧٤؛ إذ يقول في كتابه: "ولم يصل الخبر للملك عبدالعزيز حتى تبرأ من هذه الجريمة، وتأسف عليها أسفا شديدا، ولم يُخْلِ الملك عبدالعزيز الإخوان من المسؤولية"، متبنيا رأي صاحب المنار، محمد رشيد رضا حول الموضوع.

الأسود والأحمر واللوز والسمن والعسل وسائر الحبوب والبقوليات كانت ترخُص عند وصول الحجاج من جهات اليمن، وكان الحجاج وأهل مكة ينتظرون وصولهم[١].

وعليه فمن الوجاهة القول بأن أحد أسباب القضاء على أولئك الحجاج وإبادتهم هو ما كانوا يحملونه من بضائعَ مُغرية أسالتْ لعابَ أولئك التكفيرين الذين كان نوعُ تعبئتهم وتحشيدِهم هو ما غنموه خلال المعركة[٢]، أما إذا اتَّحد هذا مع أسباب أخرى من قبيلِ تكفيرِهم لهم، وصدورِ قرارٍ سياسيٍّ بذلك فإن تلك الأموال تصبح لديهم أحلَّ من شُرْبِ ماءِ زمزم.

توسَّعت جريدةُ القبلة المكية في الحديث عن مميِّزات البُنِّ الذي كانوا يحملونه معهم كل عام، حيث يحتفظ بجودته ونكهته الجميلة وذائقته الرفيعة، وهناك يتهافت عليه "وجهاءُ مكة والطائف" أكثرَ من غيرهم لشرائه؛ "لأنهم يجدون به لذة ورائحة زكية لا يجدونها فيما يأتي على طريق البحر حتى ولو كان من نفسِ قُرى أولئك الوفَّاد"[٣].

---

(١) ابن جبير، محمد بن أحمد، الكناني الأندلسي، (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص٩٨، ١١٠.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج١، ص٣١٨، مقدمة المحقق الدكتور محمد عيسى صالحية.

(٣) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١.

وتعترف الرواية الشعبية السعودية المعاصرة للحدث بأن قافلة الحجاج كانت محمَّلة بالأرزاق من البن والزبيب والهيل والحبوب، حيث "كان اليمن في خير"، بينما كانت تلك المنطقة في فقر رهيب[1]، على حد قول تلك الرواية.

وورد أنه كان لديهم من "المال والقراش والبضاعة" فأخذ أولئك الوهابيون جميعه[2]، وتقول سيرة الإمام يحيى: إن الوهابيين استولوا "على جميع ما كان في أيديهم وأثقالهم ودوابهم"[3]، ولم تفُتْ هذه الإشارةُ الرحالةَ نزيهَ العظم لما قال: "وسلَبَ الإخوانُ جميعَ أمتعة هؤلاء الناس، وتركوهم ممدّدين على الثرى وعادوا بغنائمهم فائزين منتصرين"[4].

ولما ذكرت الوثائق البريطانية غزوَ الوهابيين لعسير، واستيلاءَهم على أبها، وقتلَهم لبني شهر، قدّمَتْ ذكرَ خبرِ نهبِ الوهابيين لقافلةٍ عابرةٍ من الحجاج اليمنيين، على خبرِ قتلِ

(١) رواية يرويها أحد أهالي تنومة عن أبيه الحاج حسن بن حمود، منتديات تنومة على النت، على الرابط: http://www.tanomah.net/vb/showthread.php?t=12122

(٢) مجهول، بحث مفيد، ق١١٤/أ.

(٣) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠.

(٤) رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٨.

جميعِ أولئك الحجاج تقريبا[1].

وتذكُر سيرة الإمام يحيى أنه بعد المجزرة وبعد تنصُّلِ ابن سعود منها وصل المُرسَلون من قبَل الإمام يحيى إليه "ببعض المنهوبات من دوابَّ ومنقولاتٍ وبعضِ قيَم السمن"[2].

وهذه جميعها معلوماتٌ هامة تبيِّن ما كان يحمله أولئك الحجاج معهم من بضائعَ وأموالٍ وممتلكاتٍ، بلغ تقديرُها بحسب البحث المفيد بحوالي (٤٠٠٠٠٠ ريال ماري تريزا)، (فرانسي)[3]، أي ما يعادل ملياري ريال يمني تقريبا، وبقوة شرائية كبيرة، وهو رقمٌ هائل من المؤكّد أنه سيشجّع المتلهِّفين على غنائم الحجاج المشركين!! على الحكم بكفرهم وبضرورة قتلهم.

٤- السبب العسكري

كان القوم حجاجا ويصطحب بعضُهم البضائعَ والمحاصيلَ بغية بيعها في مكة، وكان عددٌ قليلٌ جدا منهم مَنْ كان يحمِل سلاحا ناريا بدائيا لمدافعة اللصوص وقطاع الطرق، أي أنهم لم يكونوا في أية وضعية عسكرية استعدادا لأية معركة، ولهذا تصفهم جميع

---

(١) Ingrams, RECORDS OF YEMEN, 1798-1960, V6 , b694.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢١.

(٣) مجهول، بحث مفيد، ق١١٤/ أ.

المصادر بأنهم كانوا عزلا عن السلاح، فتصفهم سيرة الإمام يحيى بأن "أكثرهم عزل من السلاح"[١]، وورد لدى الجرافي[٢] وصفهم بـ"الحجاج العزل"، وعند الواسعي[٣] بأنه: "ليس معهم سلاح، ولا مستعدون لقتال"، وعند نزيه العظم[٤] أنهم "كانوا عزلا في جميع الروايات، عزلا من السلاح الحربي، وهم آمنون لا يفكِّرون في اعتداءِ أحدٍ عليهم، ولا يرغبون في قتالِ أحد"، وعند الأمين العاملي[٥] بأن الحاج اليمني كان "أعزل من السلاح وجميع آلات الدفاع"، وأنهم لو كانوا مسلَّحين ما استطاع الوهابيون قتلَهم، ولكانوا أقصرَ باعا من ذلك[٦].

وورد في جريدة القبلة المكية بأنه "لم يَرَ مَنْ يقصد الحج من العصبة المذكورة أن يحمِلَ سلاحا أو آلة دفاع أو أيَّ شيء من ذلك إلا المُدى الصغيرة لاستعمالها في ضروريات مطاعمهم وشدِّ رحالهم ونحو ذلك"[٧].

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠.

(٢) المقتطف، ص٢٤٥.

(٣) تاريخ اليمن، ص٢٦٤.

(٤) رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٧.

(٥) كشف الارتياب، ص٥٠.

(٦) كشف الارتياب، ص٥٠.

(٧) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١.

إن هذه الحالة السلمية التي كان عليها الحجاج والتي كانت تستشعر الأمن وترى قوتها أمام اللصوصِ وقطاعِ الطرق هو في قدسية الواجب الذي تذهب لتأديته، وهو ما كان يَفْرِضُ احترامَ الجميع لها، وكذلك في تجمُّعِهم في عصبة واحدة، وبهذا فإنهم لم يكونوا مستعدين لأية مواجهة عسكرية حتى في أدنى مستوياتها، ولم يخطر ذلك ببالِ أيٍّ منهم، لكن للأسف كانت حالتهم هذه سبباً من أسباب تجرُّؤ أولئك المتوحشين على الفتك بهم، وإبادتهم.

هذه الوضعية كانت من أسباب الهجوم عليهم، والقضاء على معظمهم؛ إذ لو كانوا مسلَّحين فعلا لصعُب كثيرا على أولئك المتوحشين القضاء عليهم بتلك الطريقة الوحشية، ولفكَّروا كثيرا قبل أن يُقْدِموا على أية جريمة بحقهم.

وبهذا العرض يتبين أن مكان المجزرة هو تنومة من بني شهر، وسدوان من بني الأسمر، وأنها وقعت وقت الظهر في ١٧ ذي القعدة ١٣٤١هـ الموافق ١ يوليو ١٩٢٣م، وأن جملة من الأسباب السياسية والاقتصادية والعقائدية والعسكرية كانت وراء الحادث، وأنها مجزرة دُبِّر أمرُها بليل شيطاني مشؤوم.

الـفصل الثـالـث

وقـائع المـجـزرة

أولاً: وقائع المجزرة .. مقاربة تأريخية

جـرت عـادة الـحـجـاج الـيـمـنـيين أن تكون لهـم قافلـة واحـدة، تحـت إمـرةِ أميرٍ واحـد، وكـان أحدُ عـائلـة السـادة بيت الكبسـي هـو الذي يرأس قافلة الـحـجيج، واعتاد كثير من الـيـمـنـيين السفر إلى مـكـة عن طريق السلسلة الجبلية المجتازة لعسير إلى الـحـجاز.

كان أمير الـحـج يكلَّفُ في صنعاء، وقد حضـرها الـحـجـاج من المنـاطق الـتي تقـع جنوبهـا، فتتحـرك القافلـة من صـنعاء عـادةً في ٦ شـوال أو في تـاريخٍ مقُـارِب، ولاشـتهارِ مواعيـدِ حركـة الـحـجـاج ومحطـاتهم في الطريـق ودقـة مواقيتـها، كـان الـحـجـاج من المنـاطق الواقعـة بين صـنعاء ومـكـة ينتظـرون قـدوم القـافلـة في تلـك المواعيـد المتواطأ عليها سلفا لينضموا إليها[١]، ولكونهم كانوا يذهبون مجتمعين لا يتفرَّقون كان يُطلَق عليهم اسم (العصبة).

---

(١) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١.

جديرٌ بالذكر أن النجديين لما استولوا على أجزاء من عسير، أرسل حاكم عسير عبدالعزيز بن إبراهيم، إلى الإمام يحيى كتبا تفيد باهتمامه بتأمينِ طريقِ الحجاج وتيسير مرورهم، وسفرِهم، بل وأنه لا خوف عليهم مما يجري في أطراف عسير، وقد علم الحجاج بذلك[1].

ومع ذلك فإن أمير الحج في ذلك العام السيد العلامة محمد بن عبدالله شرف الدين ما إن وصل إلى أطراف صعدة حتى بعث كتابا إلى حاكم أبها النجدي، الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم، مُستوضِحا منه حالةَ طريقِ الحجاج، وإمكانَ اجتيازِهم فيها بأمان، من باب التثبُّت في الأمر، وإلا فالعلاقات بين الإمام وحاكم نجد "لا يُشَمُّ منها رائحة الإرادة لأي عدوان"، على حد قول سيرة الإمام يحيى[2].

وعاد الجواب عليهم مؤكِّدا ما سبق منه إلى الإمام من أن الطريقَ آمنة، وأن يكون سلوكُ الحجاج من الطريقِ المعتادة، وأنه لا يوجَد أيُّ مانعٍ من مرورهم منها، وأنه قد سبق منه البيان حول ذلك، "وهم واثقون باندفاع الأخطار في سلوكهم تلك الجادة"[3].

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٩.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٨.

(٣) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٩.

بل كان الحجاج يتمتعون بالاحترام والحرية والإكرام من قبل أهالي القرى والمدن التي يجتازونها، ويمرون عليها، وكان من يتعرَّض لهم من اللصوص وقطاع الطرق يعاقِبُهم أهالي تلك القرى والمناطق أشد العقوبة، ولو كان المتعرِّض من أبنائهم وإخوانهم[(١)].

بل أيضا وبمجرد وصول الحجاج اليمنيين ذلك العام إلى أطراف مناطق عسير المحتلة تلقاهم بعضُ النجديين "تلقي المسالمة"[(٢)]، وعلى مشارف (أبها) أكرمهم حاكمُها عبدالعزيز بن إبراهيم، وأضافهم، ولم يحذِّرهم من شيءٍ، بحسب المصادر اليمنية.

ويبدو أن قرارَ تصفية الحجاج وصل بينما كانوا يجتازون الطريق بين أبها وتنومة، فهناك من الوقت ما يكفي في التواصل بين حاكم أبها النجدي، وأميرِه في الرياض عبدالعزيز ابن سعود، وإذا كان قد وصل علم قدومهم إلى أطراف عسير منذ أيام، وهناك سيقضون أياما إلى (أبها)، ثم يحتاج مرورهم من أبها إلى تنومة الوقوف في عدد من المحطات ولعدد من الأيام أيضا[(٣)]، فهذا

---

(١) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٩.

(٣) الأكوع، دروب الحج طريق الحاج اليمني، منازل الحاج اليمني إلى مكة، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ص١٧٧.

يعني أنه كان هناك وقتٌ كافٍ للتواصل مع عبدالعزيز في الرياض وسؤالِه عن اللازم فِعلُه تجاه حجاج يعتقدونهم "مقاتلين متنكرين في زي حجاج" على حد قول الاتهامات النجدية.

إن ابن سعود وحده هو الشخص الذي يمكنه اتخاذُ قرار بحجم تصفية حجاج بعدد كبير، وهو الشخص الذي عرفنا أنه: "كان يعتمد على الاستخبارات قبل الملاقاة، وقلما أغار على أرضٍ يجهلها، أو ليس له عين فيها، يبعث إليه بأخبارها، ويكثر من الاحتياط إذا هم بالزحف، ويفترض في خصمه أضعاف ما هو فيه"[1]، على حد وصف مؤرِّخه الأستاذ الزركلي. وهو الآمر الناهي لجميعِ فِرَق جيشه، ومنها فرق هجر الإخوان الوهابيين.

ويترجَّح أن قرارَ إبادة الحجاج لم يكن ليُنَفَّذ في أبها؛ إذ كان السيناريو يَفْتَرِض أنه لا بدَّ من كمينٍ يتولَّى المهمة في منطقة مضطرِبة، ومن طرفٍ أشبه ما يكون بطرف ثالث يمكن تحميله المسؤولية التي تُخْلِي ابنَ سعود من طائلتها، على نحوٍ يحقِّق أهدافَه اللئيمة، وليكن الإخوانُ ذراعَه المتشددة ووجهَه القبيح المتوحِّش هم الأداة الوَسِخة وهم المشجَب الرديء الذي سيُحَمَّل المسؤولية.

---

(١) الزركلي، الوجيز، ص٧١.

ومـن دون شـك ففـي أبهـا تم التعـرُّف علـى عديـدِ الـحـجـاج وعتادهم، وأموالِهم وبضائعهم المغرية والمسيلة للعاب الغنيمة، وتم اكتشاف نقاط ضعفهم، وأفضل الطرق لإبادتهم، وتصوُّر الطريقة المثلى للتنصُّل عن المسؤولية بطريقةٍ تضيعُ دماء أولئك الأبرياء بشكلٍ شيطاني، يوفِّر لابن سعود إظهارَ نفسه ككلٍّ مرة بمظهر الباكي الشاكي ذارفِ الدموع الحرَّى والثكلى، ولم يكن هناك أكفأ من تلك الكتائب المتوحِّشة التي صنعت الرعب في الجزيرة العربية لتحميلها هذا العملَ وهذه المسؤولية، ليصل خبرُ رُعبهم إلى اليمن وحاكمها وجنودها، فتتحقق الإفادة والأهدافُ المرجوة من وراء ذلك نجديا، وتتحقق الأهداف المرجوة أيضا إنجليزيا.

تحرَّك الـحـجيج مجتازين مناطق كثيرة وصولا إلى أطراف بني الأسمر (سدوان)، وإلى حدود بني شهر في (تنومة)، فحطَّت القافلة الأولى والكبيرة في تنومة، والتي تبعد عن أبها حوالي ١٢٥ كيلو متر[1]، وحطَّت قافلتان في سدوان الأعلى وسدوان الأسفل، واللتين تبعُدان عن تنومة بحوالي ١٠ إلى ١٥ كيلو متر، إلى الجنوب الشرقي منها، وكان أميرُ الحاج في الفرقة الأخيرة التي نزلت في

(١) بحسب ويكيبيدا، الموسوعة الحرة.

سدوان الأسفل[1].

كان اليوم هو الأحد ١٧ من ذي القعدة ١٣٤١هـ / ١ يوليو ١٩٢٣م، في وقت الظهيرة، وقد حطَّت الفرق الثلاث لصناعةِ طعامِ الغداء ظهرا، وهم آمنون لا يدرون عما قد دُبِّرَ لهم بليلِ الشياطين، وما قد حيك لهم من مؤامرةِ إبادة شاملةِ، وهم بلا سلاح، ولا تأهُّب، ولا شعورٍ لهم بشيء، ولما شدًّ بعضُهم أثقالَه بعد الغداء، وبعضهم كان لا يزال في حال الغداء، وبعضهم في حال الشد، إذا بجيشِ ابنِ سعود الكامن لهم قد أحاط بهم من كل الجهات، وإذا به يصليهم نارا، ويباشر بإطلاق النار في جباههم ورؤوسهم وصدورهم بشكل كثيف[2].

لقد أحاطوا بمن في تنومة وهي الفرقة الأكبر، وطلعوا عليهم من أعلى الوادي وأسفله وهم على خيولهم وإبلهم، وهجم المشاة عليهم من رؤوس الجبال، فتابعوا الرمي عليهم ببنادقهم من كل جهة، فاستُشْهِد معظمُ من كان بهذا الوادي من الحجاج، وقتِل

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤١٩؛ والأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، ص٦٦٦؛ وقياس المسافة مأخوذ بمسطرة قوقل، التي لا تراعي المنحدرات والجبال والتعرجات على طبيعة الأرض، بما يعني أن المسافة على الأرض أكبر من ذلك القدر.

(٢) مجهول، بحث مفيد، ١١٤/ أ.

أكثرُ دوابهم، وأُخِذَتْ أموالُهم، ولم يفِرَّ منهم إلا القليل[١].

حاول بعضُهم المدافعة بما أمكن، وكانت قلة قليلة جدا منهم لديها سلاحٌ ناري وذخيرة فقاتلوا به حتى كمُل ما معهم، فقُتلوا[٢]، وكان بعض الحجاج ينتظر الموت لحظة بلحظة، وكانوا يقرأون سورة ياسين، ولكن كان رصاص جنود ابن سعود أسرع إلى أرواحهم منهم إلى إكمال تلاوة سورة ياسين[٣].

بدأوا هجومهم عليهم برميهم بالبنادق من رؤوس الإكام، ثم نزلوا إليهم يقتلون من عرفوا أنه لا يزال حيا[٤]، فكانوا يمرون من

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠.

(٢) من إفادة السيد العلامة عبدالرحمن بن حمود الوشلي النائب الثاني لمفتي الجمهورية الأسبق، كتبها إلي بخطه الجميل، بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٤٣٦هـ - الموافق ٢/ ٦/ ٢٠١٥م، وقد سمع روايتها في أيام شبابه من السيد ضيف الله المهدي نفسه أحد الناجين من مذبحة تنومة، وعمر السيد العلامة الوشلي اليوم يقارب السبعين أطال الله عمره.

(٣) منهم الحاج الطبيب حمادي بن سعد التركي، الذي وصل إلى قوله تعالى: (سلام قولا من رب رحيم)، فأصيب بطلق ناري في جبهته، كان بها استشهاده. من إفادة حفيد الشهيد عبدالله بن أحمد بن حمادي التركي، يرويها عن أبيه عن الحاج الأستاذ غالب الحرازي، أحد الناجين من المعركة ترجمة أرسل بها لي بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٥م.

(٤) زبارة، محمد بن محمد بن يحيى (ت١٣٨٠هـ)، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، خ، بخط ولده السيد العلامة أحمد بن محمد زبارة رحمه الله، انتهى منه في ١١ رمضان، ١٤٠٤هـ، (نسخة خطية في المركز الوطني للمعلومات)، ج٣، ص٣٤٦. ويلاحظ أن النسخة الخطية فيها معلومات كثيرة عن مجزرة تنومة، لم تحظ بالقبول عند ناشري المطبوعة.

بين جثثهم، فمن أصابه عيارٌ ناري وبه رمَقٌ من حياة جاؤوا ليذبحوه أو يطعنوه بحادٍّ للتأكد من فراقه للحياة، وإجماعُ حديث الناجين بأنهم جميعا ممن غاصوا بين الدماء تظاهرا بالموت يدل على بشاعة سلوكِ هؤلاء مع الجرحى إجهازا وفتكا؛ فهذا السيد ضيف الله المهدي على سبيل المثال من محل العرينة عمار محافظة إب، أحد الناجين من هذه المذبحة، نجا؛ لأنه رمى بنفسه في مكان فيه دماءٌ كثيرة، وامتدَّ بينها كالميت[1].

رئيس اليمن الأسبق القاضي عبدالرحمن الإرياني ذكر أن مقاتلي ابن سعود كانوا يتنادون فيما بينهم بقولهم: (اجتلوا المشرج)، أي اقتلوا المشرك[2]، وسمع أحدُ الناجين من آل الذويد من مدينة صعدة وكان قد تظاهر بالموت بين الجثث، سمع أولئك النجديين وهم يطوفون بين القتلى، وأحد قادتهم يسأل جنوده: كم قتلتَ؟ فإذا قال: واحد، قال له: لك قصر في الجنة، وإذا قال له: اثنين، قال له: لك قصران، وهكذا كان يبشرهم بقصورٍ في الجنة بعددِ من قَتَلوا من حجاج بيت الله الحرام[3].

---

(١) إفادة السيد العلامة عبدالرحمن الوشلي، رواية عن السيد ضيف الله المهدي.

(٢) الإرياني، هداية المستبصرين، ص٢٢، مقدمة المحقق.

(٣) من إفادة الأخ محمد أحمد سهيل، من صعدة يرويها عن أبيه عن أحد الناجين من آل الذويد بصعدة.

طوافُهم بين جثث القتلى ليس مستبعدا؛ بل كان ضروريا لقومٍ يتهافتون على القتل ثم الغنيمة التي كان بعضُها مخبوءا في أكمام وجيوب الحجاج، وعليه فلا بد من تفتيش الحجاج، فمن وجدوه جريحا قتلوه، ثم سلبوه، وبهذا يُمكِنهم الجمع بين فضيلتي قتلِ أولئك الجرحى المشركين الآمِّين بيتَ الله الحرام!!، وأخْذِ ما بحوزتهم من غنائمَ حلالٍ!! براحة بال، وطمأنينة نفس.

كان قائدهم (خالدُ بن جامع) أحدُ زعماء عتيبة بحسب جريدة القبلة وبحسب روايات الوهابيين أنفسهم[1]، وعليه فقد اشتبه على الأكوع حين قال: إنه (خالد بن لؤي)[2]، وكذلك على الرئيس الإرياني حين سماه (خالد بن محمد).

وبعد أن أبادوا الفرقة الكبيرة في تنومة عطفوا على الفرقتين في سدوان واللتين كانتا تبعدان عن الأولى بحوالي ١٠ إلى ١٥ كيلومتر، وفعلوا بهما كما فعلوا بالأولى، إلا أن القتل في الأولى كان أوسع وأعظم[3]، وهذا يشير إلى أن الناجين كان أكثرهم من فرقتي سدوان، الفرقتين الأخريين، وأن عامل الوقت كان سببا من أسباب نجاة الكثير منهم.

---

(١) العدد ٣٠٧، ص١.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج١، ص٧٦.

(٣) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠.

بيد أن الوهابيين النجديين لم يكفِهم ذلك، بل انطلقوا لمطاردة الهاربين فمن أدركوه قتلوه صبرا، ثم بعد ذلك استولوا على غنائم أولئك المشركين!! الحجاج!!، فاستولوا على كل ما كان في أيديهم وأثقالهم ودوابِّهم[1]، من المال والقراش[2] والبضاعة[3]، وأخذوا جميع أمتعة أولئك الشهداء[4].

كثير من الناجين تظاهروا بالموت بين الدماء، ويحكي السيد زبارة كيفية نجاة أمير الحج في المخطوط من كتابه نزهة النظر[5]، بأنه أظهر أنه مقتول، فلما جاء الليل مشى على رجليه، وترك جميعَ أدواته، إلا الثوب الذي فوقه، وواصل سفره إلى مكة. ويبدو أن ذلك الثوب لم يسلم من النهب كما هو مقتضى رواية السيد ضيف الله المهدي الآتية.

أما الذين طالتهم سكاكين دواعش ابن سعود وفصلت رؤوسهم عن أجسادهم من أولئك الشهداء فعددهم ٩٠٠ شهيد، كما سيأتي ذلك.

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠.

(٢) يعني البهائم، من الدواب والحمير، وما شاكلها.

(٣) مجهول، بحث مفيد، ق١١٤/ أ-ب.

(٤) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٨.

(٥) نزهة النظر — خ -، ج٣، ص٣٤٦. أما المطبوع فقد حذف ذلك منه.

ومع ذلك كله فإن مَنْ نجا منهم بعد تلك الأهوال تلقاهم أهل القرى القريبة من محل المجزرة، كما تقول سيرة الإمام يحيى، فسلبوهم ما بقي معهم من أموالٍ محمولة، "وسلبوا ما عليهم من الثياب"[1]، وبحسب رواية السيد ضيف الله المهدي أحد الناجين من المذبحة فإنهم لم يتركوا عليهم سوى السراويل، وأن جمعا من الحجاج من بينهم أميرُ الحج وصلوا إلى أحد المراكز الحكومية وليس عليهم إلا السراويل، وقد ترجَّح للباحث أن ذلك المركز هو مركز بارق في تهامة المحاذية لبني شهر من جهة الغرب، وهو مركزٌ كان حينها يخضع لحكم الشريف حسين ملك الحجاز، ومنه أبرق أمير الحج إلى شريف مكة.

وحين نتأمل القرى القريبة من محل الوقعة وبمراعاة أن الحجاج سيهربون في الاتجاهِ المعاكس لعدوهم المطارد لهم، فإنه يتضح أنها قرى تابعة لقبائل بني الأسمر والذين كانوا قد دخلوا تحت حكم ابن سعود.

ونهبُ الثياب بتلك الصورة المشينة سلوكٌ مفاجئ ومنافٍ لما كان يُفْتَرَض بأولئك القبائل من احترام الحجاج، وهو يشير إلى أن

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢١؛ ومجهول، بحث مفيد، ق١١٤/ ب.

استباحة أموال وأعراض وأرواح الحجاج على ذلك النحو كان خلقا نجديا وسمة بدوية وهابية، ولهذا فقد كانت وِجهة الحجاج النزولَ إلى تهامة التي كانت لا تزال خارجَ سيطرة النجديين.

جدير بالذكر أن رجلَ خيرٍ - كما يروي السيد ضيف الله المهدي - في إحدى تلك القرى كان قد تكفل بستر بعض الحجاج الذين صادفوه، ومنهم السيد ضيف الله المهدي، فقطع فراشَه لهم، وصنع لهم عشاء، وأمَّنهم ليلتهم، وفي الصباح أرسلَ أولادَه لحمايتهم وإيصالهم إلى أحد المراكز الحكومية[(١)].

شكل ذلك الرجل نموذجا استثنائيا حيث لم تؤثِّر على سلوكه ووعيه همجيةُ التكفيريين النجديين؛ إذ كان لا تزال فيه بقية من أخلاقِ المروءةِ والشهامةِ وآدابِ الإسلام، بخلاف أولئك الذين تأثروا بهمجية الوهابيين إزاء إخوانهم من اليمنيين، فلم يكتفِ الرجل بتقطيع فراشه لستر عورات الحجاج، بل وأرسل أولادَه لحمايتهم حتى وصولهم إلى منطقة آمنة[(٢)]، ولعلها كما قلت مركز بارق في تهامة.

وهكذا يتبيَّن أنه كان على من نجا من تلك المذبحة أن يغادرِ تلك الجبالَ المشؤومة - التي وطئتها أقدامُ أولئك المتوحِّشين وحطَّت

(١) من إفادة السيد العلامة عبدالرحمن الوشلي، رواية عن السيد ضيف الله المهدي.

(٢) من إفادة السيد العلامة عبدالرحمن الوشلي، رواية عن السيد ضيف الله المهدي.

فيها أخلاقهم الذميمة - إلى تهامة[(١)]، والتي كانت لا تزال صامدة في وجوههم، وهناك وجدوا الشريف راجح حاكم مركز بارق المحاذي لجبال تنومة، كما أوضحت ذلك برقية خطابٍ أبرق بها أمير الحج السيد محمد بن عبدالله شرف الدين إلى الشريف حسين عند وصوله مدينة جدة[(٢)].

جدير بالذكر أنه لما وصل الحجاج إلى تهامة قرَّر بعضهم مواصلة سفرهم نحو مكة عن طريق الساحل، لأداء فريضة الحج، وبعضهم عاد إلى اليمن[(٣)]، وكان ضمن المصمِّمين على مواصلة مشوار الحج أمير الحج السيد العلامة محمد بن عبدالله شرف الدين، وتذكُرُ جريدةُ القبلة أنَّ عددَ أولئك الذين وصلوا معه من الناجين من المذبحة كانوا حوالي ١٥٠ حاجا[(٤)].

---

(١) مجهول، بحث مفيد، ق١١٤/ ب.

(٢) حرر الخطاب بتاريخ ٤ ذي الحجة، ١٣٤١هـ، ونشرته جريدة القبلة المكية العدد ٧٠٥، الخميس ٥ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ١٩ يوليو ١٩٢٣م، ص٤.

(٣) مجهول، بحث مفيد، ق١١٤/ ب؛ وجريدة القبلة، العدد ٧٠٥، ص٤.

(٤) جريدة القبلة، العدد ٧٠٥، ص٤.



(صورة جوية لموقعي تنومة وبارق – عسير)

إن تصميم بعض أولئك المنكوبين على الحج بعد تلقيهم تلك الأهوال دليلٌ على تمسُّك اليمنيين بهذه المشاعر المقدَّسة وتعظيمِهم لها إلى حدٍّ التضحية بأرواحهم وأموالهم وتجاهُل ونسيان كلِّ ما أصابهم.

وجاء دور ابن سعود الشيطاني الذي يأكل مع الذئب ويبكي مع الراعي، ليذرِفَ دموع التماسيح، ويعطيَ لنفسه مكانا قصيّاً من تلك المجزرة، ويتبرأ من تلك الحادثة الشنعاء ذرا للرماد في العيون، وتنصلا من تحمل مسؤولية الجريمة الجنائية، وهو الذي كان قد وصل إلى هدفه السياسي والعسكري والعقائدي، ووصلت رسالته الشنعاء إلى كل يمني.

فبعد المجزرة مباشرة، أرسل حاكم أبها عبدالعزيز بن إبراهيم متبرئا من ذلك العمل القبيح، كما هو السيناريو المرسوم، ونسبه إلى أحد الأمراء النجديين، ثم جاء وفدٌ من أمير نجد ابنِ سعود يخبر بأنه أمر بإرجاع ما أُخِذ على الحجاج، وطلب من الإمام رُسُلا لقبضها، وما زالوا مصرين على "استنكارِهم لما حصل، وتنصُّلهم من تبعة ما جرى"، ونسبتهم ذلك إلى مقاتلي هجرة الغطغط الإخوانية، وأنهم باذلون للإنصاف[1].

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢١. ويقارن مع ما ورد على لسان الحكومة النجدية في جريدة أم القرى بتاريخ رجب ١٣٥٢هـ، ونشرته مجلة المنار، مج٣٣، ص٢١، مقالة: ما بين الإمامين في جزيرة العرب.

وبالتأكيد ذرف ابن سعود دموع الحزن والأسى، تلك الدموع التي ذرفها في تربَة، وفي الطائف، وفي مكة، وهكذا هنا فقد "تأسف للحادث وكتب لسيادة الإمام يحيى كتابا رقيقا!! يظهر أسفه"، "وأمر حالا بجمع ما وُجِد من متاع"، "وردّه إلى سيادة الإمام يحيى"، وحمَّل الإخوانَ المسؤولية مع شيءٍ من التبريرِ لفعلتهم كما تصوّر ذلك وثيقةٌ سعودية منشورة[1]، والتي ستأتي مناقشتها لاحقا.

وبالفعل فقد وصل رسلُ الإمام، ولكن ببعض المنهوبات من "دوابَّ ومنقولاتٍ وبعضِ قيَم السمن"[2]، وقد أخذ منهم ابن سعود صكا بذلك[3]، والتي بالتأكيد لم تكن تمثِّل شيئا من قيمة المنهوبات الحقيقية، وإنما كانت مجردَ تعبيرٍ سياسيٍّ وقحٍ يتظاهر بالإنكار والتبرُّؤ من المذبحة، وكان يراد منها أخذُ صكٍّ بيَّتَ النيةَ من خلاله على التنصل والاستدلال به مؤخرا بعد أن قضى وطره وولَغ كما يشاء في دماء اليمنيين، وكانت أيضا محاولة خبيثة للتنصُّل من الواجبات المالية المترتِّبة على جرائمِ جيشِه بحقِّ الحجاج وأموالهم.

---

(١) مجلة المنار، مج٣٣، ص٢١، مقالة: ما بين الإمامين في جزيرة العرب

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢١.

(٣) سالم، مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٤٨، نقلا عن وزارة الخارجية السعودية، بيان عن العلاقات، ص١٤٤.

ثانياً: الرواية النجدية

تُثْبِتُ المصادرُ اليمنية والنجدية أن ابن سعود ما إن سمع بالمذبحة حتى بادر بإرسال وفدٍ يحمِل "كتابا رقيقا يُظْهِرُ فيه أسفَه لذلك الحادث"، ومثلُه أرسل حاكمُ أبها عبدالعزيز بن إبراهيم، بتحميل المسؤولية على أحد أمراء جيشهم، وبالتحديد على الإخوان الوهابيين من هجرة الغطغط كما تقدم.

هذا ما حدث في حينه، حيث رتَّب ابنُ سعود طرفا ثالثا يحمِّله المسؤولية، بما ينجيه منها، وقرَّر أن يذرف الدموع الثاكلة عليهم.

أما حينما تقدَّم به الوقت سنواتٍ إلى الأمام بعد وقوع المذبحة - وقد ظلَّت القضية معلَّقة لديه حيث ماطل في الحكم فيها وقد حكَّمه الإمام يحيى - فإن وجهة نظر النجديين يلخِّصها بيانٌ توضيحي، صدَرَ في جريدة أمِّ القرى، الصادرة في رجب ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م عندما بدأت غيومُ الحرب تتلبَّد بين نجد واليمن على خلفية أراضي عسير وجيزان ونجران، وردًّا على توضيحٍ منشورٍ لحكومة الإمام يحيى أرسله لبعض الجرائد العربية، وهذه الوِجهة النجدية تتلخص في التالي:

١-"أنه لم يكن إلى حدوث الحادثة بين جلالة الملك وبين سيادة الإمام يحيى أي صلات من التعاقد والتعاهد، ولا هناك أي

مخابرة في سابلة أو مسير ... ، والحادث وقع قبل أي مكاتبة أو استئذان في مرور هؤلاء".

٢-وأن الحجاج مرُّوا بأبها والتقوا بالأمير عبدالعزيز بن إبراهيم. وأنه كان يعلم أنهم سيمرون من منطقة بني شهر (تنومة) في الوقت الذي كان يعلم أن فيها اشتباكات بين جيشه من جهة، وبني شهر المتمرِّدين عليهم من جهة ثانية.

٣-وأنه خاف أن يحدُث على الحجاج حادث في ذلك الطريق فحذَّرهم ونصحهم بتجنُّب التقدم في تلك الطريق، لكنهم رفضوا وأصروا على المسير "معتزين بقوتهم وجمعيتهم".

٤-وأنهم وصلوا وادي تنومة، وكانت خيالة ابن سعود في أسفل الوادي، والمشاة قد تسلَّقوا الجبال لاحتلال الأماكن المنيعة فيها.

٥-وأنه وصل الخبرُ إلى الخيَّالة "أن جَمْعًا عظيما جاءكم من قبل الوادي لقتالكم"، "فأرسلت الخيالة للمشاة بالعودة من الجبال".

٦-وأنه رغم وصول عددٍ كبير مثل ذلك العدد في تلك الساعة الرهيبة من ساعات الحرب وأنه يدعو للريبة ولعدم التساهل، ورغم شدة الإخوان وغلظتهم وقسوتهم، إلا أنهم أرسلوا خيالة لاستطلاع أولئك القادمين.

٧-وأن ذلك الاستطلاع تأكَّد لديه أنهم عصبة الـحـجـاج الـيـمـنيين وأنهم يريدون المرور من تلك المنطقة.

٨-لكن جيش ابن سعود فجأةً أمرهم بالعود إلى حيث أتوا، فأبى الـحـجـاج، وصمَّموا على المسير، وقتالِ من يقاتلهم.

٩-تضيف الرواية النجدية: "ثم ساروا بهيئة حربية، وحصل إطلاقُ بعضِ العيارات النارية منهم للإرهاب والمرور".

١٠-وتقول: فلم يكن من جند الإخوان إلا "أن قابلوا العدوان بأشدَّ منه، وكانت المعركة التي قُتِل فيها من قُتل"، وتتحاشى تلك الرواية أن تصف الـحـجـاج بالشـهـداء.

١١-وتذكر الرواية أن الإخوان كانوا يعتقدون أن هذه العصبة "لم تقدُم في تلك الساعة من اليـمـن إلا نصرة للملك حسين وتأييدا للعصاة".

١٢-وتذكر الرواية أنه بمجرد وصول الخبر إلى ابن سعود فقد تأسَّف للحادث أيَّ أسف، وكتب لسيادة الإمام يـحـيـى كتابا رقيقا يظهر فيه أسفه للحادث، وأمر حالا بجمع جميع ما وجد من متاع للحـجـاج، ورده إلى الإمـام يـحـيـى.

١٣-وأنه لم يُخْلِ ابنُ سعود جيشَه "من المسؤولية رغم ما لديهم من شُبَهٍ، فجازاهم بعد ذلك الجزاءَ الذي يستحقون".

١٤-ويضيف المنشور استفهاما نصُّه: "فهل يرى ذو الحجى والعقل بأن على جلالة الملك أو على جنده تبعةَ شيءٍ من ذلك، بعد ما كان من نهيِ أميرِ (أبها) لهم عن المسير"، وبعد أن كان من الجند مَنْ منعهم عن التقدُّم، وعصيانِهم للفريقين، ثم لم يكن من الإمام يحيى طلبٌ سابقٌ يطلب الرخصة لهم".

١٥-ويختم المنشور بتساؤل هو: "فهل هناك عرفٌ دولي يقضي بمسؤولية حكومتنا في ذلك؟" فيجيب: "إنا نترك الحكم في ذلك لعلماء الإسلام، كما نتركه لعلماء الحقوق من الباحثين"[1].

ويضيف عبدالواحد دلال وهو مؤرِّخٌ يتبنَّى وِجهة نظر الحكومة النجدية:

١٦-أنه كان قد تداعى إلى الأسماع بينما كانت رحى الحرب مشتعلة أن هناك قوات أخرى بعثها إمامُ اليمن لمساعدة ابن عائض!!، بناء على مراسلة بينه وبين الشريف حسين للتصدي للملك عبدالعزيز، وأن حاكم عسير عبدالعزيز بن إبراهيم تفحَّصها ووجد أنهم حجاج، وسارع باستقبالهم على مشارف أبها، وأكرم وفادتهم.

---

(١) مجلة المنار، مج٣٣، ص٢٠، مقالة: ما بين الإمامين في جزيرة العرب؛ نقلا عن جريدة أم القرى السعودية، أول رجب سنة ١٣٥٢هـ.

١٧-وأنه بادر بإسداء النصح لرؤساء القافلة بأن يسلكوا طريقا أكثر أمنا حدَّده لهم، ودلَّهم عليه، ولكنهم لم يستمعوا إلى نصيحته. وأنه عندما لم يستمعوا لنصيحته أخذ منهم كتابة خطية بأن النجديين ليسوا مسؤولين عن أي خطرٍ يحيق بهم، أو شرٍّ ينالهم.

١٨- وأن بعضهم كان يحمل السلاح، ربما للحراسة، لكنه على أية حال يثير الشك لدى المقاتلين في الميدان.

١٩-وأكد أن المقاتلين (الإخوان) ظنوهم مددا لقوات الشريف حسين بموجَب المعاهَدة الموقعة[1] بينهم عام ١٣٤٠هـ، فقاموا بتطويقهم وأصلوهم نارا.

٢٠-ويذكر المؤرخ النجدي خلاصة اتهامهم للحجاج بأنهم "قوة تتخفَّى بلباس الحجيج، وعددُهم كبير، وأسلحتُهم ظاهرة، وشاهرة".

٢١-وختم المؤرخ النجدي بإهدار دمهم، حيث "أن المدنيين الذين يزُجُّون بأنفسهم في ميدان الحرب، أو ساحة القتال مهدورو الدم، خاصة إذا ما أُنْذِروا بالابتعاد عن ساحة المعركة"[2].

(١) لم توقع المعاهدة، كما مر، وكانت لا تزال مشروعا لم يكتمل.

(٢) دلال، عبدالواحد محمد راغب، مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية (دراسة نقدية)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، القاهرة، ص٤٨- ٥٢؛ وينظر أيضا: دلال، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ص٢٠٧- ٢٠٨.

ثالثاً: مناقشة الدكتور الوجيه للرواية النجدية

اعترافا بالفضل والسبق للدكتور عبدالرحمن الوجيه رحمه الله فإنه لا بد من إيراد المناقشات التي ردَّ بها على الرواية النجدية، إذ يقول وما أصدق قوله:

"لكن الأدلة والشواهد تُثبِت أن المجزرة لم تكن حادثا عرضيا لعددٍ من الأمور:

وذلك لأن التبريراتِ النجدية واهية، من حيث:

١- القول بأن الحجاج رفضوا الاستماع إلى نصيحة القائد السعودي، وأصروا على سلوكِ الطريقِ المحفوفِ بالمخاطر لا يقبله منطق عاقل .. سواء كانت قوات متنكرة أم حجاجا، فإن كانوا حجاجا فما مصلحتُهم وقد قاربوا على الوصول إلى مكة ... أن يرفضوا الطريقَ الآمن، وإذا كانوا قواتٍ متنكِّرة فما الفائدة التي سيجنونها من الإصرار على سلوك الطريق الخطرٍ.

٢- إن القول بأن القائد السعودي أخذ تعهُّدا من قافلة الحجاج بأن الحكومة السعودية لا تتحمَّل أيةَ تبعة، إذا نزلت بهم نازلة - يدل على أن الأمر دُبِّر بليل، فلا يُعقَل أن تكون الصلة منبتَّةً بين ذلك القائد وتلك القوات المرابطة في نفس المنطقة، إن ذلك القول

يصدُق في حالة ما إذا كان الخطرُ المحدِقُ من جهةٍ غيرِ سعودية، أما أن يكون أخذ التعهد سعوديا والقاتل سعوديا، والمنطقة تحت الاحتلال السعودي فهو ما يؤكِّد أن العملية مدبَّرة ومخطَّطة.

وإذا كان القائد السعودي قد أكرم وفادة الحجاج كما يقولون فلِمَ لمْ يُرْسِل إلى القوات المرابطة في تنومة يُخْبِرُها بهُوِيَّة القافلة التي ستمر من ذلك الطريق خصوصا وأنه توقع الخطر[1].

٣-والقول بأن القوات السعودية أطلقت النار على الحجاج ظنا منهم أنهم جاؤوا متنكِّرين بلباس الحج - عذرٌ أقبح من ذنب، فقد سبق أن قالوا: إن عاملهم في المنطقة قد التقى بالحجاج وأكرمهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هل الالتباس والظن يؤدي إلى إطلاق النار مباشرة، والقضاء على الآلاف دون شفقة أو رحمة ... ومن ناحية ثالثة فإن اختيار مكان الضحايا يدل على دقة التخطيط والتنفيذ، وعلى أن لديهم معلومات مُسْبَقَة عن خطِّ سَيْرِ الحجاج، ويدل على ما تميَّز به القتلة من وحشيةٍ وقسوةٍ ينفيان وقوعَ الحادث عن طريق الخطأ"[2].

---

(١) الوجيه، عسير في النزاع السعودي اليمني، ص١٢٥- ١٢٦.

(٢) الوجيه، عسير في النزاع السعودي اليمني، ص١٢٦- ١٢٧. وقد ذكر في جملة الردود أن لباس الحجاج لثياب الإحرام ينفي الشك بأنهم مقاتلون. وهذا وهم من الدكتور رحمه الله؛ إذ لم يكن الحجاج قد وصلوا ميقات الإحرام، ولم يكونوا قد أحرموا بعد.

رابعاً: مناقشة إضافية للرواية النجدية

كما يلاحَظ على الرواية النجدية عددٌ من الملاحظات والمغالطات والتناقضات والتبريرات الفاضحة التي بعضُها لا تقل قبحا عن الذنبِ نفسِه، وبعضها متداخل مع ما ذكره الدكتور الوجيه رحمه الله.

- فعلاوة على اختلاقِ كذبةِ عدم وجود أية علاقات بين الإمام يحيى وابن سعود أو حكامه، والتي تثبتها الرواية اليمنية، ويصدِّقها الواقع، وشواهد الحال، وأن عالِما وزعيما حصيفا كالإمام يحيى أو كأميرِ الحج وهو الذي كان منظما ومرتبا في جميع أمور حياته كما سيأتي في ترجمته، وكذلك من معه من الأشراف والقضاة، لا يمكن أن يخاطروا بأرواحِ أعدادٍ كبيرة منهم بإصرارهم على سلوك طريقٍ غير آمنة، ومن غير مكاتبة، وقد مرَّ أنهم تلقَّوا تطمينات من ابن سعود وحاكمِه على (أبها)، بأمان الطريق، ودليل ذلك أنهم يعترفون باستقبال حاكم أبها لهم بحفاوة.

- ثم منذ متى كان عدم وجود علاقات بين بلدين في ذلك الوقت، أو عدم طلب بلد من البلدان بالاستئذان في المرور - محلِّلا لدماءِ حجاج اعتادوا المرور من تلك الطريق عاما بعد عام، ولم يكونوا قد اعتادوا على إجراءات الجوازات؛ إذ لم تكن موجودة ولم يُتَعامَلْ بها بعدُ في البلدين.

- ولماذا ظهر هذا الطلبُ فجأة في ذلك العام، ولماذا ظهرَتْ شكوكُ ابنِ سعود وجنودِه إزاءَ أولئك الحجاج في تلك السنة، التي تسرَّب فيها خبرُ المعاهدة بين الحجاز واليمن؟ لماذا لم يحدُثْ مثلُ ذلك الشك في حجاج عام ١٣٤٠هـ أو ١٣٣٩هـ؟ لا سيما وابن سعود كان قد سيطر على تلك المنطقة من عسير قبل تلك المرة؟ وفي ذلك العام كان الأمير فيصل بن عبدالعزيز قد جاء إلى هناك وبسط سيطرته على المنطقة، فلماذا لم يتم الاعتراض على أولئك أو حتى قتلهم في الأعوام السابقة؟.
- وهل عدم استئذان الجانبِ اليمني يحلِّل قتلهم على سبيل الإبادة رجالا ونساء؟ ثم وهل يحلل قتلهم بتلك الطريقة البشعة والشنيعة التي يقر بشيء منها منشورُ النجديين؟ بإطلاق النيران عليهم، ثم بالذبح والطعن لمن لا يزال به رمق من حياة، ثم بمطاردة الفارِّين وملاحقتهم والحرص على إبادتهم؟! لماذا لم يكتفِ هؤلاء بكسر شوكتهم وتفريقهم وإرغامِهم على العودة؟ ولماذا أيضا نهبوهم أموالهم وحتى ملابسهم وثيابهم؟.
- ولماذا نصحهم حاكم أبها بسلوكِ طريق آخر بحسب الرواية النجدية، وهم يشكُّون أنهم جنودٌ متنكِّرون في زي الحجاج دعما للملك حسين؟ وأنهم بناء على ذلك سيصلون إلى مكة من خلال

ذلك الطريق الآخر؟ أليس هذا يكشف تناقض الرواية النجدية وضعف تركيبها وأنها مركّبة لاحقا لتبرير الجريمة النجدية؟!.

- ثم السؤال أين كان سيساعد هؤلاء المقاتلون المتنكرون رجالا ونساء الملكَ حسين بحسب ظنون النجديين؟ هل كانوا سيساعدونه في تنومة؟ أم في مكة؟ فإن كان في تنومة فكيف سمح لهم حاكم أبها بالمرور إلى تنومة ولم يوقِفْهم هناك، وإن كان في مكة فلماذا نصحهم بسلوكِ طريقٍ آخر أكثر أمنا سيوصلهم إلى مكة، وهو خلاف رغبة النجديين وما تتطلبه شكوكهم؟

- وقولهم: إن المقاتلين أرسلوا مستطلِعين عن الحجاج، ثم إنهم اعتقدوا أنهم نجدة للملك حسين — قول متناقض جدا، فالمُسْتَطْلِع يفترض به الجهل، فمن أين ظهر لهم هذا الاعتقاد بكونهم نجدة فجأة في ذلك الوقت، وليس هناك من أمارة ولا دليل على أنهم مقاتلون.

- ولماذا تناقضَت نصائحُ عبدالعزيز بن إبراهيم التي تتمحور حول سلوك طريق آخر، مع أوامر جيشه من إخوان الغطغط والتي تأمرهم بالعودة إلى اليمن؟ وما هي النصيحة التي يتبناها الجانب النجدي الرسمي، هل هي أوامر حاكم أبها أم أوامر جيشه الوهابي في تنومة؟

- وبالإضافة إلى ما ذكره الوجيه، فإنه لو صحّ ما ادعاه النجديون أن بحوزتهم كتابا خطيا من أمير الحج ورؤساء القوافل لأرسل به حاكمُ أبها عبدالعزيز بن إبراهيم أو حتى ابن سعود إلى الإمام يحيى، ولنَشَره السعوديون نصا وصورة في منشورات الوثائق السعودية اللاحقة؛ لأن في نشره حجة قاطعة لمنع التقولات بإلقاء التبعية على عساكر ابن سعود[1].

- وتعترف الرواية النجدية متفقة مع الرواية اليمنية بأن جيش ابن سعود كان قد أمسك بعنان المنطقة وطوَّقها، وأنهم كانوا في حالة الاستعداد، فالمشاة في أعالي الجبال، والخيالة في أسفل الوادي، أي أنهم كانوا جاهزين في وضعِ الكمين المنتظِر لفريسته التي ينقضُّ عليها بلا رحمة ولا هوادة.

- وهناك علامة استفهام كبيرة حول هُوِيَّة ذلك الذي أوصل الخبر إلى جيش ابن سعود في تنومة، وأبلغهم بأن "جمعا عظيما جاءكم من قبل الوادي لقتالكم"، هل هو حاكم عسير الذي أظهر للحجاج وجه البشاشة ونشَرَ حبالة المودة، ثم أوقع بهم؟ أم هو

---

(١) ينظر: مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج١، ص٣١٨- ٣١٩، مقدمة المحقق الدكتور صالحية.

رسولٌ خاص من قبل ابن سعود نفسه؟ أم هو رسول من جهة أخرى غير معروفة؟ ومن هو المستفيد من هذا الخبر؟ وما الذي كان يريد الوصول إليه؟ ولماذا وثق في قوله أولئك المقاتلون وتيقنوا صدقه؟ هل لأنه رسول من جهة يثقون بها؟!

- وتقول الرواية النجدية: إن جيش ابن سعود طلب من الحجاج العودة وليس سلوكَ طريق آمِن كما هو طلب حاكم أبها، والواقع أنهم مجرد جيش مأمور، ليس عليه أن يأمُرَ مثلَ هذه الأوامر، وينفِّذَها بالقوة، بينما مَنْ هو الآمرُ ومَنْ له حق تنفيذ الأوامر بالقوة - وهو عبدالعزيز بن إبراهيم - لم يفعل ذلك، ولم يستخدِم قوته لمنعهم من سلوك ذلك الطريق ولا حتى سلميا؟ فلماذا كان هذا؟

- تعترف الرواية النجدية أن الإخوان الوهابيين كانوا قد تعرَّفوا بشكل دقيق على جماعة الحجاج ورأوهم عن كثب وتحاوروا معهم، أي أنهم رأوا ما يحملونه من سلاح، ومال، وهو أمر لا يتفق مع تكتيكات الإخوان القتالية التي تعرفنا عليها سابقا والتي لا تترك للخصم فرصة للتفكير وللدفاع عن نفسه، وتهجم عليه كنسيج متوحِّش، وهذا التكتيك يتفق تماما مع الرواية اليمنية للحادثة.

- وإن تعجبْ فمن تلك الكلمة السخيفة التي وردت في منشور النجديين، والتي تقول: "وساروا بهيئة حربية"، "وأن جيشهم قابل العدوان بعدوان أشد"، فلا ندري كيف كانت تلك الهيئة وأي نوع من المشية كانت، وما هي الأهازيج والزوامل التي ردَّدوها حينها؟ وكيف كانت طريقة عرض النساء منهم والعجزة وكبار السن؟ وبأي سلاح كان يتسلَّح جمهورُهم رجالا ونساء؟ وما هو العدوان الذي نفذوه؟ وقولهم هذا يناقض الثابت قطعا أنهم باشروا قتلهم وهم في حال الغداء، وبعضهم في حال شد رواحلهم، وبعضهم كان قد انتهى من ذلك.

- ولماذا لم يشكَّ حاكمُ أبها في كونهم مَددا، ولا حتى مجرد الشك، ثم لماذا لم يحاول منعهم بالقوة، وهو الحاكم الذي بيده المعلومات والتوجيهات؟ بينما تيقَّن جيشه الوهابيون يقينا خوَّلهم إبادتهم عن بكرة أبيهم، لماذا تيقَّنوا أنهم مقاتلون؟ ثم لماذا نجد ابن سعود وبسرعةِ لمحِ البصر يتيقَّن هو الآخر - وبشكل مفاجئ وهو القابع في الرياض - كمالَ اليقين أنهم بالفعل حجاج، وليسوا بمقاتلين، ولكن جنوده ظنوهم كذلك؟! ولهذا أرسل سريعا بخطابٍ رقيق إلى الإمام وأمر بإرجاع ما بقي من متاعٍ لهم؟ فهل كان مجردُ موتهم وإبادتهم هو الفارق الذي جعل جيش ابن سعود يظنهم مقاتلين،

بينما جعله يتيقَّن أنهم حـجـاج؟! من الذي وزع الشك واليقين على هذه الجهات الثلاث بشكل مدبر وبسرعة غير عادية؟!.

- ولماذا وقد عرف ابنُ سعود مظلوميتَهم ظلَّ يماطل في الحكم، وقد حكَّمه الإمام، فتنصَّل ذلك التنصُّل الوقِح من أيةِ تبعةٍ عليه وعلى جنوده إزاء الضحايا وأموالهم وذويهم، أليس ذلك أمرا يتناقض كلية مع اعتذارِه وخطابِه الرقيق، ومع ما زعمه المنشور بأنه "لم يُخْلِ الإخوان من المسؤولية"، وأنه "بعد ذلك جازاهم الجزاء الذي يستحقون"؟!

- ويترجح أن هذا الفصيل بذاته من الوهابيين الإخوان كانوا جزءا من جيش الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذي قدِم عسير لإنهاء ثورة ابن عائض ومكث شهورا في ذلك العام قبل عودته إلى الرياض[1]، وذكر الريحاني أن عدد جيش فيصل في تلك الغزوة كان مؤلَّفا من ستة آلاف من الإخوان، وأربعة آلاف من عرب قحطان وزهران[2]، أي أنهم كانوا منظَّمين ولهم قيادة وتسلسل إداري يتصل بابن سعود.

---

(١) آل زلفة، محمد بن عبدالله، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، الرياض، ص٥٠،٥١، ٦٠.

(٢) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣٠٢.

- يقصُدُ المنشورُ بقوله: "وجازاهم بعد ذلك بالجزاء الذي يستحقون"، أنه تصادم مع الإخوان وقادتِهم في معركة السبلة عام ١٩٢٩م، وقتل بعض زعمائهم، واستسلم له بعضهم، ولكن الحقيقة أن فرقة من الإخوان واحدة وهي الغطغط هي التي ارتكبت هذه الجريمة فلماذا عمَّ كلَّ فرق الإخوان وفصائلهم بهذا الجزاء؟ ولماذا سامح من استسلم من الغطغط وأبقاه حيا وأكرم مثواه؟ ومنهم ماجد بن خثيلة الذي كان أهم مساعدي حاكم الغطغط سلطان بن بجاد العتيبي؟ ثم لم ينقل أنه في تلك الأحداث عاب عليهم فعلتهم في اليمنيين بأي شكل من الأشكال، ولم تطرح عليهم هذه القضية باعتبارها جرما يستحقون به العقوبة أبدا؟ ثم كيف صحى ضميره بعد حوالي ست سنوات ليجازي من عاد فيما بعد يبرِّر لهم فعلتهم وجريمتهم من جيشه بعد القضاء عليهم، ومن لا يزال يتنصل من أي تبعة تلزمه وتلزمهم؟ ولماذا لم يصْحُ ضميره بناء على ذلك بتعويض أولئك الضحايا ودفع دياتهم ورد ممتلكاتهم المنهوبة؟
- حاول ذلك المنشور النجدي تبرير قتلهم بأنهم خالفوا أوامرَ ونصائحَ حاكمه على عسير وجنده في تنومة، وأنهم ساروا بطريقة حربية، فمنذ متى كان جزاء المخالف القتل؟ ومنذ متى

علَّمهم الإسلام أن يبدأوا بقتالِ من لا يقاتلهم؟ وهل كان حرصهم على إبادة جميع الحجاج جزاء وفاقا على تلك المخالفة؟ وهل كان التذفيف على الجريح أمرا طبيعيا في الإسلام؟ وهل كانت مطاردة الناجين منهم وقتلهم أمرا طبيعيا أيضا؟ ألم يكن الحصار والمنع كافيا؟ ثم ألم يكن كسرُ شوكتهم بقتلِ وأسرِ المسلَّحين منهم أو كبارِهم كافيا؟ فلماذا طاردوا الناجين وذفَّفوا على الجرحى؟ وحرصوا على إبادة الجميع رجالا ونساء؟.

- ثم لماذا قتلوا النساءَ والعجَزة والذين لا يُنْتَظَرُ منهم أيُّ مددٍ ولا أي غناء للملك الحجازي ابن عون؟

- ولماذا لم يَخَفْ هذا الجندُ الوهابي غائلة تصرُّفِه المتسرِّع بقتل هذا العدد الضخم من المشكوك بأمرهم؟ لماذا لم يخافوا من قتلِ مسافرين قادمين من مناطق هم يعلمون حق العلم أنها تخضع لحاكم عسير، وأن أيَّ قادم منها لا بد أن يكون مأمون الجانب لا يشكِّل أية خطورة على صاحبها وجيشه ؟ بل من كانوا في سدوان لا زالوا في أراضٍ خاضعة لحكم ابن سعود؟ كيف لا يخافون من حاكمهم أنهم قتلوا مسافرين مروا من عنده؟!

- وإذا كانت الفرقة التي وصلت إلى تنومة هي الفرقة التي طالتها

نيران النجديين؛ لأنها وصلت في مناطق الاشتباكات فما عذرُهم في مَنْ لا يزالون في مناطق بني الأسمر في سدوان والتي كانت آمنة وأهلها من الموالين لابن سعود؟!

- وقد دلت الروايةُ النجدية أن ابن سعود اعتبر قتلهم كضرطة عنز في فلاة من الأرض، فلا هو الذي ردَّ أموالهم وممتلكاتِهم كاملة، ولا هو الذي أصدر حكمه وقد حكَّمه الإمام يحيى؟ ولا هو الذي ودَى الضحايا بأية ديات، وهذا المنشور أكَّد أنه لم يدفع دية أي شهيد منهم، وقد أكده الإمام أيضا في رسالة لتلك الجريدة وغيرها، والذي أيضا أكَّده أحد رجالات اليمن، وابن أحد شهداء تنومة، وهو القاضي الحسين بن أحمد السياغي؛ إذ يقول في ترجمة والده وأنه استُشْهد مع آخرين: "واستفتح الملك عبدالعزيز بقتلهم الحجاز، وباء بدمائهم وأموالهم ولم يتخلص منهم إلى أن توفي"[1].

وهو أمر يرد على أولئك الذين أشاعوا أنه أنصف الشهداء ودفع دياتهم ومنهم الأمير أحمد بن محمد بن الحسين حميد الدين[2].

- وأخيرا هل مرور عدد ضخمٍ مثل ذلك العدد أياماً وليالي في أراض يسيطر عليها ابن سعود، وهو يشك أنهم مدد، يمكن أن

(١) قواعد المذهب الزيدي، ص٢٢ (الهامش).

(٢) الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، ج٢، ص١٧٤.

يكون بدونِ علمِ ابنِ سعود، ثم اتخاذ قرارٍ بتصفيتهم على ذلك النحو يكون أيضا بدون علمه؟!

وبهذا النقاش المطوَّل يتبين أن مدرسة قرن الشيطان التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطلَّت من هذه النافذة بأكاذيبها وترهاتها ولَبْسِها الحقَّ بالباطل، لكن كيد الشيطان وأوليائه كان ولا يزال ضعيفا، إذا ما تجلَّى الحقُّ واستطال عمودُ حججِه وبراهينِه.

خامساً: ابن سعود هو العقل المدبِّر للمجزرة

إن تناقضات الرواية النجدية واضطرابَها وهشاشة تركيبها ومغالطتها للحقائق التاريخية ومعارضتها للمنطق تشي بأن وراء الأكمة ما وراءها، بل إن الظروف والأسباب والطريقة التي نُفِّذت بها المذبحة تُرجِّح أن عبدالعزيز ابن سعود نفسَه كان المسؤولَ الأول عنها، وأنه هو من اتخذ القرار بإبادتهم؛ لعدد من الأمور:

١- لما ذكره الدكتور الوجيه من قرائنَ وأحوالٍ تبرهنُ أن الحادث مدبَّرٌ مخطَّطٌ له، ولما سبق ذكره من قرائنَ وأحوالٍ تؤدِّي إلى ذلك.

٢- لأنه هو الذي تسرَّب إليه خبرُ المعاهدة التي يفتَرَض أنها من أسباب القيام بتلك المجزرة، وبكون الرجل كان مشهورا باليقظة المتوحِّشة، وانطلاقا من مفهوم الحزم النجدي الذي رأيناه اليوم

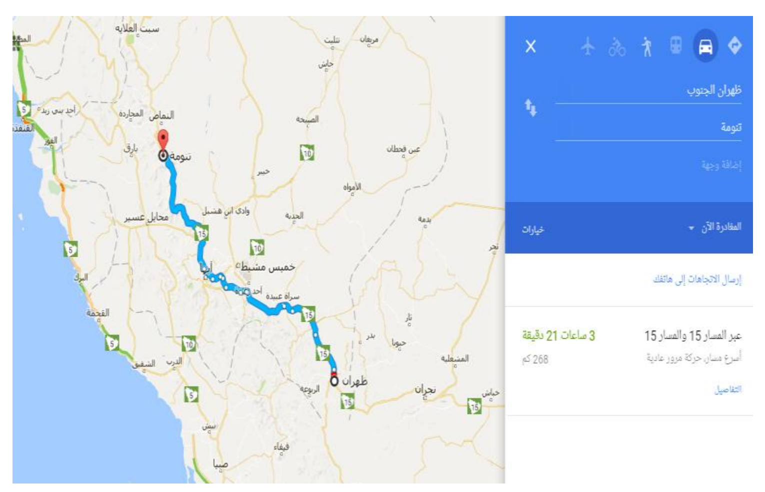
في أبنائه وأحفاده، فإنه يقتضي قيامَه بسفكِ دماءِ المشكوك فيهم، بل وحتى الأبرياء تنكيلا بمن عداهم، وكسرا لإرادتهم، وصناعةً للرعب في قلوبهم.

٣- لم يحدُث أن تعرَّض النجديون للحجاج اليمنيين قبل ذلك العام، وقد مرُّوا في نفس الطريق، وبهذا يتبيَّن أن هناك قرارا بتصفيتهم اتُّخِذ في ذلك العام بعد تسرُّبِ خبرِ الاتفاقية، وهو القرار الذي طبيعته وحجْمُ أثره وخطورة تداعياته تَفْتَرِض أن يُتَّخَذ في أعلى سلطةِ قرارٍ نجدية.

٤- إن مرور القافلة حوالي ١٢ يوما[(١)] في منطقة عسير التي كان يسيطر عليها النجديون، بل وحوالي ٦ أيام من أبها إلى تنومة،

(١) عدّد القاضي الأكوع في كتابه دروب الحج، ص١٧٧، ١٧٨، محطات وقرى طريق الحاج، فبلغت من ظهران اليمن جنوبا حتى تنومة شمالا حوالي ١٩ محطة، وبلغت مراحلها حوالي ١٢ مرحلة، وقال القاضي العلامة الجرافي، أحمد بن أحمد بن محمد (ت بعد١٣٩٧هـ)، في تعليقة عن المجزرة، كتبها بتاريخ محرم ١٣٤٢هـ على حامية كتابه ديوان المتنبي، موجود في مكتبة مركز بدر العلمي، وهو والد مفتي الجمهورية السابق القاضي العلامة محمد بن أحمد الجرافي، قال: إن تنومة على قدر أحد عشر يوما من صعدة، وإذا عُرِفَ أن الحاج اليمني يقطع مسافة طولها حوالي ١١٨٩كم، من صنعاء إلى مكة المكرمة، خلال شهرين كما ذكرت ذلك جريدة القبلة المكية، فإن المسافة التي اجتازها الحاج اليمني في أراضي عسير المحتلة حتى تنومة تقدر بـ٢٦٨ كم، وهذا يفترض أنهم بالفعل احتاجوا لما يقارب ١٣ يوما ونصف يوم، وهو رقم مقارب جدا لما ذكره القاضي الأكوع.

يـبين أن هنـاك وقتـا كافيـا للتواصـل بـين حـاكم عسـير وأمـيرهِ في نجد، ولاستشارته حول فعل الـلازم، واستقبال توجيهاته وترتيب وإخـراج مـؤامرة كبيرة بحجـم تلك المـذبـحــة الهائلة، علمـا أن الاتصالات البرقية كانت متيسرة في مدينة أبها وبشكل يومي.



(خط سير الحجاج داخل أراضي عسير المحتلة)

٥-يتــرجَّحُ جــدا أن حــاكم عسـير رفَـعَ تقريـرا بحالـة الـحـجــاج وعددِهم ووضعيتِهم عند مرورهم بأبها إلى أميره في نجد، وأنه استشاره في فعل ما يلزم، لا سيما مع تسرُّبِ خبرِ المعاهدة التي لم تكن قد رأتِ النورَ بعد، ومع ادعاءات الـيـمـنيين بأحقيتهم في عسير، وطموح النجديين في تملُّك الجزيرة العربية، واعتمادهم

على استراتيجية صناعة الرعب في قلوب خصومهم، الرعب السابق لأية معركة معهم، ويمكن أن يحقق قتل هذه القافلة بتلك الطريقة الوحشية ذلك الهدف المنشود لهم.

إنه سلوكٌ ينسجم مع السلوك الوهابي النجدي العام في مناطق أخرى من الجزيرة العربية وفي الشام والعراق، وهو أنسب سفارة لنقل الرعب إلى قلوب اليمنيين، ولكن خوفا من الفضيحة أمام الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي فقد اقتضت الترتيباتُ إظهارَ حاكم أبها الاحترامَ للحجاج، وضيافتهم، حتى إذا ما وصلوا إلى منطقة الاشتباكات أرسلوا لإخوانهم الوهابيين هناك بالتوجيه بقتل أولئك المسلمين المشركين!! على حد زعمهم وأن لهم ما في أيديهم من الأموال.

٦-ولا يبعُد أن يصرِّح لأولئك التكفيريين الوهابيين بأن أولئك الحجاج مددٌ متنكِّر للملك الحجازي الشريف حسين ابن عون، وأكد ذلك قول الرواية النجدية أن هناك من أوصل الخبر إلى مقاتلي الإخوان بأن جيشا عظيما قدِم لقتالكم، وهذه اليد الخفية التي أوصلت ذلك الخبر ووثِق في قولها المقاتلون الوهابيون لا بد أن تكون يدا قريبة من أمير نجد، أو من حاكم عسير، وإلا فإنهم لن يثقوا في قولها، وزعمها، وبهذه الترتيبات

يمكن لملك نجد أن ينفِّذ فعلته البشعة ويحقِّق أهدافه وفي الظاهر أنه كان بعيدا عنها.

٧- إن ما نقلته جريدة المنار عن جريدة أم القرى حول المنشور النجدي الذي يبرِّر الجريمة في المجمل، ويحاول أن يلقي باللائمة على الحجاج، وهو نوع من تبرئة الجلاد وتحميل المسؤولية على الضحية، مع ترددٍ واضطراب، فلا هو الذي حمَّل جنده المسؤولية، وتحمَّل تبعات ذلك، ولا هو الذي حمَّل الحجاج المسؤولية بشكل سافر، إن ذلك يشير إلى إرادة التغطية على الفاعل الذي لا يريدون إظهاره؛ لأنه كان حريصًا على التخفي والتنكُّر، وليس هو إلا عبدالعزيز ابن سعود.

٨-إن ترك الحجاج في العراء من غير دفنٍ ولا تَكرِمة، وتعاملَهم معهم كأنهم كفار مشركون، لا حرمة لهم، وحتى عندما اعتذر ابن سعود، فلم يُنْقَل من أحدٍ أنه هو أو حاكمه على أبها أعار أدنى اهتمام أو بذل أية عناية بالجثث، وبدفنها، ومواراتها الثرى، وقد ذكر الشعراء اليمنيون كما سيأتي أنهم تركوهم ممدّدين على الثرى للسباع والطير تأكلهم، وكذلك عدم وجود مقبرة معروفة حتى اليوم لهؤلاء الضحايا مع هول تلك المجزرة وكثرة ضحاياها، وبشاعة فعلها - دليلٌ على ذلك الإهمال المتعمَّد، بل ما أكَدته الرواية الشعبية في منتديات تنومة وهو أن الجثث بقيت

أياما حتى تعفَّنت وتحلَّلت، ثم جاء سيلٌ وأخذَ ما بقي منها[1]، كل ذلك دليل على أن الجريمة كانت مبيَّتة ومدبَّرة، وأن هؤلاء الحجاج كانوا ضحية استهداف سياسي حقير، واستبيحوا لأسبابٍ عقائدية تكفرهم وتستبيح دماءهم وأموالهم، وتدل على أن عبدالعزيز نفسَه لم يستطع حبْكَ مسرحيته كاملة، فقد ترك ثغراتٍ فيها شاهدة على تعمُّده إزهاق أرواحهم، وأن خطابَه الرقيق واعتذارَه لا ينبئ عن واقعٍ حقٍّ، ولا عن اعتقادٍ حقيقيٍّ بندمٍ نفسي، بقدر ما يعبِّر عن النفاق، وذرِّ الرماد على العيون.

٩-ورغم تحكيم الإمام يحيى لابن سعود فإنه ظلَّ متنصِّلا عن إصدارِ أيِّ حكم، وعن تحمُّل أية تبعة، حتى بعد أن تفجَّر النفط في بلاده، وابتلاهم الله بالمال الكثير، لم تسغْ نفوسُهم أن يعوِّضوا أسر الضحايا بما يلزمهم. وهو أمرٌ يؤكد أن ابن سعود ظلَّ مصرًّا على جريمته مدافعا عنها بأفعاله، وأنه لم يكن نادما يوما على ما ارتكبت يداه.

١٠- كشفَتْ طريقةُ سرد الرواية النجدية - وما اشتملت عليه من ادَّعاء أخذَ التعهُّد الخطِّي من الحُجَّاج - عن أمرٍ يراد تدبيره بليل، وعن جريمة بيَّت لها المعتدون سيناريوها معقَّدا، يلقي

---

(١) منتديات تنومة، رواية كاتب فيها، عن أبيه حسن بن حمود، على الرابط: .http://www.tanomah.net/vb/showthread.php?t=12122

باللوم على طرف آخر، أو على الضحية أكثر من الجزار، ودلت تناقضاتُها الكثيرةُ وهشاشة تركيبها على أنها رواية لم تعبِّر عن الواقع الفعلي، وأن ارتكاب مذبحة بحق حجاج أبرياء مسافرين، وبذلك العدد الكبير منهم، وعلى ذلك النحو البشع والفظيع، أمرٌ لا يمكن حدوثه، واتخاذ القرار فيه من قائدٍ ميداني، أو من حاكم محلي، أو من فرقة جيش مرابطة، وليس منطقيا أن يتولى أمره حاكم أبها بمفرده، بل لا بد أن يصدُرَ به قرارٌ من أعلى سلطة في نجد، وربما بقرار دولي، أي من ولية أمر ابن سعود آنذاك وهي بريطانيا.

١١- لهذه القرائن والأمارات أرجِّحُ ذلك الاتجاه الذي يُلقي بتبعة الحادث على أمير نجد، وأنه "تم بناء على أوامرَ صريحةٍ من قبل ابن سعود"، وإذا كانت الوشاية الأجنبية قد حصلت فعلا فإنها "لا تنفي المسؤولية عن آل سعود، بل تثبتها، فقد كان بإمكان ابن سعود أن يأمر قواتِه بمحاصرة الحجاج وأسْرِهم أو حتى منعِهم من الوصول إلى مكة المكرمة بدلا من الإجهاز عليهم"[(١)].

وهذا يدل على أن تصفيتهم وليس فقط إعاقة وصولهم إلى مكة، كان هدفا استراتيجيا لابن سعود من الناحية السياسية والدينية والعسكرية، يرادُ به كسرُ الروح المعنوية لدى اليمنيين

(١) الوجيه، عسير في النزاع السعودي اليمني، ص١٢٧.

المتحمِّسين لاستعادة عسير، والتمهيدُ لغزو اليمن بصناعة حكايةِ رعبٍ شديدة، وإلقاءِ الرعب أولا في قلوب أبنائه، كما هي استراتيجية الوهابية منذ نشأتها ومضت وتمضي عليها اليوم نسخُها المعاصرة من القاعدة وداعش.

١٢-وبهذا استطاع ابن سعود تحقيق أهدافه السياسية وأشبع رغبة مقاتليه المتوحشين في ما يعتقدونه جهادا ضد المشركين في الجزيرة العربية، وقد عادوا محمَّلين بالغنائم الوفيرة، والأجور الغزيرة!!، كما انتقم لحليفته بريطانيا من عدوِّها اللدود العصي على التطويع الإمام يحيى وشعبه في اليمن، ونالت مرادها في حرْفِ نظرِ الإمام عن جنوب اليمن إلى الحدود الشمالية وإلى العدو المتربِّص هناك.

١٣- ترجَّح هذا الأمر أيضا للرحالة الحصيف نزيه العظم، بعد أن حاول التحري عن السبب في مختلف الجهات والبلاد، وبعد الاتصال بالمسؤولين وغير المسؤولين في اليمن ونجد والحجاز والشام ومصر[(١)]. والعظم لا يتحامل على ابن سعود، ولا يبدو منه أيُّ عداء تجاهه، بل كانت علاقته معه طيبة ويظهر احترامه له وتقديره، كما يعرف ذلك من اطّلع على كتابه رحلة في العربية السعيدة.

١٤-ثم ليست هذه الحادثة ببدعة في تاريخ ابن سعود والوهابية

---

(١) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٧- ٢٢٨.

النجدية، وليست بدعا أيضا في الحوادث التي تنصَّل ابن سعود عن المسؤولية فيها، وألقى باللوم فيها على جيشه، كما ليست فظاعتها تتطلب عدم رضائه بها، فتاريخ الإخوان الوهابيين وأسلافِهم وخلفِهم وحتى معاصرينا اليوم كلُّه فظاعاتٌ وقتلٌ وتوحُّشٌ بادعاءات كاذبةٍ وملفَّقةٍ ومزيَّفةٍ، وإذا أرادوا تحقيقَ هدفٍ فكثيرا ما يحرِّكون أدواتهم التكفيرية بأصابعهم من خلف الستار تقتل وتفتك وتدمِّر وترتكب ما لا يخطر على بال أحد من الفظائع، لكي يمكنَهم التبرؤ إذا استدعى الأمر ذلك، مع قبولهم المطلق بالنتائج والفوائد التي تحققها جرائم تلك الجماعات، وما دعمُهم وصناعتُهم مع الأمريكان لهذه الحركات التكفيرية العنفية اليوم والقبول بأدوارها والقيام بدعمها وتشجيعها في اليمن وسوريا وليبيا ومن قبل في أفغانستان والعراق وغيرهما إلا دليل على ذلك التاريخ المشين.

١٥-ومع ذلك كله فكون هذا الجيش الإخواني الوهابي أحدَ أذرعته القبيحة والمتوحشة، وأنه أحد تشكيلات جيشه، واعترافه في منشوره أنهم جنوده، فإن هذا أمرٌ يجعل عبدالعزيز مسؤولا مسؤولية كاملة عما ارتكبه جيشه من جرائم، باعتباره القائد الأعلى لذلك الجيش، حتى ولو لم يصدر منه أمر بقتالهم أو قتلهم، وبالتالي فاعترافه بخطئهم، والاعتذارُ بكتاب رقيق

يستلزم منه محاكمة القتلة، ودفع ديات المقتولين، والتعويض عن أموالهم وخسائرهم المادية والمعنوية.

ومن خلال هذا العرض يظهر من وقائع المجزرة جذورُ وسلوكات داعش الوحشية، وأنها مجزرة دُبِّرَتْ بليلٍ شيطاني، وأن عبدالعزيز هو العقل المدبِّر لارتكابها.

الفصل الرابع
مـواقــف مختـلـفة من المـجـزرة

أولا: موقـف ابن سعود المُعْلَن

ترجَّح كما سبق أن عبدالعزيز ابن سعود كان العقل المدبِّر لهذه المـذبـحـة، والذي أصدر قرار تصفية أولئك الـحـجـاج، وأنه حقق أهدافه التي كان يسعى لها، وأنه لقبح الجريمة وشناعتها وفظاعتها كان قد رتَّب لنفسه مخرجا، بينما رتَّب بدقة وعناية ليكون هناك ما يشبه الطرف الثالث الذي يمكنه تحمل المسؤولية نيابة عنه، وأنه مع ذلك ومهما كان الأمر فإنه مسؤول مسؤولية كاملة عما ارتكبه جيشه من جرائم ومجازر.

ومما سبق ومن خلال المصادر اليـمـنية والنجدية فإن الدور العلني الذي اضطلع به هو الظهور بمظهر المنكِر الكاره للجريمة، والمتأسِّف لوقوعها، والاكتفاء بعبارات المجاملة والتنصُّل والاعتذار عن اتخاذ أيِّ موقفٍ عملي لمحاسبة الجناة أو تعويض الضحايا.

وكما مر فقد أرسل هو وحاكم عسير ما يفيد تبرؤهم وتنصلهم من ذلك العمل المشين، فما كان من الإمام يحيى إلا التحكيم لابن

سعود في القضية[1].

ورغم اعتراف النجديين بأن ابن سعود "لم يخل الإخوان من المسؤولية"، وأنه "جازاهم بعد ذلك الجزاء الذي يستحقون"، إلا أن هذا الموقف القولي لم يُفْضِ إلى موقفٍ تأديبيٍّ وعمليٍّ عادلٍ بحقٍّ المجرمين تجاه أولئك الضحايا، لا بل إنه في آخر المنشور الذي كتب قبل الحرب اليمنية النجدية عام ١٩٣٤م يكشف بوضوح تنصل ابن سعود عن أية مسؤولية تجاههم[2].

فهو من ناحية يقر بمسؤوليتهم إلى حدٍّ ما ويعتذر عن الجريمة ويتأسف لها، ويقر بأنهم أخطأوا، وأنهم جنوده، ولكنه لا يريد الاعتراف بأي حق للضحايا لا بقصاص ولا بتعويضٍ عادلٍ، ولا بدياتٍ مسلَّمةٍ إلى أهلهم.

وأما زعم المنشور بأنه جازاهم الجزاء الذي يستحقون فهو من باب استغلال الظروف اللاحقة التي جاءت في سياقٍ آخَر، حيث هؤلاء كانوا قد انفضَّت شراكتهم الآثمة مع ابن سعود، وباتوا يتمرَّدون على أوامره، وكان ابن سعود قد ضاق بتصرُّفاتهم ذرعا، كما ضاقت بها بريطانيا أيضا، وهو الملك البراجماتي الوصولي،

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢١.

(٢) مجلة المنار، مج٣٣، ص٢١، مقالة: ما بين الإمامين في جزيرة العرب.

فقرر تصفيتهم بعد أن وظَّفهم واستخدمهم بشكل بشِع في أسوأ مجازر التاريخ السياسية، ورباهم لضرب خصومه، واحتلال الجزيرة العربية، أي أن قتله لبعض رجالهم وقياداتهم لم يكن اقتصاصا منهم لارتكابهم مجزرة تنومة، بل حفاظا على ملكه وإبعادا لأصدقاء الأمس وخصوم اليوم من المشهد السياسي في نجد بحسب حاجته لذلك، واستجابة لرغبة بريطانيا حليفته.

ورغم أن الإمام يحيى كان قد حكّم الملك عبدالعزيز في القضية وجاراه في كون المعتدي جنوده لا هو، فصرف ابن سعود له وعودا جميلة، ولكنه لم يبُتَّ في الموضوع، ومع ذلك فلم يكن من الإمام يحيى الإلحاحُ عليه باستنجازه حكمَه، فمرَّت على ذلك أعوامٌ وسنون، ولم يحكم فيهم بشيء[1].

لقد وفى ابن سعود لقراره بتصفية الحجاج، لأنهم إذا كانوا يستحقون القتل فجديرٌ به أيضا حرمانُ ذويهم من أية ديات أو تعويضات، وها هو أحدُ أولياء شهداء تنومة يعلنها بصراحة أن ابن سعود "باء بدمائهم وأموالهم ولم يتخلَّص منهم إلى أن توفي"[2].

---

(١) مجلة المنار، مج٣٣، ص١٨- ١٩، مقالة: ما بين الإمامين في جزيرة العرب؛ نقلا عن جريدة الإيمان، عدد٨٥، جمادى، سنة١٣٥٢هـ.

(٢) السياغي، قواعد المذهب الزيدي، ص٢٢، الهامش.

بلى أرسل ابنُ سعود ببعضِ المنهوبات في أول عام ١٣٤٢هـ من دواب ومنقولات وبعض قيم السمن[١]، وأخذ صكا بذلك كما تقدم، لكنها كانت ذرا للرماد على العيون، وكانت هزؤا وسخرية بالضحايا وأهلِهم أكثرَ منها إيفاءً بحقٍّ، أو عودة إلى رشد، بل كانت جزءا من تبييت النية على التنصل من تحمل أية مسؤولية.

روى نزيهُ العظم أن ابنَ سعود "وافق على دفع دية الحجاج المقتولين"، ولكنه استدرك ذلك بقوله: "وبقيت هذه الأمور معلقة إلى أن انفجرت الحرب المعلومة بين العاهلين العظيمين"[٢]، فأخذ أستاذنا المؤرِّخ الدكتور سيد مصطفى سالم هذه الرواية المستدرَك عليها على علاتها، وجعل من موافقة ابن سعود القولية فعلا حقيقيا، وأخذ منها أنه بالفعل دفع ابن سعود ديات الحجاج، وإن أوردها بصيغة التمريض، حيث قال: "وقيل: إن ابن سعود دفع ديات القتل"، ليأتيَ مؤرِّخٌ قدير كالأستاذ الأمير أحمد بن محمد بن الحسين حميد الدين فيقع في خطأ جسيم، بقطعه أن ابن سعود دفع ديات الحجاج[٣]، معتمدا على استنتاج الدكتور سيد مصطفى سالم، وهو اعتماد في غير محله.

---

(١) سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢١.

(٢) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٨.

(٣) في كتابه القيم: الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، ج٢، ص١٧٤.

ثانياً: موقف الإمام يحيى .. ولماذا؟

لا أظن الإمام يحيى بحصافته وكياسته وفطنته المشهود بها يخفى عليه أن قرارا خطيرا بتصفية مثلِ ذلك العدد لا يمكن أن يُصْدِرَه جنودٌ مرابطون على قارعة الطريق، ولا يخفى عليه أن قرارا مثل ذاك لا بد وأن يُتَّخَذَ في أعلى مستوى من مستوياتِ اتخاذِه في نجد، وأنه من المُحْتَمَل أن بريطانيا أيضا كانت ضليعةً وراء هذه المجزرة، وهي العدوُّ اللدودُ لليمن ولحاكمها الإمام يحيى.

حاول البحث المفيدُ تبيينَ سببِ هدوءِ الإمام يحيى وتفضيلَه خيارَ المواجهة السياسية على الخيارِ العسكري ضدَّ نجد، بقوله: "لكونِ هذا العدوِّ في غاية البُعدِ من هذه البلاد في قوة عظيمة، يَمُدُّه بها عدوُّ الله الفرنجي الإنكليزي"[(١)].

والحقيقة أن هذه المذبحة وضعت الإمام يحيى في وضعٍ لا يُحْسَدُ عليه، فهذا الشعب اليمني يتلمَّظ غيظا ويبدي استعداده ليلَ نهارَ لخوض معركة الانتصاف من المعتدين بالنفوس والأموال، وهؤلاء العلماء والخطباء والشعراء يعتلون منابرهم لتحريض المقاتلين ولإطلاق دعوات الاقتصاص من المجرمين[(٢)]، لكن وضع

(١) مجهول، بحث مفيد، ١١٤/ ب.

(٢) مجهول، بحث مفيد، ١١٤/ ب.

الإمـام يـحـيـى الداخلي وقلقه وتوجسه وتـردده حـول خيـار المواجهة العسكرية، الخيار الذي فيه نوع من المخاطرة والمغامرة، وإعلان ابن سعود موقفَ المخادِعِ والموارِب - أوصد عليه باب التحرك عسكريا.

كـان الإمـام بـين خيـارين، إمـا أن يُعْلِـنَ الـنفيرَ العـام وتجهيـز المقاتلين وإرسالهم إلى معركة بعيدة المكان، غيرِ مأمونة العواقب في ظلِّ ظروفٍ داخلية وخارجية غيرِ مساعدة، أو الضغط على المعتدين سياسـيا لإنصـاف الضـحايا، لا سـيما وكـبيرُ نجـد يعلـن تأسُّـفَه واعتذاره وتنصُّلَه.

إن اعتـذارَ حـاكمِ نجـد، وإلقـاءَه بالمسؤولية علـى إخـوان الغطغط وخطابَه الرقيق وإبداء الأسف وإعلان ذلـك علـى الملأ، وغير ذلـك من الأساليب الشيطانية المضـلِّلة — كل ذلـك سـحَبَ بسـاطَ المواجهةِ العسـكرية مـن أمـام الإمــام يـحـيــى، ونقلَهـا إلى مربَّـع المواجهـة السياسـية والقضـائية، وهـي الاسـتراتيجية الـتي اعتمـدها الإمـام في علاقته مع ابن سعود إزاء هذه القضية.

لقـد وضـع الإمــام هـذه القضـية في صُـلب أولويـات سياسـته الخارجية واهتماماتهـا، فمـا مِن لقـاء أو مؤتمر ثنـائي بينـه وحكومـة نجد إلا وعرض هذا الموضوع كمقدِّمة لحل القضايا الأخرى، واعتبرَ حلَّه مفتاحًا لحلِّ القضـايا الأخـرى، وفي الجانـب القضـائي فقـد كـان

يأمُل أن لـدى عبـدالعزيز حسـا دينيـا ومـروءة قبليـة تُلْزِمـه باتخـاذ موقفِ حقٍّ تجاه أولئك الضحايا؛ لـذا سـارع الإمـامُ بإلقـاءِ الكـرةِ في مرمى الملك النجدي محكِّما إياه طالبا الإنصاف منه[1].

لكـن الخصْـمَ والحَكَـم في آنٍ واحـدٍ ماطـل في إصـدارِ أيِّ حكـم، رغم استغلال الإمام مواقف عديدة للضغط عليه سياسيا؛ إذ ظل الإمام يطرح القضية في محطات عديدة لاحقة كما سيأتي[2].

كان الإمام مسكونا بطموحِ وأملِ جمعِ الكلمة والاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بالعترة النبوية ودعوة الـمـسـلـمين إلى نبذ الفرقة والشتات، وكان غافلا عن أن هـذا الكيان الـذي يواجهه هـو كيان (قـرن الـشيطان) الذي منه الفتنة والفساد والزلازل.

ومن عجيب المصادفة أن الإمام رحمه الله كان قد أنشا منشورا بليغـا نشـرَتْه صـحفُ مصـر والعـراق والشـام، خاطـب فيـه جميـع الـمسـلـمين بتلك الأفكار الوحدوية والإيمانية في ذات التاريخ[3] الـذي تعرَّض فيه حـجاج شعبِه لمذبحـة جماعية بتهمة الشرك والمروق عن الدين، ثم بعد سنوات أنشأ قصيدةً غراءَ وأرسل بها مع وفدٍ يمنيٍّ سافر

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد يحيى حميد الدين، ج٢، ص٤٢١، ٤٤٥- ٤٤٦.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد يحيى حميد الدين، ج٢، ص٤٤٥- ٤٤٦.

(٣) الكرملي، بلوغ المرام، ص٩٤.

إلى مكة للتفاوض مع العدو اللدود ابن سعود، عبّر فيها عن نواياه في حب الوئام، واجتماع كلمة العرب، والتذكير بوجوب الوحدة، والإشارة إلى أن أهم أسباب الخلاف هو توسيع الملك[1].

إن الإمام يحيى بهذا المنشور شخَّص حالة ابن سعود وأمثاله من الطامحين في الملك والتوسع من خلال طرُقٍ غيرِ مشروعة، ومحرَّمة، من قتلٍ وانتهاكِ حرماتٍ وإفسادٍ في الأرض، بيد أنه لم يكن موقفه على مستوى خطورة تلك النبتة الشيطانية وخطر التهاون معها.

ورغم مماطلةِ ابنِ سعودٍ عن الحكم وإنصاف الضحايا إلا أن الإمامَ ظلَّ وفيا لرؤيته هذه في كل محفل أو مؤتمر أو لقاءٍ سياسيٍّ جمَعَ الطرفَيْن، وكان يعاني دائما من توجُّع شعبِه وتأوُّهِه، فيرشدُهم إلى الصبر، ويروِّح عليهم بالوعود الجميلة، وفي نفس الوقت عانى الأمرَّين من تسويفِ ومماطلةِ ابنِ سعود[2].

كما عبّر عن أخذه بخيار المواجهة السياسية السلمية، ما كان يقوله ويكتبه وينشره في الجرائد العربية بـ"أن كلَّ بيت في اليمن يحمل ثأرا دمويا على الدولة السعودية يطالبه بالإذن له بأخذه

(١) الجرافي، المقتطف، ص٢٤٩- ٢٥٠.

(٢) مجلة المنار، مج٣٣، ص١٨.

بالقوة الحربية"[1].

والحقيقة المرة التي يجب الاعتراف بها أن استراتيجية المواجهة السلمية السياسية والقضائية التي سلكها الإمام يحيى كانت رهانا خاسرا، وأملا خائبا، فلماذا لجأ الإمام يحيى إليها مفضلا إياها على خيار المواجهة العسكرية التي للأسف اضطُرَّ إلى خوضها لاحقا، وتحديدا بعد حوالي ١١ سنة، ولكن بعد أن أضاع ظروفا كانت غاية في الأهمية وكانت مهمة في التفاف المجتمع من حوله.

وقبل مقاربة الحالة والتقييم لها .. علينا الغوص أكثر في أحوال اليمن الداخلية، والتي لا بد أن حكومة الإمام كانت تتأثر بها سلبا أو إيجابا.

فقد كان هناك حالة شعبية عارمة، ودماء يمانية فائرة من الغيظ، وسخط مجتمعي واسع، واستعداد قبلي ومجتمعي للثأر من ابن سعود، كانت تصب في صالح التحرك العسكري، كما كان هناك انشغالٌ نجدي بحروبٍ في الحجاز وفي نجد أيضا.

ولكن من جانب آخر فقد كانت هناك حالة سياسية في البلد لا

---

(١) مجلة المنار، مج٣٤، العدد٢٢، صفر ١٣٥٣هـ/ يونيو ١٩٣٤م، ص٦، مقالة: الحرب في جزيرة العرب بإطفاء نارها وفوائدها وغايتها.

تساعد على فتحِ حروبٍ كبيرة على مستوى بلدين كبيرين؛ إذ حدثت عدة تمردات في ذات الفترة التي وقعت فيها تلك المجزرة، وقد تقدم ذكرها، وكلُّها كلَّفت الإمام يحيى خسائر كثيرة[1].

جدير بالذكر أنه لم تبسط حكومة الإمام سلطتها على بلاد البيضاء إلا في سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م، ولم تُخْمَد ثورة قبائل حاشد وإجبارهم على الامتثال لأحكام الشريعة لا سيما في توريث النساء إلا في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م[2]، ثم سار سيف الإسلام أحمد في عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م إلى حاشد لحرب الممتنعين عن الطاعة للدولة[3]، ففرَّ الشيخ ناصر بن ناصر مبخوت الأحمر إلى الملك عبدالعزيز ابن سعود لمواجهة حاكم بلده الإمام يحيى[4]. وفي عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م تمَّ إخماد تمرُّد الزرانيق، وفي عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م بسطت الدولة سلطانها على بلاد الجوبة وحريب بيحان، وفي عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م استولى الجيش اليمني على مأرب، ثم في عام ١٣٥١هـ /١٩٣٢م سار سيف الإسلام أحمد إلى سفيان

---

(١) الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص١٩٣- ١٩٤.

(٢) الجرافي، المقتطف، ص٢٤٥.

(٣) الجرافي، المقتطف، ص٢٤٩.

(٤) الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص١٩٤.

لتأديب المتمنّعين من قبائل دهمة[1].

هـذه الحالـة السياسـية تبـيِّن أن "أيـادي الإمـام كانـت مشـدودة الوثاق" من الانتصاف من ابن سعود، وأنه أيضـا "كـان عليـه أن يحل معضـلات كانـت ملتهبـة مـع البريطـانيين، ومـع الإدريسـي"[2]؛ الأمـر الذي صعّب عليه التحرك العسكري ضد ابن سعود.

ومـع ذلـك كلـه ومـع إنجـازات الإمـام يحـيى الكـثيرة في تحريـر الـيمن وإقامـة دولتـه الحديثـة، ونشـره للعـدل، وإبقـاء الـيمن حـرة مستقلة، فإنـه يجـدر القـول بـأن كثيرا مـن تلـك التحـديات لا سـيما الداخليـة منـها والـتي واجهـت الإمـام يـحـيى فـإن مـن المـرجّح أن سـببها يعـود إلى تقاعسـه في مواجهـة ذلـك العـدو النجـدي الغاشـم، والذي ارتكب أفظع جريمة عرفها التاريخ، ويبدو أن تقـاعس الإمـام يـحـيى وخطأ تقـديره للموقـف أظهـره أمـام شـعبه ومواطنيـه بمظهـر الضعيف المتردِّد؛ الأمـر الـذي جـرّأ كثيرا مـن أولئـك المتمـردين علـى التمرُّد عليه، وضاعف نقمة وسخط الساخطين عليه.

لقـد كـان ذلـك تحـديا كـبيرا، لكنـه كمـا يبـدو كـان يـوفِّر للإمـام

---

(١) الجرافي، المقتطف، ص٢٥٣.

(٢) الشهاري، المطامع السعودية في اليـمـن، ص٧١.

فرصة دينية ووطنية كبيرة، كان يمكنه أن يحوِّله إلى فرصة عظيمة في التحشيد للجهاد، والمواجهة، وخلقِ روحيةٍ دينيةٍ ووطنيةٍ لمواجهة الأعداء، وهو ما كان سيُضْعِفُ الطامحين في الداخل، ويُلْهِبُ الحماسَ الشعبي والجماهيري ضد العدو الخارجي.

كان يمكنه أن يستنجزَ ابنَ سعود في حكمِه الذي ماطل فيه، وإلا أعلن خيارَ المواجهةِ المُسَلَّحة، وما عليه إلا أن يحرِّك قطعات من جيشه إلى حدود عسير اليمنية، والبدء بتحرير ما أمكن منها، وستأتي كتائبُ القتلة الإخوان إلى هناك ليقتصَّ منهم اليمنيون، ولتكنْ حينذاك المعركة التي تأجَّلت إلى عام ١٩٣٤م والتي اضطر اليمنيون لخوضها ولكن بعد أن ضاعت عوامل قوتها وفرص نجاحها.

كان هذا الموقف سيعطيه شعبية عارمة في مواطنيه، وسيظهره بمظهر القوي الذي عهدوه في حروبه ضد الأتراك، وكانت ستتهيأ النفوسُ للجهاد الذي هو من أفضل الواجبات وأقدس الأعمال، وسيسجل التاريخ للإمام يحيى سبقَ شرفِ التصدي العسكري لأخطرِ بدعة في تاريخ الإسلام، وهي بدعة قرن الشيطان، التي حذّرتنا منها نصوص الإسلام.

هذا الباب الذي حاول الإمام يحيى تجنُّبَه مختارا، أُلْجِئَ إلى الدخول فيه مرة أخرى مضطرا في عام ١٩٣٤م، ولكن بعد أن فقد

اليمنيون الحمية الدينية والأخوية تجاه إخوانهم الشهداء في تنومة، وخفَّت وتيرة الحماس ضد أولئك المعتدين، وبعد أن قضى ابن سعود على كل مناوئيه في نجد والحجاز، واكتظت مخازنه بالأسلحة المتطورة من بريطانيا، وبعد أن اكتسب قدسية الحرمين الشريفين بعد استيلائه عليهما، وبعد أن بدأ يصدِّر أحابيلَه ووساوسَه الشيطانية المضلة إلى الآخرين، وربما وقع الإمام يحيى في شيءٍ من شراكها، ولذلك لم يعُد في الوعي العام جهادُ ابن سعود لاحقا كما كان عليه سابقا، حتى ولو أعلنه الإمام يحيى حميد الدين؛ لأنه سبَقَ وأن هادنه، وتبادل وإياه الوفود وعباراتِ المجاملة والثناء.

وربما كانت هزيمة اليمن في عام١٩٣٤م نتيجة طبيعية للتفريط في دماء أولئك الشهداء، ونتيجة لاتخاذِ موقفِ الضعف، والتردُّد، وللحرمان من شرَفِ التصدي العسكري لأخطرِ مشروعٍ منتحِلٍ للإسلام على مر تاريخه.

لا يتحمَّلُ الإمام يحيى رحمه الله أو حكومته تلك المسؤولية بمفردهم، فأولئك المتمرِّدون والطامحون من الشيوخ والقبائل والمناطق والأمراء، وأولئك المرتزِقة الذين كانوا يفضِّلون حكْمَ الإنجليز على حكم الإمام يحيى، وأولئك الذين فرّوا إلى ابن سعود لمساعدتهم ضد الإمام يحيى، همُ الذين ضاعفوا توجُّسَ

الإمام يحيى وقلقَه وتردُّدَه وهم الذين أضعفوا موقفه أيضا، وبالتالي فهم يتحمَّلون قسطا كبيرا من اللوم، والتقريع في ما يتعلَّق بتلك المذبحة.

وفي هذا درس عظيم يجب أن نفقهه اليوم، فندرك أن تفرُّقَنا وضعفَنا وتخاذُلَنا سيؤدي إلى إضاعة حقوقنا وانتهاكِ كرامتنا، وتغوير جراحاتنا، ونعي أن المرتزِقة منا هم سببُ كلِّ بلاءٍ حلَّ ويحُلُّ بأمتنا من أعدائها المتربصين.

ثالثا: موقف البلدان العربية والإسلامية

لم تتوفّر لدى الباحث معلوماتٌ تفيد بمواقفَ وردودِ أفعالِ البلدانِ العربية والإسلامية حول تلك المجزرة، ولكن من خلال جريدة القبلة المكية التي كانت لسانَ حكومة الشريف حسين في الحجاز، ومن خلال الطبيعي في أخلاق العرب والمسلمين فإنه من المتوقَّع أن تلاقيَ تلك المجزرة الرهيبة والفظيعة استنكارا شديدا، وإدانة بالغة منهم.

جريدة القبلة وصفت المجزرة في حينها بعنونتها خبرَها في صفحتها الأولى بـ"فاجعة فظيعة"، وشرحت فيه مكانها، وكيفية القضاء على الحجاج، إلى أن ختمته بقولها: "فماذا عسى أن نقول

في هذه الفاجعة الفظيعة التي لم يسبِق لها مثيلٌ في التاريخ، ولا نشك أن أولئك الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون"[١]، وبالتأكيد فهذا هو موقف حكومة ملك الحجاز الشريف حسين بن علي ابن عون.

بل كانت تهامة المحاذية لتنومة - والتي كانت تخضع لحكم الشريف حسين - ملاذا للناجين من الحجاج، بعد أن فروا بجلودهم إليها[٢] وبالتحديد إلى مركز بارق فيها، والذي كان تحت إمرة الشريف راجح، وكان أمير الحج والحجاج الناجون معه قد وصلوا إليه، ومنه أبرقوا بخبر الوقعة الأليمة[٣]، وسرعان ما سافر من أراد الحج من أولئك الناجين إلى جدة ثم مكة لتأدية مناسك الحج، ووصلوا جدة بتاريخ ٤ ذي الحجة ١٣٤١هـ، وبعدها بقليل وصلوا مكة والتقوا بالشريف حسين وحلوا ضيوفا لديه، وشرحوا له عن كثب تلك الحادثة الأليمة[٤].

(١) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١.

(٢) بحث مفيد، ١١٤/ ب.

(٣) جريدة القبلة، العدد ٧٠٥، ص٤.

(٤) جريدة القبلة، العدد ٧٠٥، ص٤.

رابعاً: نموذج لموقف علماء المسلمين

انقسم موقف علماء المسلمين إزاء هذه المجزرة بين مبرر للجريمة وهم أولياء وحلفاء ابن سعود، وعلى رأسهم صاحب المنار محمد رشيد رضا، ومستنكر، وهم الذين سخروا أقلامهم في تعرية قرن الشيطان، وفضح الوهابية التكفيرية ومنهم السيد الأمين العاملي.

ادَّعى رشيد رضا أن النجديين ظنوا الحجاج نجدة، وادعى أن عبدالعزيز اعتذر عن الحادثة وأنه اتفق مع الإمام على تعويضٍ مقبولٍ.

قال السيد الأمين العاملي في الردِّ عليه:

- وهذا عذرٌ فاسدٌ باردٌ، يراد به سَتْرُ فظائع الوهابيين في استحلال دماء المسلمين وتوجيه بأسهم وسطوتهم، وأفواهِ بنادقهم كلها إلى قتال المسلمين خاصة.
- وأما قول صاحب المنار: إنهم اعتقدوهم نجدة، وكيف ذلك وهم عزَّل من السلاح؟
- ولو كانوا مسلَّحين ما استطاع الوهابية قتلهم، ولكانوا أقصر باعاً من ذلك.
- وهل تَخْفَى حالة الحجاج من حالة الغزاة المحاربين، فكيف يمكن لعاقل أن يعتقد أو يظن أنهم نجدة؟!.

ويسوق السيد الأمين شواهد لفظاعات الوهابيين النجديين؛ إذ يقول:

- وهل اعتقد الوهابيون في أعراب شرق الأردن أنهم نجدة حينما غزوهم في عُقْر دارهم وأعملوا فيهم رصاصَ البنادق وحدَّ السيوف؟!

- وهل اعتقدوا في أهل العراق أنهم نجدة فتابعوا عليهم الغزو والقتل والنهب؟!

- وكيف ساغ للوهابيين وهم وحدهم المسلمون الموحِّدون الأبرار الأتقياء الورعون!! الذين تورَّعوا عن الفتيا في التلغراف لعدم النص فيه أن يقتلوهم قبل سؤالهم، وتعرُّف حالهم، ولكن حالهم كما قال الحسن البصري في أهل العراق: يسألون عن دم البقة، ويستحلون دم الحسين.

هذا نموذج للمواقف الإسلامية وللتبريرات وردودها التي تناولت الحادثة.

الفصل الخامس

الشهداء والناجون

أولا: الشهداء

اختلفت المصادر اختلافا شديدا في عددهم، فالمؤرخ زبارة يقول: "زيادة على ألفي قتيل"[1]، وإحدى الوثائق البريطانية تحدِّدُ عددَهم بـ"قافلة كبيرة"، وفي وثيقة أخرى، تقول: "كانوا ٥٠٠ حاجا"[2]، ويقول صاحب كشف الارتياب إنهم كانوا ألف إنسان، ولم ينج منهم غير رجلين[3]، ويذكر القاضي السياغي بأن عددهم ١٨٠٠ شهيد[4]، وتذكر جريدة القبلة أن عددهم تجاوز الألفين، منهم تسع مئة فُصِلت رؤوسهم عن أجسادهم[5]، والقاضي الإرياني يقول: إنهم

---

(١) نزهة النظر، ج١، ص٥٤.

(٢) صدرت إحدى الوثيقتين في ١١ يوليو ١٩٢٣م، تحت عنوان: (Wahhabi invade Northern Asir)، وصدرت الأخرى في القاهرة ١٨ يوليو، ١٩٢٣م، ونشرت في جريدة التايمز البريطانية بتاريخ ١٩ يوليو، ١٩٢٣م. وينظر: Ingrams, Docreen, and Ingrams, Leila, RECORDS OF YEMEN, 1798-1960, VOLUME 6, 1914-1923, E 1993, b 694.

(٣) كشف الارتياب، ص٥٠.

(٤) قواعد المذهب الزيدي، ص٢٢ (الهامش).

(٥) جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ص١؛ والعدد ٧٠٥، ص٤.

ألفان وستُ مئة حاج[1]، ويقول القاضي الأكوع: إنهم كانوا ٢٦٠٠ قتيلا[2]، لكنه في مكان آخر يقول: إن عددهم ٢٧٠٠[3]، وذكر المؤرخ السيد زبارة: أنهم "نحو ثلاثة آلاف"[4]، ويقول السيد العلامة مجد الدين المؤيدي: إنهم حوالي ٣٥٠٠ شهيد[5]. وذكر القاضي العلامة الجرافي أن عدد الحجاج يقارب ٤٠٠٠ حاج، جميعهم استشهدوا، ما عدا ما يقارب ٢٨٠ شخصا[6] وقُدِّر عددُ الحجاج لنزيه العظم مرة بثمانية آلاف غير ألفي حضرمي، وأخرى بحوالي ستة آلاف، وثالثة بخمسة آلاف حاج، كلُّهم قتِلوا إلا نفرا قليلا[7].

ولعل السبب في هذا الاختلاف الكبير هو أنه لم تكن هناك سجلات وإحصائيات رسمية توثِّق عدد الحجاج الذين غادروا اليمن في تلك القافلة، بسبب الظروف الإدارية البدائية آنذاك،

---

(١) الإرياني، هداية المستبصرين، ص٢٢، مقدمة المحقق.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، ص٦٦٦.

(٣) هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، ص٧٦.

(٤) زبارة، محمد بن محمد بن يحيى (ت١٣٨٠هـ)، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، خ، بخط ولده السيد العلامة أحمد بن محمد زبارة، انتهى من رقمها في شوال، ١٤٠٤هـ، (نسخة مصورة في مركز الوثائق والمعلومات)، ج٤، ص١٥٠.

(٥) التحف، ص٢٤٣- ٢٤٤.

(٦) الجرافي، تعليقة عن المجزرة، في حامية كتاب ديوان المتنبي، موجود في مكتبة مركز بدر العلمي.

(٧) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٧؛ وسالم، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى، ط٤، ١٩٩٣م، القاهرة، دار الأمين، ص٣٤.

ولكونِ طريقةِ تجمُّعِ الحجاج بالانضمام العشوائي من الراغبين في الحج من القرى الواقعة على طرق القافلة كلما مرَّت عليهم، يَجعل عملية توثيقهم في صنعاء بشكل رسمي صعبا إن لم يكن مستحيلا.

ومع ذلك فإن هناك رقما يبدو أنه اتُّفق عليه مؤخّرا، حيث أنه ومع هذا الاختلاف إلا أن مخطوط البحث المفيد أورد تفاصيلَ دقيقة وصادقة تبيِّن أن مَنْ كتبها كان مطَّلعا على الإحصائيات الرسمية اللاحقة؛ لما فيها من نوعِ التفاصيل ودقة الأرقام، وتدل على أن كاتبها حصل على معلومات دقيقة تتفق مع الوثائق الرسمية التي جرى التعبير بها وعنها لاحقا.

يذكر البحث المخطوط أن عدد الشهداء "حُصِر على ما قيل ٢٨٠٠ رجل"، ويستدرك كاتبُه في هامشه بقوله: "وصل السيد أحمد الوشلي من مكة، وأخبر أن القتلى ثلاثة آلاف ومئة وخمسة أنفار على ما حُقِّق، وجاءت به الأخبار إلى مكة، فرحم الله حجاج بيت الله الشهداء، ولعن الله من قتلهم"[(١)]. وكلمة "حُقِّق" لها دلالة مطَمْئِنَة في التحقُّق والتثبُّت بأن العدد كان كذلك.

إن العدد ٣٠٠٠ شهيد أو ما يقاربه هو العدد الذي استقرَّ عليه حديث الجانب الرسمي اليمني، فقد كتبت جريدة الإيمان، ونقلت

(١) بحث مفيد، ١١٤/ أ- ب.

عنها مجلة المنار[1] أن عددهم "يربو على ثلاثة آلاف شهيد، قُتِلوا ظلما، وهم عزَّلٌ من السلاح، آمين بيت الله الحرام"، وتكرَّر هذا في جواب الإمام يحيى على رسالة محمد رشيد رضا إليه بشأن علاقته مع ابن سعود، بقوله: "من قَتْلِ نحوِ ثلاثةِ آلافِ مسلم ..."[2]. ومثله ورد لدى الواسعي[3] وغيره.

ولهذا يترجَّح أن الـ٣٠٠٠ شهيدا هو العدد المقارب للحقيقة؛ لما سبق؛ لأنه قد ورد متأخِّرا من جهة رسمية، وهي الحكومة اليمنية، بعد سنواتٍ من الوقعة، أي بعد أن استقرَّت على رقمٍ تأكَّد لها من خلال البحث والتوثيق، ولأن الجهة الرسمية النجدية لما علَّقت على هذه الدعوى لم تنازِع في عدد الحجاج، بل سلَّمتْ به وذهبت تنازع في ظروفِ وأحوالِ الوقعة.

وأما فئاتهم وخلفياتهم القبلية والمناطقية والوظيفية والاجتماعية فإنهم ينتمون إلى مُخْتَلَف ألوان الطيف الاجتماعي والمكاني في اليمن، فهم من جميع مناطق اليمن ومن جميع فئاتِه ومكوناتِه وتنوعاتِه، وقد كان الإمام يحيى "يقول ويكتب وينشر أن كل بيت

(١) العدد٢٧، ص١٨، مج٣٣، ٧ شعبان، ١٣٥٢هـ.

(٢) مجلة المنار، مج٣٤، ص١٠.

(٣) تاريخ اليمن، ص٢٦٤.

في اليمن، يحمل ثأرا دمويا على الدولة السعودية يطالبه بالإذن له، بأخذه بالقوة الحربية"[1].

وأروي عن السيد الأستاذ علي بن محمد الذاري عن القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني أنه قال: إن المعدِّدة (نادبة الأموات) لم يخلُ منها بيتٌ من بيوت أهل اليمن بعد المجزرة، وأنه كان هناك استعدادٌ شعبيٌّ عارمٌ وواسعٌ للاستجابة لداعي الجهاد ضد ابن سعود[2].

إن اطلاع الباحث القليل جدا لمناطق الشهداء وكذلك الناجين ووظائفهم ومراتبهم الاجتماعية يبين أنهم ينتمون لمختلف فئات ومناطق اليمن، وأنهم كانوا من ألوية إب، وذمار، وصنعاء، وعمران، وحجة، وصعدة، وغيرها.

وتصف جريدة الإيمان اليمنية خلفياتهم الفئوية بأن فيهم "العلماء والفضلاء والأشراف"، كما تذكر سيرة الإمام يحيى أن الشهداء كانوا من "العلماء وفضلاء السادة، وكثيرٍ من الضعفاء، رزقهم الله الشهادة، وزفَّهم إلى غُرَف السعادة"، وتضيف القول: "وقلَّ أن تخلو قرية

---

(١) مجلة المنار، مج٣٤، ص٦.

(٢) إفادة الأستاذ السيد علي بن محمد بن يحيى الذاري، أفادني بها في ١٨ شعبان، ١٤٣٦هـ.

من قرى اليمن عن مصاب بعض أهلها بين هؤلاء الحجاج"، و "أن المعلوم أن غالب أولئك الحجاج عمَّهم القتل"[1].

أسماء وتراجم قليل منهم

رغم تصريح سيرة الإمام يحيى بأنه لا "تخلو قرية من قرى اليمن عن مصاب بعض أهلها بين هؤلاء الحجاج"، إلا أنه للأسف لم نعثر على توثيق رسمي أو شعبي لأسماء هؤلاء الحجاج، ولا ندري هل قامت حكومة الإمام يحيى بتوثيق أسمائهم، وإنشاء قوائمَ بها، استعدادا لأيِّ حلٍّ قضائي يمكن أن يُصْدِرَه الخصم المحكَّم عبدالعزيز، فأخفاه عن الباحث قصورُه، أم أخفته الأيدي المرتزقة التي وظفتها حكومة ابن سعود عند اشتعال الثورات في اليمن بالسطو على الوثائق الهامة؟ أم أن حكومة الإمام يحيى أيضا ساهمت في وأد قضيتهم ودفنها بعدم تكليف نفسها بالقيام بحصرهم واكتفت بالتحقُّق من أعداد الجثث بغض النظر عن التحقُّق من هُوِيَّة كلٍّ منهم؟!

ومع ذلك ومع نقدي السابق لأداء حكومة الإمام يحيى، فإنني أميل إلى ترجيح الاحتمال الأول؛ إذ هو ما يليق بحكومة الإمام يحيى وبحرصه على الانتصاف للمظلومين، وينسجم مع خيار

---

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٠.

المواجهـة السياسـية والقضـائية الـذي اتخـذه، ومـع طبيعـة اسـتقراره على رقم (٣٠٠٠ شهيد)، وكوننا ظفِرنا بتقدير قيمة المنهوبات وهو دليل على قيام الحكومة بعمليات إحصاء وتقدير.

ولا بد من الاعتراف أن السعوديين عبر أدواتهم ومرتزِقتهم سطَوا على الوثائق الرسمية اليمنية واستطاعوا الاستيلاء على عددٍ كبيرٍ منها عند أحداث ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م[1]، ولعلَّ سجلاتِ أولئك الشهداء كان منها، ومن المعروف أن السعوديين كانوا ولا زالوا يضغطون بالترهيب والترغيب في اتجاهِ تنظيفِ جرائمِهم وغسلِها وتجنب إظهارِ تاريخِهم بالصورة المتَّسخة التي هو عليها في الواقع.

ولعل الأيام القادمة ستساعد على العثور عليها إن شاء الله.

وفتحا لباب التوثيق مرة أخرى لأولئك الشهداء بدأتُ بجمع أسماء وتراجم لمن عثرتُ عليه بجهدي الشخصي وتواصلاتي

---

(١) يعتقد الباحث في مركز بدر العلمي، الأستاذ عبدالله الشريف أن هناك عملية سطو كبيرة حصل بموجبها السعوديون على أهم الوثائق اليمنية، ويستدل بما أورده عضو مجلس الشورى السعودي، محمد عبدالله آل زلفى، في كتابه (عسير في عهد الملك عبدالعزيز)، ص١٦٢- ١٦٣، حيث قال: "ولقد كشفت لنا وثائق خزانة الإمامة بصنعاء والتي تبعثرت بعد الثورة اليمنية عام ١٩٦٢م عن كمٍّ من البرقيات والرسائل والتقارير .."، وهو اعتقادٌ في محلِّه، ويؤكِّدُ ذلك خلوُّ مركزِ الوثائقِ والمعلومات اليمني من معظم الوثائق التي تعود لذلك العهد، رغم سعي إدارته الحثيث ممثلة بالقاضي علي أبو الرجال على تجميعها وحفظها وأرشفتها. لكن لا رحم الله المرتزقة سابقاً ولاحقاً.

الضعيفة، مساهمة في تلافي التفريط اليمني تجاههم، وأملا في أن تصدُرَ الطبعة الثانية من هذا البحث وقد عثرنا على مزيدٍ من الأسماء، وقد استجاب كثيرٌ من أهالي الضحايا وأقاربِهم ومن يعرفون أيا منهم بتزويدنا بأسمائهم وتراجمهم ووثائقهم.

وهذه التراجم والأسماء التي حصل عليها الباحث مرتبة أبجديا:

١-الشهيد أحمد بن أحمد بن محمد السياغي، الحيمي، الصنعاني، من أهالي صنعاء، ولد في ١١ صفر، سنة ١٣٠٣هـ، ونشأ في حِجْر والده في صنعاء، وتعلَّم عليه في النحو والفرائض وأصول الفقه، والحديث، وتتلمذ على جميع المشائخ العظام، ومنهم العلامة الحسين بن علي العمري، والقاضي علي حسين المغربي، والعلامة إسحاق بن عبدالله المجاهد، والفقيه عبدالكريم أحمد الطير، وكان منقطعا للتدريس في جامع صنعاء ملازما له، "لا يهمُّه غيرُ علمٍ يُمْليه، أو يَسْتَمليه، عَكُوفا على كتاب الله وترديد مثانيه، وبلغ شأوا رفيعا في التحقيق"، وانتفع به الكثير من الناس، وكان ورِعا ناسِكا تقيّاً[1].

(١) سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٨- ٤٢٩؛ والأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٣، ص١٥٣١؛ وذكر أنهم قتلوا وهم محرمون، وهو خطأ كما بيناه سابقا، وزبارة، نزهة النظر، ج١، ص٥٤؛ والسياغي، قواعد المذهب الزيدي، ص٢٢ (الهامش).

٢-الشهيد أحمد بن علي حسين فايع، من أهالي ضحيان صعدة وأعيانها، استُشْهِد وعمرُه ثلاثون عاما تقريبا، وخلَّف بنتين وولدا، أعمارُهم دون العاشرة، وكان قد حجَّ تلك السنة مؤاجَرَةً لغيره، لكنه استُشْهِد قبل أدائه الحج المستأجَرَ عليه، وترتب على ذلك نهبُ أمواله، فجاء المحجِّجون لمطالبة ورثته بتسليم تكاليف الحجة التي لم تنفذ، ولم يكن لدى أطفاله غيرُ متاعِ بيتِهم وفراشِهم، فجاء العدولُ لتقويم ذلك المتاع والفراش استيفاءً لقيمة الحجة، وتسليمه إلى أهلها، فلما رأى أيتامُ الشهيد وقد طوى العدولُ فراشَ بيتهم انفجروا بكاءً، فما كان من أخي المترجَم له، السيد حسين علي حسين فايع (ناظرة منبِّه ثم كتاف)، والعدل السيد حسين بن محمد الحاكم إلا أن تعهَّدا للغرماء بتحمُّل تكاليفِ تلك الحجة المغدورة رحمة بأبناء الشهيد، ورقة بحالهم[1].

وهذه الحالة نموذج لقصصٍ ومآسٍ كثيرة محزنة تسبَّب فيها ذلك العدوان النجدي الوهابي على أولئك الحجيج المظلومين المغدورين، فهل آن الأوان لكشف ظلامتهم التاريخية؟!

(١) من إفادة السيد المجاهد الأستاذ محمد أحمد الحاكم، رواية عن أمه التي هي إحدى بنات الشهيد المترجم له، أملى علي الإفادة في ذي القعدة ١٤٣٧هـ.

٣- الشهيد أحمد صالح الصايدي، من بيت الفقيه (عمران)[١].

٤- الشهيد حسين القريطي، من أهالي صنعاء، والد الشيخ المقريء محمد حسين القريطي، الذي وُلِد في عام استشهادِ والدِه، ولم يمنعْه يُتْمُه من أن يكون أحدَ أعلامِ اليمن المعاصرين في علم القراءات، وحسنِ التلاوة للذكر الحكيم، التي تتزين به سماواتُ شهرِ رمضان في آفاق اليمن جمعاء.

٥- الشهيد حسين محمد محمد الوشلي، ولد في قرية القابل، ثم انتقل إلى الطويلة (المحويت) مع والده، استشهد وهو شاب قبل أن يتزوج، وقد استشهد معه رجلان وامرأة من أهالي الطويلة، لم أتمكن من التعرف على أسمائهم حتى الآن[٢].

٦- الشهيد الحسين بن يحيى بن أحمد بن عبدالله، من آل شريف المؤيدي، من ذرية الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي (ت١٠٨٣هـ)، من أهالي صعدة، وصفه السيد العلامة مجد الدين المؤيدي بـ"العلامة"[٣].

(١) ومن العجائب أن حماره عاد إلى قريته. صبر، طارق عبدالله قائد، إفادة شفهية بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٣م.

(٢) الوشلي، عبدالله عبدالله علي محمد محمد الوشلي، إفادة مكتوبة أرسل بها إليَّ بتاريخ ٢٠١٧/٩/٢٧م، والشهيد أخو الجد الثاني لكاتب الإفادة.

(٣) التحف، ص ٢٤٣- ٢٤٤.

٧- الشهيد حُمَادي بن سعد التركي، من أهالي مدينة صنعاء، تعلَّم بها، وكان طبيبا، حكى رفيقه الأستاذ غالب الحرازي أحد الناجين من المذبحة أن الشهيد المترْجَم له لمَّا هجم جنودُ ابنِ سعود على الحجاج رميا بالبنادق، كان المترجَم له يتلو سورة ياسين، ولكن التكفيريين كانوا أسرع إلى انتزاع روحه منه إلى إكمال سورة ياسين، حيث أصابه طلَقٌ ناري في جبهته وهو يتلو قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٨]، ولفَظَ فيه أنفاسه، وكان يحمل معه بعضَ كتب الطب من مؤلفاته، فنهبها النجديون في جملة ما نهبوه[١].

٨- الشهيد عبدالله بن محمد دهاق، أو محمد بن عبدالله دهاق المؤيدي من أهالي ضحيان صعدة[٢]، ولا نعلم عنه معلومات أكثر من هذه.

٩- الشهيد علي صالح علي العزب، من قرية حلملم السفلى، عزلة الأشمور (عمران)[٣].

١٠- الشهيد علي مصلح قاسم الأشموري، من قرية حلملم العليا، عزلة

(١) من إفادة الأخ عبدالله بن أحمد بن حمادي بن سعد التركي.

(٢) من إفادة السيد الاستاذ المجاهد محمد بن أحمد الحاكم رواية عن السيد محمد أحمد ستين رحمه الله.

(٣) من إفادة الأخ طارق عبدالله صبر، إفادة شفهية بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٣م.

الأشمور (عمران) [1].

١١- الشهيد قائد ناصر علي صبر، من أهالي قرية حلملم الأشمور، لواء حجة، كان من وجهاء محله، وكان برفقته ثلاثة من أهالي قريته استشهدوا جميعاً، ما عدى امرأة من بيت صَبِر كانت متزوجة في قرية الزافن، الأشمور، نجت وعادت بعد المجزرة ببضع شهور، وأخبرت أهالي الشهيد بما حدث وأن الشهيد كان مسلحاً وحفر له مترساً عند هجوم الغطغط وقتل مجموعة منهم [2].

١٢- الشهيد العلامة محمد حسين فايع، كان حاكما اختياريا في بلاد خولان بن عامر، وخلف أربعة من الأولاد. [3].

١٣-الشهيد محمد مصلح الوشاح، من أهالي مدينة صنعاء، استُشْهِد وعمرُه حوالي ٥٨ سنة، حيث احتُسِبَ سعيُه في عام ١٢٩٨هـ، وكان الشهيد قد نفَّذ عملية بطولية فدائية، تنبِئ عن أصالة اليمني الكريم الذي يضع روحه في خدمة أرواح الآخرين، فقد تكفل هو ورفيقٌ له بإعاقة تقدُّم المعتدين على

---

(١) من إفادة الأخ طارق عبدالله صبر، إفادة شفهية بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٣م.

(٢) من إفادة الأخ طارق عبدالله صبر قائد(من ذرية الشهيد)، إفادة شفهية بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٣م.

(٣) من إفادة حفيده السيد حسن فايع محمد حسين فايع ، إفادة شفهية ، بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٤م.

الحجاج ومشاغلتهم ليتمكن ولو بعضُ الحجاج من النجاة، وقاما بذلك حتى استُشهدا رحمة الله عليهما[1].

١٤- الشهيد محمد محسن علي بن علي أحمد شداد، ...[2]

١٥-الشهيد يحيى بن أحمد بن قاسم بن عبدالله حميد الدين، ابن سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين، ولد نحو ١٣١٦هـ، وكان قد أقبل على طلب العلم، وتتلمذ على كبار المشائخ الأعلام، كالقاضي العلامة الحسين بن علي العمري، وغيره، وقد "كان أشرف على النبوغ وهو في سن الشباب"، وكان متديِّنا فاضلا، كلَّفه الإمام يحيى بأن يكون نائب أمير الحج؛ لمكانته من والده، الذي كان معجبا به[3].

ذكره السيد العلامة المؤرخ محمد زبارة في لاميته[4]، حيث قال:

(١) من إفادة الأخ الدكتور أحمد الوشاح عن آبائه.

(٢) صادفتُ حسابا في فوقل اسمه (Mohammed Shaddad) يذكر أن جده هذا شهيد في تلك المجزرة.

(٣) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٢٨؛ ومن ترجمة قصيرة كتبها لي الدكتور العلامة أحمد بن عبدالملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين، ابن أخي الشهيد، في عام ٢٠١٧م.

(٤) نزهة النظر في أعيان القرن الرابع عشر — خ — بقلم ولد المؤلف مفتي اليمن السابق، السيد العلامة أحمد بن محمد زبارة، فرغ من نسخه في شوال ١٤٠٤هـ، (توجد منه نسخة مصورة في مركز الوثائق والمعلومات)، ج٤، ص١٥٠.

ومـات فيهـا مـن السـادات آل حميـد — الـدين شـهبِ العلـى والعلـمِ والعمـلِ
يحيى بن أحمد سيف المسلمين سليل قا — سـمٍ نجـلِ عبدِاللـه نجـلِ علـي
مـن نيِّـفٍ بعـد عشـرينٍ لمولـده — ثـوى شـهيدا شـهابُ الفضـل والعمـل
فرحمـة اللـه تغشـاه ومـن دفنـوا[1] — بالعـام هـذا مـن الحجـاج عـن كمَـلِ

١٦-الشهيد يحيى إسماعيل الضحياني، من أهالي ضحيان صعدة، ومن أعيانها، وهو مشهور فيها[2].

١٧- الشهيد يحيى محمد العزب، من قرية حلملم السفلى، عزلة الأشمور (عمران)[3].

١٨، ١٩، ٢٠- رجلان وامرأة من أهالي مدينة الطويلة (المحويت)، لم نتمكن من التعرف على أسمائهم حتى الآن.

ثانيا: الناجون

شاع كثيرا في المصادر التاريخية أن عدد الناجين قليلٌ جدا، من شخصين[4]، إلى ٥ أو ٦ أو ٧ أشخاص[5]، هم من تولَّوا الإخبارَ

(١) تم ترجيح أنه لم يحظ أولئك الشهداء حتى بدفن وحثيات من التراب، بل تركوا للسباع والطيور، ثم سحبتهم السيول إلى ما شاءت.

(٢) من إفادة السيد الأستاذ محمد أحمد الحاكم حفظه الله.

(٣) من إفادة الأخ طارق عبدالله صبر، إفادة شفهية بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٣م.

(٤) كشف الارتياب، ص٥٠.

(٥) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٧؛ والشهاري، المطامع السعودية في اليمن،

والروايةَ لوقائعِ الحادثة الأليمة.

لكنَّ هذه المعلومة عند التحقيق العلمي ليست سوى شائعة؛ إذ هناك معلومات من المعايشين أنفسهم للحدَث يُقَدِّمون أرقاما أكثرَ من ذلك بكثير، كما أن عملية التتبُّع والاستقصاء البسيطة والأوَّلية والتي أجراها الباحث أكَّدَتْ أن عدد الناجين أكثر من ذلك العدد الشائع كما سيأتي.

أكَّدت جريدة القبلة وصولَ أمير الحج إلى موسم ذلك العام بعد الوقعة ومعه من الناجين مئة وخمسون شخصا، وكانت الجريدة قد أخبرَتْ بنجاة نحوِ السبعين أو الثمانين في عددٍ سابق لها[1]. بل تقدم أن القاضي أحمد الجرافي ذكر أن الناجين ما يقارب الـ٢٨٠ شخصا[2].

بل ذلك البحث المخطوط ذو التفاصيل الدقيقة يعطينا رقما لا أستبعد صحته، وهو أن قريبا من "خمس مئة هربوا حال الرماية"[3]، مستغلين حالة الهجوم، وعامل الوقت الفارق بين تنومة

ص٦٦- ٦٧.

(١) جريدة القبلة، العدد ٧٠٥، ص٤؛ والعدد ٧٠٣، ص١.

(٢) الجرافي، تعليقة على المجزرة، في حامية كتاب ديوان المتنبي في مكتبة بدر.

(٣) بحث مفيد، ١١٤/ أ- ب.

وسدوان؛ إذ لعل أغلب أولئك الناجين كانوا من فرقتي سدوان الذين تقفَّزوا من شواهق الجبال بحثا عن النجاة في عرصات تهامة.

أسماء وتراجم قليلٍ منهم

تقدَّم ذكرُ الشائعة بكون الناجين بعدد أصابع اليد، ومع ذلك فهي تعكس الوجدان الشعبي المتملِّك للناس، والذي يوحي بهول وقع المذبحة على أسماعهم، وعظيم فظاعتها، ومن خلال تتبُّع أوليٍّ تبين أن هناك عددا أكبر مما تذكره تلك الشائعة.

هذه قائمة أولية بأسماء بعض الناجين وتراجم بعضهم ممن عثرت على معلومات عنهم، مرتَّبة أبجدياً:

١-الحاج إبراهيم بن أحمد الحشحوش (ت١٣٩٠هـ)، من أهل رحبان، صعدة، كان ملازما لكتاب الله، تمرّغ بين الدماء أثناء المجزرة، ثم انسل بعد ذهاب المعتدين من مكان المجزرة[1].

٢-السيد العلامة العابد حسين بن عبدالله الحرجي، لعله من علماء صعدة، عرفه الشهيد الدكتور عبدالكريم جدبان، شيخا

(١) من إفادة السيد العلامة محمد قاسم الهاشمي، بتاريخ ذي الحجة، ١٤٣٨هـ، رواية عن العلامة يحيى حسين عبدالرزاق الحشحوش، وسيدنا أحمد عبدالرزاق الحشحوش.

كبيرا، وأورد اسمه في هامش مقدمة كتيِّب (إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبدالوهاب) للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير (ت١١٨٢هـ) عند ذكره عرضا لهذه المجزرة.

٣-صالح سراج، من جبل عيان، مديرية حجة، نجا من المذبحة بارتمائه بين دماء القتلى، واستطاع النجاء أيضا بامرأةٍ من قبيلة خولان الطيال، نجت هي الأخرى من المذبحة، وقد أوصلها بعد ذلك إلى أهلها في خولان الطيال، فأكرموه وأعزوا جانبه[(١)]. وهذه القضية تثبت وجود العنصر النسائي في قافلة الحجيج، بالإضافة إلى تصريح الرحالة نزيه العظم بذلك.

٤- تلك المرأة من خولان الطيال، خولان العالية، والتي أوصلها الحاج صالح سراج رحمه الله.

٥- تلك المرأة من بني صبر من قرية حلملم التي نجت من المذبحة ووصلت بعد بضع شهور إلى قريتها وأخبرت بالمجزرة [(٢)].

٦- السيد ضيف الله المهدي، من محلِّ العرينة عمار — إب، وكان قد

---

(١) من إفادة الأخ الحاج حمود علي الراجعي، من مديرية نجرة، محافظة حجة، حيث عرف الناجي وكان يحدثهم عن المجزرة، وأخذت هذه الإفادة من الحاج بتاريخ ذي القعدة ١٤٣٨هـ.

(٢) صبر، إفادة شفهية بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٣م.

أفلت من المجرمين في المـجـزرة بحيلةٍ اتَّخَذها، حيث رمَى بنفسِه بين دماءٍ كثيرة، وامتدَّ بينها حتى ابتعد عنه القتلة، ثمَّ تمَّ مطاردتُه وآخرين بعد ذلك من الجيش النجدي أصحاب الإبل، فاختبأوا عنهم، ثم التقاهم قطاعُ طرق في الطريق، وسلبوهم ثيابهم، ولم يتركوا على أجسامهم شيئا من اللباسِ سوى السراويل، إلى أن وصلوا إلى قريةٍ صغيرةٍ، كان بها ذلك الرجل الصالح، الذي أكرمهم وآمنهم حتى وصولهم إلى مركز حكومي[١].

٧-الحـاج عبدالوهاب بن أحمد الخباني (ت بعد١٣٨٠هـ)، من قرية الذاري، من محافظة إب[٢].

٨-الحـاج علي صالح المرشحي، من أهالي مدينة كحلان عفار، محافظة حجة[٣].

٩- الحاج الأستاذ غالب الحرازي ، من أهالي مدينة صنعاء ، كان رفيقا للطبيب حمادي التركي ، وهو الذي روى كيفية مقتل رفيقه كما تقدم.

١٠- السيد العلامة محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالكريم،

---

(١) من إفادة السيد العلامة عبدالرحمن بن حمود الوشلي.

(٢) من إفادة الأستاذ الفاضل السيد علي بن محمد بن يحيى الذاري.

(٣) من إفادة الأستاذ الفاضل السيد عباس علي حفظ الدين الكحلاني، من أهالي مدينة كحلان عفار، بتاريخ ذي القعدة ١٤٣٨هـ.

من ذرية الأمير عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، ولد سنة ١٣٠٩هـ، وأخَذ العلمَ عن السيد العلامة حسين بن محمد أبو طالب في الفقه والنحو، وعن السيد العلامة عبدالصمد بن عبدالرحمن أبو طالب، وعن القاضي عبدالوهاب بن محمد المجاهد، وغيرهم، وأخذ القراءات السبع عن السيد العلامة المُقْرِئ يحيى بن محمد الكبسي، وتلاميذُه كثيرون في العلوم، وتجويد القرآن والمتون، وكان كل من منزلته وهو أعزب، ثم بيته وهو متزوج، في غاية النظام والنظافة ورائحة العود تنفح منها. وكان كريم الأخلاق، سخي النفس، صادق اللهجة، عظيم المروءة، يحب معالي الأمور، ويفصل بين المتنازعين وأهل التركات مجانا، ثم تعين عاملا لعيال سريح، وللقفلة، والمخادر، ثم تعيَّن مدة من الزمن في عضوية محكمة الاستئناف الشرعية بصنعاء، وكان قد حج مرارا، وتوفي عام ١٣٩٣هـ، وشيع جنازته الناس بجميع طبقاتهم من علماء، وتجار، وضباط، وعامة، وممن شيَّعه الرئيس إبراهيم الحمدي، ولم تشهَدْ صنعاءُ جنازةً أكثرَ من جنازته، ورثاه كثير من الشعراء[(١)].

---

(١) زبارة، نزهة النظر، ج٢، ص٥٨١؛ ونزهة النظر أيضا، - خ - ، ج٣، ص٢٤٧.

١١- رجلٌ من آل الذويد من أهالي مدينة صعدة، نجا بتظاهره بالموت وارتمائه بين الجثث والدماء، وهو الذي سمع النجديين وهم يطوفون بين القتلى، وأحد قادتهم يسأل جنوده: كم قتلت؟ فإذا قال: واحد، قال له: لك قصر في الجنة، وإذا قال أكثر بشره بقصورٍ بعددِ مَنْ قتل من حجاج بيت الله الحرام[١].

١٢- رجل من العبديين من أهالي رحبان، صعدة، من آل عدوان ...[٢].

١٣- رجل من العبديين أيضا، من أهالي رحبان، صعدة، ...[٣]

هل كانوا محرمين؟

بما أن القوم لم يكونوا قد وصلوا إلى أيٍّ من مواقيتِ الحج، ولا إلى إزاءِ أيٍّ منها، فإنه من المرجَّح أنه لم يكن قد أحرم أيٌّ منهم، ولا تساعدُ ظروف السفر الشاقة والمُعْنِتة آنذاك أيّاً منهم على التطوع بالإحرام من أمكنةٍ سابقة للميقات، والذي يجوِّزُه الفقه

---

(١) من إفادة الأخ محمد أحمد سهيل، من صعدة يرويها عن أبيه، عن أحد الناجين من آل الذويد بصعدة.

(٢) من إفادة الأخ الأستاذ المؤرخ عبدالرقيب حجر، بتاريخ ٢١ ذي الحجة ١٤٣٨هـ.

(٣) من إفادة الأخ الأستاذ المؤرخ عبدالرقيب حجر، بتاريخ ٢١ ذي الحجة ١٤٣٨هـ.

الإسلامي؛ لذا يترجَّح أنهم لم يكونوا قد أحرموا بعد.

وبناءً على هذا، يبدو أن قولَ القاضي الأكوع: "اعتدى عليهم جيش الملك عبدالعزيز آل سعود فقتلهم وهم مُحْرِمون"[1]، وما ذكره القاضي عبدالرحمن الإرياني من أنهم "كلهم مُهِلُّون بالإحرام للحج"، وكذلك مناقشة الباحث الدكتور عبدالرحمن الوجيه لرواية آل سعود في المذبحة بقوله: "ألم يكن ارتداءُ أولئك الضحايا للباس الحج في موسم الحج دافعا للقَتَلَة كي يتأكَّدوا من هوية ضحاياهم"[2]، كله نشأ عن الوهم والالتباس.

ومن خلال هذا الفصل .. يتبين أن الشهداء كانوا أكثر من ٣٠٠٠ شهيد، وأن الناجين منهم حوالي ٥٠٠ شخص، وأن وضع السلطة السابقة وعلاقتها مع نظام آل سعود أدَّى إلى إهمال توثيق هذه الحادثة لاحقا، وأنه يجبُ أن لا يفوتَ اليمنيين هذا الأمر مرة أخرى.

---

(١) الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٣، ص١٥٣١.

(٢) الوجيه، عسير في النزاع السعودي اليمني، ص١٢٦.

الفصل السادس

النتائج والآثار والتطورات المترِّتبة على المجزرة

ترتب على تلك المجزرة نتائج وتطورات ومتغيرات لها أثر في التاريخ اليمني المعاصر، منها:

- كان من أهمِّ النتائجِ والآثارِ هو اشتعال الغضب الشديد واتِّقاد نار الحزن في قلوب اليمنيين، كما عبَّر عن ذلك صاحبُ سيرةِ الإمام يحيى إذ قال: "ولما وصل هذا الخبر إلى هذه الأقطار قوبل بالغضب الشديد والحزن العام"، ويصف نزيه العظم مشاعرَ اليمنيين إزاء هذه المذبحة، وقد وصل اليمن بعد أربع سنوات من وقوعها، فيقول: "وحدَّثني أيضا عن هذه الفاجعة كثيرٌ من أهل اليمن، بينهم أقارب الحجاج الذين قُتِلوا في هذه المجزرة"، "وجميعُهم كانوا يسرُدونها عليَّ وعلاماتُ التأثرِ العميقِ والحقدِ الشديد ظاهرةٌ على أسارير وجوههم"[1].

- وقد عبَّر اليمنيون آنذاك عن استعدادِهم للاقتصاص من

(١) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٧.

القتلة أينما كانوا واستعدُّوا لقتالهم، وكانوا بين الفترة والأخرى يُسْمِعون الإمام يحيى من التحريض والإثارة ما كان "يُثير الحفيظة"، ويرفعون بذلك عقائرهم وأصواتهم[1]، و"قال في ذلك العلماء والبلغاء الخطباء الرسائل والقصائد"، وذكروا فيها هذه المصيبة، وحثوا الإمام يحيى وجميع قبائل اليمن بالاجتماع والمسير لحرب هؤلاء "الخوارج المعتدين على حجاج بيت الله الحرام"[2]. لكن للأسف لم يستثمر هذا الأسى والحزن كما ينبغي وفي الاتجاه الصحيح في الغضب لله تعالى ولدماء أولئك المظلومين.

- وصلت الرسالة النجدية الوهابية - مضمَّخةً بالدم البريء، مزيّنة بالأشلاء والرؤوس المقطوفة - إلى كل بيتٍ يمني، وكان مفادُ تلك الرسالة أن القتل أفضل طريقة محبَّبة لدى النجديين في علاقتهم باليمنيين، وأنه خيرُ وسيلةٍ في التعارف معهم من أول يوم، وأن عليهم أن يستعِدُّوا لمثلِ ذلك السلوكِ المتوحِّش في أقرب فرصة أو فليكونوا على حذر، وللأسف تلقَّف اليمنيون تلك

(١) مجلة المنار، مج٣٤، العدد١، محرم، ١٣٥٣هـ/ مايو ١٩٣٤م، ص١٠،جواب من الإمام يحيى على محمد رشيد رضا، بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى، ١٣٥٢هـ.

(٢) مجهول، بحث مفيد، ١١٤/ ب.

الرسالة بشيء من البلاهة والتهاون، وإذا بالنجديين يعودون لمثلها منذ عام ٢٠١٥م بأشدَّ وأسوأ مما كانوا، ولو كنا أخذنا بتنبيهات تلك الرسالة الخطيرة واستمعنا لجرَسِها المنذرِ لأعددنا العدة، ومع ذلك فالفرصة سانحة للرد عليهم، والانتصاف منهم اليوم.

- وكان من الطبيعيّ أن يمتنِع اليمنيون عن الحج لأعوام[1]، بعد أن تم استهدافهم على ذلك النحوِ البشِع.

- وكان من نتائجها توتُّرُ العلاقات السياسية بين حكومة الإمام يحيى وسلطان نجد ابنِ سعود، واشتعال ملف عسير الذي سيؤدي في ما بعد مع جملة من الأسباب الأخرى إلى اشتعالِ الحربِ بين الطَّرفين، وظلَّت قضية المجزرة مطروحة في كل اللقاءات والمفاوضات السعودية اليمنية لاحقا حتى اشتعال حرب ١٩٣٤م وتوقيع معاهدة الطائف، والتي بدورها تجاهلت القضية ووأدتها تحت متغيِّرات سياسية جديدة.

---

(١) العظم، رحلة في العربية السعيدة، ص٢٢٨.

- تنومة والمفاوضات اليمنية

ظلَّت هذه القضية وموضوع الإنصاف للمظلومين من حاكم نجد مَطْلَبا دائما للجانب اليمني، وإذا كان الإمام يحيى قد حكَّم ابن سعود بعد المجزرة، وطلب الإنصافَ منه، وأنه استمر في المماطلة وفي صَرْفِ العبارات المخادِعة؛ فإن الجانبَ اليمنيَّ ظلَّ يطرح هذه القضية في مقدِّمة القضايا التي يجب البتُّ فيها وحلُّها في جميع اللقاءات والمؤتمرات اللاحقة، فقد وضع الإمامُ مسألة اغتيال الحجاج في مقدمة الشروط عندما أرسل ابن سعود وفدا في نفس عام ١٩٢٣م[١].

وعند زيارة الشيخ كامل القصَّاب من علماءِ دمشق الشام ورفيقه حياتي بك موفَدين على الإمام من قبل الجمعية العربية التي كانت تسعى لتوحيد كلمة العرب، وطلبِ الوفاقِ بين الإمام وابن سعود، فرحَّب الإمامُ بالفكرة، ولكنه طلبَ تقديمَ الإنصاف الموعودِ به بشأن العدوان على حجاج بيتِ الله في تنومة وسدوان، وأنه متى تمَّ ذلك وزال ما في النفوس من غيظٍ أمكن الشروعُ في الاتفاق على

(١) الشهاري، المطامع السعودية في اليمن، ص٧١- ٧٢؛ نقلا عن جريدة المقطم المصرية، عدد٢١١٣٦٣، بتاريخ ١٠/٧/ ١٩٢٦م.

أساسٍ متينٍ من الاتحاد ونبذ الشقاق، محمِّلا المسؤولية في ذلك "جنودَ أميرِ نجد"، فرأيا أن جواب الإمام هو الصواب، وعلى ضوء ذلك توجّها إلى الرياض للقاء حاكمها[1].

وكلمة الإنصاف الموعود به تشير إلى سبْقِ وعدِ عبدالعزيز ابن سعود وعودا عسلية أراد من خلالها كسْبَ الوقت والابتعاد الظرفي واللحظي عن الحادثة.

ونزولا عند رغبة كثير من زعماء وأعلام العرب في حضور اليمن مؤتمرَ مكة برئاسة عبدالعزيز ابن سعود عام ١٩٢٦م، فقد حضر اليمن، غير أن المندوب اليمني السيد حسين بن عبدالقادر كان قد أنهى إلى عبدالعزيز أيضا ضرورة البت في قضية شهداء تنومة قبل إقامة أية علاقات أو عقد أية اتفاقيات[2].

وفي ٣ ذي الحجة ١٣٤٥هـ وفد إلى صنعاء وفدٌ من قبَلِ ابنِ سعود، وأرادوا تقريرَ الحدودِ بين البلدين[3]، ثم ذهب وفدٌ في العام التالي ١٣٤٦هـ من اليمن إلى مكة، وجرت المفاوضات[4]، حول

(١) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج٢، ص٤٤٥- ٤٤٦.

(٢) مطهر، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ج١، ص٣١٨، مقدمة المحقق الدكتور صالحية، نقلا عن فتوح الحترش، تاريخ العلاقات اليمنية السعودية، ص١٢١- ١٢٢.

(٣) الجرافي، المتقطف، ص٢٤٨.

(٤) الجرافي، المقتطف، ص٢٤٩- ٢٥٠.

قضية عسير، وقضية الحجاج اليمنيين في تنومة، ولكن "لم يجد الوفد تجاوبا صادقا في الموضوع، فعاد إلى صنعاء وظلت القضية مفتوحة لم يُبَتَّ فيها بشيء، في حين كانت المشاكل تتجدَّد، وأهمها حادثة جبل (عرو) في أطراف عسير"[(١)].

ولما حكم ابنُ سعود بأحقية الجانب اليمني في جبل عرو، وتعلَّق بها الجانب السعودي على أنه أساسٌ لاتفاقيةٍ شاملةٍ طرَح اليمنيون مرة أخرى موضوعَ دفعِ دياتِ آلافِ الحجاج اليمنيين[(٢)]. ولعل الإمام كان يرمي من وراء التشديد على ديات الحجاج المادية إلى الجانب المعنوي المترتب عليها، وهو الاعتراف بمظلوميتهم، ومن ثم القضاء على رسالة التوحش والقسوة التي أصر ابن سعود على الإخلاص لها حتى آخر لحظات حياته.

استمر الإمام يطرح القضية في المحافل السياسية وفي المنابر الإعلامية العربية ، بل حتى من خلال مراسلاته الثنائية مع الشخصيات المعتبرة ، كما هو الحال في رسائله مع محمد رشيد رضا[(٣)].

وأثيرت القضية أمام وفدِ ابن سعود في صنعاء عام ١٣٤٦هـ/

(١) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٣٧٩- ٣٨٠.

(٢) الشهاري، المطامع السعودية في اليمن، ص١٢٨- ١٢٩.

(٣) مجلة المنار، مج٣٤، ص١٠.

١٩٢٧م، ورد الوفد بكلام ليِّنٍ ربما كان يستبطن التنصل، فقالوا: إن ابن سعود "ليس له به اطلاع، ولم يرضَ بما كان، ولا بد أن تكون المخابرة فيها على ما تحبون"[(١)].

ثم طرح المندوبون اليمنيون القضية في مفاوضات صنعاء في ربيع الأول ١٣٥٢هـ / يونيو ١٩٣٣م، باعتبارها قضية مهمة، بسبب "تأثر القلوب" منها، وطلبوا من الوفد السعودي الرفع بشأنها إلى ملكهم ابن سعود، استنجازا لحكمه، حيث كان الإمام قد حكَّمه[(٢)].

وبعد فشل كثيرٍ من جولات التفاوض، وإبداءِ كثير من المماطلة عن إصدار الحكم فيها من قبل ابن سعود، وبعد أن تفرغ ابن سعود من كل خصومه، وبات مسيطرا على الحرمين الشريفين، وتقوى مركزه الروحي والمالي، أبدى ما بيَّت من النية في التنصُّل عن تحمُّل أية مسؤولية تجاه هذه المجزرة، حيث ردَّ على برقيةٍ للإمام بتاريخ ١٩ رجب ١٣٥٢هـ/ ٧ نوفمبر ١٩٣٣م بأن "مسألة الحجاج" "تعلمون براءتنا منها، ولا حجة علينا فيها"[(٣)].

---

(١) سالم، مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٠٤؛ نقلا عن وزارة الخارجية السعودية، بيان عن العلاقات، ص٧.

(٢) سالم، مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤١٣، نقلا عن وزارة الخارجية السعودية، بيان عن العلاقات، ص٤٧- ٤٨.

(٣) سالم، مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٢١، نقلا عن وزارة الخارجية السعودية، بيان عن العلاقات، ص٧٥.

ثم في مؤتمر أبها في ذي القعدة ١٣٥٢هـ/ مارس ١٩٣٤م تمسك الوفد اليمني بوجهة نظره حول عدد من القضايا، ومنها "حادثة الحجاج الأبرياء"، إلا أن ابن سعود كرر مصارحة اليمنيين بموقفه من حادثة الحجاج، وهو أنها "مسألة منتهية، وأن ابن سعود بريء منها"، وأنه "أمر بإعادة كافة ما وُجِدَ مع الحجاج"، واستدل بقوله: "وعندنا وثيقة باستلام ذلك"[(١)]. ورغم ذلك فإن الوفد اليمني اعتبر أن مسألة الحجاج لا زالت "معلقة، ومن الواجب حلها"[(٢)].

وهكذا ظلت قضية الحجاج مطروحة طوال المسار التفاوضي، وأن ابن سعود كان يلاين الجانب اليمني في أول الأمر، لكنه ما إن قوي موقفه العسكري والسياسي والاقتصادي، وعندما قرر تنفيذ توجُّهاته إزاء عسير ونجران وجيزان من خلال الخيار العسكري كشف عن حقيقة موقفه وخلع قناع اللين إزاء أولئك الحجاج ومسألة تعويضهم.

وقد يستغرب القارئ من موقف ابن سعود المتشدد في مسألة

---

(١) سالم، مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٤٨، نقلا عن وزارة الخارجية السعودية، بيان عن العلاقات، ص١٤٤.

(٢) سالم، مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٤٨، نقلا عن وزارة الخارجية السعودية، بيان عن العلاقات، ص١٤٦.

تعويض الحجاج وتسليم دياتهم، لا سيما وهو الذي كان سخي اليد لكل من هبَّ ودبَّ في بلاطه، ولا سيما بعد أن تفجَّر البترودولار في بلاده ليكتمل مشروع قرن الشيطان تمويلا، والذي يبدو أن ابن سعود كان يسعى دائما إلى الحفاظ على مكتسبه السياسي والاجتماعي والنفسي من وراء هذه المجزرة؛ فهو الذي أراد الظهور بمظهر القوي الذي لا يتراجع عن قراراته، في الوقت الذي يظهر الإمام يحيى في موقف الضعيف والمتسوِّل المستعطي، الذي ليس بيده حيلة، أمام شعبه وأمام العالم، كما أراد أن يبقى طابع التوحش والقسوة الذي حققته هذه المجزرة في وعي اليمنيين كما هو بدون أن يتراجع عنه، ومسألة التعويض ربما سترمم هذه النفسيات التي أرادها منكسرة.

إنها استراتيجية كيِّ الوعي، وغزو النفوس، وقتل الهمم عن القيام بأي دور معارض له.

-أدرك كثير من اليمنيين خطورة هذا الكيان المتوحِّش وأدركوا وجوب مواجهته منذ وقتٍ مبكر، وكان الجانب الشعبي حاضرا في هذا الصدد، وكان الأولى بالجانب الرسمي ممثلا بحكومة الإمام يحيى الاستجابة الموازية لتحدي هذا الجرس المبكِّر، والذي آذن بأن هذا الكيانَ المزروع في صدر الأمة وعلى حرميها

الشريفين كيانٌ عدائيٌّ شيطاني يجبُ مواجهتُه وإزاحتُه عن الحجاز، وتحريرُ الأراضي اليمنية المحتلة في عسير ونجران وجيزان من تحت قبضته المشؤومة.

لقد أظهر العدوان الجاري على اليمن منذ مارس ٢٠١٥م خطورة وحجم خطأ التهاون والتقاعس والتخاذل عن مواجهة هذا الكيان، الذي وصفته الأدبيات الإسلامية بأنه (قرن الشيطان).

أدّى التهاون إزاء ذلك الجرس الخطير أن اليمنيين لم يعدوا العدة اللازمة للمواجهة الاستراتيجية، ثم أدَّى التدخل والهيمنة السعودية على قرار اليمن السياسي والتربوي والثقافي والفكري إلى تغييب تلك المجزرة عن الواقع التعليمي والثقافي، وساهم البترودولار في وأد الجريمة وتضييعِها، وخلق قوى ناعمة تدين بالولاء لهذا الفكر الشيطاني النجدي، فتم مع مرور الوقت تغييب الوعي بهذه الخطورة، فإذا بنا نشهد أن فينا من يدين بالولاء لهذا الكيان أكثر من ولائه لوطنه، ولبلده، ولإخوانه، ولمظلوميته.

- معاهدة الطائف والمجزرة

بعد أن قوي مركز ابن سعود السياسي والعسكري والاقتصادي بدأ بفرض خياراته بشأن عسير وجيزان ونجران وشأن الحجاج

بالقوة والإملاء، وأدى إلى فشل المفاوضات ثم إلى انفجار الحرب اليمنية السعودية في عام ١٩٣٤م، والتي انتهت بما عُرِف باتفاقية الطائف عام١٩٣٤م، التي أملى شروطَها المنتصر عسكريا في المجمل، وهو ابن سعود، ومع ذلك فقد استطاع الإمام يحيى بسبب انتصاره وتقدمه في جبهة نجران وعسير، ثم بحصافته أن يتفادى كثيرا من الإملاءات التي كان يفرضها الوضع العسكري والسياسي آنذاك.

وفي الواقع إنما أقرت تلك المعاهدة بشأن الحجاج واقعاً مفروضاً، وهو أن لا علاقة لابن سعود بهذه المجزرة، وأنه لا تلزمه أية تبعة؛ وبناء على ذلك كانت تلك الاتفاقية صدى جافا لما كان يريده ابن سعود، وهو التجاهل التام لها، وعدم ذكرها ولو بالإشارة.

ومع أن المعاهدة أفضت إلى نوعٍ من التطبيع في العلاقة بين اليمن والنظام السعودي؛ إلا أنه بالعودة إلى نصوصها نجد مملكة قرن الشيطان اليوم بحربها على اليمن قد خالفَتْها مخالفة صريحة، ونكّلت بمضمونها تنكيلا مبينا؛ الأمر الذي يعني أنها أفرغتها من مضمونها الملْزِم لليمنيين في الكف عن المطالبة بالأراضي اليمنية المحتلة واستعادتِها.

وبناء على ذلك وعلى أن تلك المعاهدة لم تتناول المجزرة بأي حل وأن ولاية أولياء الدم باقية فإنه شرعيا وقانونيا يحق لأولياء الدم أن ينتصروا اليوم لقضيتهم، وأن يرفعوا دعاوى حقوقهم المدنية من الديات والتعويضات أمام المحاكم الدولية ضد نظام ابن سعود، فمثل هذه الجرائم لا تسقط بتقادم الزمن، وخيرٌ من ذلك كله فإن الجبهات المشتعلة بين اليمنيين وبين هذا النظام هي خير ميدان لمحاكمتهم والتنكيل بهم والاقتصاص من القتلة أبناء القتلة، وليست جرائم اليوم ولا ضحاياه وهم بعشرات الآلاف بأقل شأنا من أولئك، حيث لا زال الدَّمُ متدفِّقا، والجُرح نازِفاً، والحُزن حارًّا.

- حركة آل الحاضري الشعبية:

وبما أن معاهدة الطائف ١٩٣٤م لم تحمِلْ أيَّ حلٍّ أو إنصافٍ لشهداء قضية تنومة، بل طوَتِ القضية ووأدَتْها سياسيا تحت وطأة الانتصار العسكري لابن سعود، وشعر اليمنيون عندها بالغيظ والحنق والإحباط، ولمسوا خسارة أراض يمنية طالما أملوا في عودتها لبلدها الأم؛ لهذا فقد تحرَّك الجانب الشعبي اليمني لأخذ الثأر والقصاص بنفسه؛ ففي الساعة السابعة والنصف صباح يوم الأضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٥٣هـ/ ١٧ مارس ١٩٣٥م انبرى ثلاثة رجال من قرية بيت حاضر السنحانية للاقتصاص من ابن

سعود، حينما كان يطوف طوافَ الإفاضة ـ في الحرَم المكي.

أولئك الفدائيون الثلاثة هم من أسرة بيت الهجَّام من بيت حاضر ـ في سنحان، جدير بالذكر أنه وصلت إلى يديَّ أوراقٌ ـ في دفتيها مذكِّرات منسوبة إلى الفدائي الشهيد صالح بن علي الهجام[١]، كتبها لنفسه، وتضمَّنَتْ نسبَ أسرته آل الهجام منذ القرن العاشر الهجري، وإنجازات أسرته العسكرية، وأحداثا هامة، ومعلومات خطيرة حصلت من أول القرن الرابع عشر الهجري إلى سنة ١٣٥٢هـ، وأورد فيها سلسلة نسبه كالتالي: صالح بن علي بن حزام بن صالح بن علي بن حسين بن صالح بن علي بن صالح بن قائد بن هادي بن قائد بن هادي الهجام الملقب النجار، وذكر فيها أن عمَّه صالح بن حزام الهجام قائد صف سنحان وبلاد الروس ـ في حرب التحرير ضد الأتراك وأن الإمام يحيى لقَّبه بـ(القائد المنتصر).

وهذه تراجم أولئك الفدائيين:

١- النقيب علي بن علي حزام الهجام، والذي عرَّفه بيان الخارجية السعودية بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٣٥٣هـ/ ٢٠ مارس ١٩٣٥م بأنه:

---

(١) تضمنت معلومات مثيرة وخطيرة، ولهذا يعتزم الباحث إجراء دراسة لهذه المذكرات بالنقد التاريخي المنهجي، وتحقيقها، ونشرها.

"ضـابط برتبـة نقيـب في الجـيش المتـوكلي اليمـاني، رقـم جـواز ٩٨ صادر من جـوازات صنعاء بتـاريخ ١٠ شـوال ١٣٥٣هـ"، بينما وصفه بيان الحكومة اليمنية بأنه: "لم يُعلم بنيته للحج إلا في وقت متأخر".

ومما ورد في مذكرات الشهيد صالح بن علي الهجام عن أخيه الشهيد علي بن علي الهجام: أنه كان يلقب بنقيب المجاهدين، وأنه كان قد التحق بالإمام يحيى حميد الدين في قفلة عذر في عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م وتدرَّب على الأسلحة، ومنحه الإمامُ رتبةَ نقيب، ثم تعين قائد بُلُك[١] الحاضري في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وشارك في حروب الإمام ضد الأتراك حتى خروجهم من اليمن، ثم عُيِّن قائدا للمعسكر الجنوبي لصنعاء، وكان هو وأخوه كاتب المذكرات صالح علي حزام، ومبخوت بن مبخوت حسين النجار، وآخرون من بيت حاضر - أبطالَ معركة التحرير ضد الأتراك حول صنعاء، فأطلق عليهم الإمامُ يحيى (أسود النصر)، ومنح كلا منهم رتبة نقيب، ومنح القائد علي بن علي لقب نقيب النقباء، وشارك قائدا في معركة باقم التي اندحر فيها الجيش السعودي عام ١٩٣٤م، ولما وقَّع الإمام معاهدة الطائف مع ابن سعود غضب لذلك غضبا

(١) مصطلح تركي، وهو اسم وحدة من وحدات الجيش.

شـديدا، واعتبرهـا معاهـدة مُخْزِيَة سـلبت اليمنـيين أرضـهم لصـالح ابن سعود.

٢- أما ثانيهما فهو صالح بن علي الهجام، وصفه بيان الخارجية السعودية بأنه "مزارع، رقم جوازه ٣٤ صادر من جوازات صنعاء بتاريخ شوال ١٣٥٣هـ"، أما الرواية اليمنية فتقول عنه: "شقيق الضابط علي قدم إلى اليمن بعد أن كان مغتربا في جيبوتي لسنوات، ثم التقى بأخيه وكان الإصرار منه على أخيه الضابط علي بالعزم إلى مكة لأداء فريضه الحج".

غير أن ما كتبه الرجل عن نفسه في مذكراته التي لم تنشر بعد، يبيِّن أنه شارك أخاه في معركة التحرير ضد الأتراك، وأنه كان شابا إذ تزوج في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م وحضر عرسه الأمير عبدالله بن أحمد الوزير، والذي كانت أسرته ترتبط به بشكل وثيق، وأنه عيِّن قائد سرايا العرض، وكان مدرِّبا للجيش على المدافع والرشاشات، وتذكر أنه كان على رأس بعثة علمية من الزيدية والشافعية شكلت لتقصي الحقيقة عن الوهابية، وأنهم زاروا الكوفة والنجف وكربلاء، ثم القدس والمسجد الأقصى والتقوا بعلماء فلسطين، ثم رحلوا إلى مصر وقابلوا علماء الأزهر، وكان جميع من يلتقون بهم من العلماء يبدون قلقهم من حركة الوهابية، وأن بريطانيا تدعمها بحسب

اتفاق بينها وبين عبدالعزيز ليساعدهم في إقامة دولة يهودية في فلسطين، وأن مهمة الوهابية كانت في إضعاف القوميات الإسلامية —على حد قول المذكرات - المناصِرة للأراضي المقدسة، ثم رَفَعَت تلك البعثة بذلك تقريرا إلى الإمام يحيى، وهذا في أواخر عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م، بحسب تلك المذكرات.

كما ذكر النقيب صالح فيها أن معاهدة الطائف كانت قد أغضبت قيادات الجيش وكبار المشايخ، وهذا أدَّى لعقد اجتماع في صعدة ضم قادة ومشائخ وعلماء دين، كان من أهم مخرجاته رفض اتفاقية الإمام يحيى مع ابن سعود ومع البريطانيين، وعدم إقرار النظام الملكي الوراثي، وتطوير الجيش اليمني وتسليحه، ومد يد العون لمشائخ وأعيان ووجهاء نجد والحجاز.

ويذكر فيها أن المجتمعين توزَّعوا إلى أربع مجموعات، المجموعة الأولى ضمت قيادات عسكرية وقبلية وعلمائية هامة، منهم النقيب علي بن علي الهجام، وصالح بن علي الهجام وابن عمهما مبخوت بن مبخوت الهجام، وكانت مهمتها استرجاع حجاز اليمن (عسير) من قبضة عبدالعزيز بن سعود وأعوانه، ونفَّذت هذه المجموعة لقاءات مع مشايخ الحجاز وأعيانه فمنهم من أبدى استعدادَه، ومنهم من سيطر عليه الخوف من بطش عبدالعزيز وأعوانه.

عشـية سـفره إلى الحـج، كتـب النقيـب صـالح بـن علـي الهجـام وصيته — بحسب تلك المذكرات - قـائلا: "للعلم نحـن ذاهبـون لما يرضي اللّه ورسوله، وما ندري ما اللّه قاضـي (قـاض) فيـه، إن قـدر لنا النصر فمن اللّه الكريم الفرج، وإن قـدر لنـا الشـهادة فهـي الفـوز من اللّه لنا بالجنة، ولا مردَّ لقضائه ومشيئته"، وقـال: "فهـذا مكتـوب ومقدر لنا من اللّه الحكيم العدل أن نجاهـد في سبيله مع أهـل بيـت رسـول اللّه مـن أقـام العـدل واتبـع الحـق، وهـذا متـوارَثٌ فينـا مناصـرتهم منـذ القـدم، فهـذه وصـيتي لكـم بالإيمـان بـاللّه إيمانـا مطلقـا وقويـا وبملائكتـه وكتبـه ورسـله والقـدَر خـيره وشـره، وتربيـة الأبناء على مبادئ الدين الحنيف، وبعد ما ذكِر: أشـهد أن لا إلـه إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وحبيبه مـن خلقه ... إلخ"[(١)].

٣-أما الثالث فهو مبخوت بن مبخوت بن حسين النجار الهجام، وهو من نفس الأسرة، لا تذكر عنه الرواية السعودية سوى أنه حصل على جواز سفر من جدة، أما الرواية اليمنية فتقول عنه: "فارّ من الجيش قبل وقت غير قصير، وأنه سافر الى أخيه المقيم بالحجاز

(١) اشتملت المذكرات على أخطاء نحوية ولغوية قليلة، وقد قمت بتصحيحها.

واغترب في الجوار"، أما مذكِّرات رفيقه النقيب صالح الهجام فتذكر أنه كان شريكَهم في الجهاد مع الإمام يحيى، وإن لم يكن له نفس الحضور الذي كان لهم.

٤-وتضيف الرواية السعودية لهم رابعا، وتسميه: "مساعد بن على سعد، عسكري في الجيش المتوكلي اليماني، رقم جواز ٦٣ صادر من أمير الحج اليماني بتاريخ ٥ ذو القعدة ١٣٥٣هـ"، بينما لا تعرِف عنه الرواية اليمنية شيئا، وكذلك لا يوجد له ذكر في تلك المذكِّرات، ولعله التحق بالمجموعة في وقت لاحق، وأمكنه الفرار من قبضة السعوديين بعد الحادثة، وربما لم يكن له علاقة بالحادثة أصلا.

روى السيد علي المرنَّة أنه في ذلك الحج صادفَ أن لقيَ أولئك الفدائيين من أهل بيت حاضر، وأنهم قبيل الحادثة طلبوا منه الانضمام إليهم، فقالوا له: يا ابن الجدَّين[1]، اليوم يوم النقاء، وكانوا قد أصرُّوا على النزول لطواف الإفاضة بعد رمي الجمرة مباشرة، لعلَّهم يجدون ابنَ سعود، فيقتصُّون منه، وبالفعل فإنهم ما إن رأوه يطوف حول الحرم، وكان خلفه ابنه سعود وحرسه، حتى

(١) لعلها كلمة ثناء وتشجيع، ويقصد بالجدين، الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

هجـم أولهـم، ولعلـه النقيـب صـالح بـن علـي الهجـام قـائلا: أنـا الحاضري والحـاضر اللـه، وأخـرج جنبيتـه الحـادَّة وهـي تلمـع وهجـم على ابن سعود، ثم لحق به الآخـران، غيـر أن سعـود بن عبـدالعزيز كان قد اتقى الطعنات نيابـة عـن أبيـه[1]، وبحسـب الروايـة السعـودية فقد أصيب ولي العهـد سعـود بطعنـة في كتفـه، وأفـادت مقتل شـرطي يدعى أحمد العسيري طعنـا، ومقتل شـرطي آخر طعنـا أيضـا، ويـدعى مجدوع بن هيثان.

ويقول بيان الخارجيـة السعـودية: إن المهـاجم الأول "كـان منتضيـا خنجره، وهو يصيح بصوتٍ مرتفعٍ وبكـلام غير مفهـوم تمامـا"، ولعـل السـعوديين لم يفهمـوا تلـك العبـارة الـتي طـارت في الآفـاق والـتي أطلقها البطل السنحاني؛ إذ قـال: (أنـا الحـاضـري والحـاضـر اللّه)، ويبـدو أن الفـدائيَّ أطلـق أيضـا عبـاراتٍ أخـرى، وصـفهـا الزركلـي في سياق كلامه عن الحادثة بقولـه: "فلمـا كـان (عبـدالعزيز) عنـد بـاب الكعبة برز رجل مـن فجـوةٍ في شمـاليِّ حِجْـر إسمـاعيـل يمـانيّ البِـزة، وقد سل خنجرا، وصاح صيحات منكَرة، فيها تهديدٌ ووعيدٌ وسبابٌ،

---

(١) بعـض هـذه الروايـة سمعتهـا مـن القاضـي علـي أبـو الرجـال حفظـه اللـه، بتـاريخ ١٣/ ٩/ ٢٠١٧م، وهو يرويها عـن السـيد علي المرنـة في كيفيـة وقـوع الحـادثـة، وبعضـها مشـهور على ألسنة اليـمـنيين.

وقفز منقضاً على الملك من ورائه"، وذكر أن سعود ألقى نفسه على أبيه يقيه الطعن، وأنه دفع المهاجم بيده، وأن حراس الملك أردوه قتيلا، وكذلك كان المهاجم الثاني والثالث، غير أنه بقيَتْ للثالث بقية حياة، قبل موته أو الإجهاز عليه ربما تحقق لهم من خلاله هوية المهاجمين، وسرعان ما تلقى ابن سعود برقية من الإمام يحيى يستنكر ما حصل، ويتبرأ من الحادثة[1].

(١) مجلة المنار، مج٣٤، العدد ٩، ذو الحجة ١٣٥٣هـ/ إبريل ١٩٣٥م، ص٩- ١٢؛ والزركلي، الوجيز، ص١٧٩- ١٨٠.



(صورة للشهداء الفدائيين من آل الحاضري وقد صلبهم ابن سعود كما صلب هشام إمامهم زيدا عليه السلام)

ويبدو أن ابن سعود تفهَّم مدى الغيظ والحنَق الذي كان يجتاح المجتمع اليـمـني، وأن هذه زفرة من زفرات يأسه وإحباطه، وأنه أخذ الدور على عاتقه؛ لذا فإنه حين أشارت أصابع الاتهام إلى

الإمــام يـحـيــى في تـدبير هـذا الحــادث كـان عبـدالعزيز أولَ مـن تصـدَّى لهـذه التهمـة، ثم أشـارت أصــابع الاتهـام إلى ولـده سـيف الإســلام أحمد[1].

وقد أثبت التحقيق أن المهاجمين لابن سعود لم يكونوا مـدفوعين من طرف حكومة الـيمـن، بل كانوا يطلبـون الثأر لـبعض أقاربهم؛ ولهـذا سـرعان مـا أُغْفِلـت الحادثـة وتبـادل أبنـاء البلـدين الزيـارة وذهب الـيـمـنيون إلى مـكـة للحـج[2].

ورغـم أن المشـهور علـى ألسـنة النــاس أن الحـامـل لهـم هـو الثـأر للشـهداء، غـيـر أن تـاريخ أولئـك الفـدائيين الثلاثـة كمـا وضَّـحته مـذكراتُ أحدِهم وكونها ذكـرت قـربَهم من الأمـير عبـدالله الـوزير، وامتعاضَهم من ولي العهد أحمـد، وإيقـافهم مـن العمل في فتـرة مـن الفتـرات مـن قِبَلـه بسـبب علاقتـهم بـابن الـوزير، وكـذلك طبيعـة تفكيرهـم ووعـيهم الأممـي والإسـلامي، ووعـيهم بعلاقـة ابـن سـعود ببريطانيـا وبسـعيهم إلى إقامـة دولـة يهوديـة في فلسـطين يـرجِّح أن الـدافع لهـم دافـع شـعبي، إسـلامي، ينطلـق مـن الـدين، والحميـة

---

(١) حميد الدين، الإمام الشهيد، ج٢، ص٢٢١- ٢٢٢.

(٢) سالم، تكوين اليـمـن الحديث، ص٤٣٢؛ نقلا عن: Philby: Saudi Arabia, p188 - 189.

الإسلامية، والعربية، وهذا ما أشارت إليه وصية أحدهم، والتي مر ذكرها، وأن كل تلك الأسباب، والتي هي مجزرة تنومة، وغضبهم من اتفاقية الطائف، وانحباطهم منها، وعلاقة ابن سعود الموالية لبريطانيا ومخططاتها في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود - كانت كلها مجتمعة متظافرة قد دفعتهم إلى اتخاذ قرار القضاء على ابن سعود غيلة، وبتلك الطريقة.

وإذا كان لنا اعتراض على طريقة الاقتصاص من ابن سعود، وهي الغيلة، وكونها في البيت الحرام، فإن لنا ألف اعتراض على مجازر ابن سعود في الحجاز ونجد واليمن والعراق والشام، ومعظمها نفذ بطرق غادرة، ووحشية، ومقززة، وبعيدة عن كل معاني الإنسانية، على أن هؤلاء تحركوا بإرادة شعبية، وبطريقة نادرة، وهو وجيشه ووراث مملكته نفذوا أسوأ المجازر بطرق وحشية وغادرة ورسمية منظمة.

- ورغم استقرار العلاقات النسبي الذي حققته معاهدة الطائف بين البلدين إلا أن محاولات التدخل في الشأن اليمني قد بدأت منذ أواخر العهد الملكي، ولكن مع تعاظم قوة آل سعود المالية واستقرار حكمهم، في مقابل الاضطراب اليمني المستمر في العهدين الملكي والجمهوري، فقد أتاح لهم الفرصة للتدخل

والهيمنة بشكل أكبر، وعندما دعمت الملكيين في الحرب الأهلية في الستينات ليس حبا فيهم ولكن لجعل اليمن ساحة لمعارك الدفاع الأمامية في مواجهة الهجوم الناصري الذي كان يجاهر بسعيه الحثيث لتغيير الأنظمة الملكية في المنطقة برُمَّتها وفي مقدِّمتها النظام السعودي، حتى إذا وَجَدَتْ في القوى الجمهورية مَنْ يعطيها المساحة الكافية في الهيمنة على القرار اليمني وأمِنَتْ من خطورة مصر الناصرية ركضت حلفاءها الملكيين بعيدا عن اليمن.

من خلال تلك القوى في المعسكر الجمهوري أمسكت بزمام القرار السيادي والسياسي والاجتماعي والفكري والثقافي، وحرَّكت قوافل الدعاة الوهابيين الذين ينتمون إلى ذات الفكر الذي نفّذ المجزرة الوحشية بحق الحجاج، والذين أُوْكِل إليهم تغيير ثقافة وفكر المجتمع اليمني، وإغراق اليمن الشافعي والزيدي المعتدِل بمجموعاتِ أفكارٍ متطرِّفة وتكفيرية تدعو إلى القتل والوحشية بحق كلِّ مخالفٍ لها في الرأي، فأثمر خلقَ قاعدةٍ تشكِّل عنصرا هاما في القوى الناعمة التي باتت السعودية تُمْسِكُ بها في اليمن؛ وهو الأمر الذي يفسِّر وجودَ هذه القوى العميلة التي نراها اليوم تقاتل في صف العدوان، ويفسر هذه المظاهر الوحشية التكفيرية التي تظهر

في معسكر العدوان بين الحين والآخر.

أطَّرَتِ السعودية عملاءَها في كيانٍ ارتزاقي سمي باللجنة الخاصة ضمَّت في قوائمها أسماءَ مسؤولين وشيوخ قبائل وقادة عسكريين ووزراء ومثقفين وصحفيين وكُتّابا وأكاديميين حصلوا على مرتباتٍ شهرية وظلُّوا عصى السعودية السحرية التي من خلالهم تدير اليمن وتؤثر في قراراته المختلفة وتوجهاته السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية.

على أن فريق السعودية الحاكم في اليمن كان يَظْهَر بأكثر من حجمه الطبيعي بسبب قدراته السياسية السلطوية، وإمكاناته المالية والإعلامية، وسيطرته على القرار التربوي والثقافي والإعلامي، فأعطى لنفسه مظهرا خادعا وغير حقيقي، سرعان ما تبيَّن في أحداث ثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م أنه أقل وأضعف من ذلك الظاهر، عندما اتخذ المجتمع اليمني الذي استفاق فاستعاد ثقافته التاريخية واعتز بتراثه العريق، وأخذ قراره بالثورة والتصدي لهذا المشروع الوهابي الأمريكي المدمِّر في اليمن.

لم يؤمنِ النجديون يوما من الأيام في أحقية اليمنيين بحياة حرة كريمة، وبوطن قوي يستفيد من إمكاناته الطبيعية والمكتسبة؛ ولهذا ظلوا دائما حجر عثرة أمام أي مشروع وطني يلوح ولو من

بعيد أن فيه مصلحة الأمة وقوتها، ولهذا افتعلوا كثيرا من الأحداث التخريبية ومنها اغتيال الرئيس إبراهيم الحمدي، إلى الحروب الست، ثم الحروب التي نشأت باسم القبائل والسلفيين وآل الأحمر وحجور والرضمة والجوف وعمران، والتي كشفت وثائق ويكليكس أنها كانت كلها مدفوعة الثمن من السعودية.

وأخيرا لما انهزم وكلاؤها في ثورة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م شاءت السعودية أن تظهر كأصيل في هذه الحروب، وأن ينكشف عدوانها على اليمن الذي كان يمارَس في السر إلى شكل واضح لا يقبل المواربة والستر، فختمت هذه العلاقة الظالمة بين اليمن ونظامها الفتنوي بما به بدأت، فكما عرفها اليمنيون من أول يوم على إثر مجزرة داميةٍ ختمتها بعدوانٍ قذِرٍ وبمبررات شيطانية تضليلية، ومجازر إبادة جماعية طالت اليمن شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ووسطا.

وهنا لا مجال لليمن إلا المواجهة والمنازلة حتى الانتصار لكرامته والاقتصاص لشهدائه، وهو ما عمل عليه الجيش واللجان الشعبية خلال هذه الأعوام الثلاثة، كما تبشِّر به مؤشراتٌ كثيرة، تُظْهِر ميلَ موازين القوى لصالح اليمن كلما تقدمنا نحو الأمام في القدُرات

العسكرية، والاصطفافِ الشعبي، بينما معسكر العدوان يصاب يوما إثر آخر بالتخبُّط والتمزُّق والتشتُّت وضبابية الرؤية، بما يعني الفشلَ المحتمَّ، وبات الجميع يترقَّب إعلانَ العدوان فشلَه، وهو الهزيمة بذاتها.

الـفصل السـابـع

الأدب الـيـمـني والمـجـزرة

فـاض الأدب الـيـمــني حزنـا وأسـى علـى الـشـهــداء، وتحـريضـا بالانتصاف لهم، وتفنيدا لعقائد الوهابيين في تكفيرهم للمسلمين، وتفاعَل الأدبُ بنوعيه الرسمي الفصيح والشعبي الحميني، وهو تنوُّعٌ يشير لتنوع المتفاعلين مع القضية رسميا وشعبيا، ويمثِّل ذلك الأدبُ أصدقَ تعبيرٍ عما كان يدور في الوسط العلمائي والوسط الرسمي والشعبي من تفسيرات للحادثة وتوجُّهاتٍ إزاءها.

أولا: الـشـعـر الـفـصيـح

بين يدي الباحث ثلاثُ قصائدَ، أولها للسيد العلامة يحيى بن علي الذاري (ت١٣٦٤هـ) والذي كان بعدها لا يأسى إذا جاءه الموت إلا على أمرين لم يفعلْهما في حياته وبوده أن يفعلَهما قبل موته، وهما قتال الصهاينة في فلسطين المحتلة، وقتال آل سعود الوهابيين[١]، أشار في قصيدته إلى حزن عميق، وغضب عارم اجتاح اليمنيين بشكل عام، وذكر مكان وقوع المجزرة، ووصف مرتكبيها

(١) من إفادة حفيده الأستاذ علي بن محمد بن يحيى الذاري.

بأنهم الخوارج الناكثون المارقون، واعتبرها صدّاً عن البيت الحرام، ولم يفُتْهُ وصفُ مشاهدَ بشِعة من المجزرة، حيث تركوا الحجاج للوحوش والطيور، وعاد ليذكّر بالسبب وهو أن المجرمين خوارجُ تكفيريون من حثالة أهل النهروان، وقد أرادوا الثأر من الإمام علي باعتبار هؤلاء الحجاج من أنصاره.

وبينما اعتبر فيها الحجاج شهداء، بيَّن أن مشكلة هؤلاء القتلة ليست في الحجاج ولكن مشكلتهم هي أنهم ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث حقَّروا قدره صلى الله عليه وآله وسلم، وكفَّروا أمته، ثم انطلق يُهدِّدُهم بالقتال بحربٍ تشيب الرأس؛ ذلك أنهم أخبث الناس فرقة، والتفت إلى أبناء الشعب يحرِّضهم على قتال المعتدين، وأخذ الثأر منهم، مذكِّرًا إياهم أن لا يقبلوا الدنية في دينهم، ودعاهم والمسلمين جميعا من كل قطر للتحرك في هذه المهمة. وحث أولي الأمر على قيادة هذه المهمة وأن رب العالمين قد أقام عليهم الحجة، وأن الناس لا يستطيعون التحرك إلا بأولي الأمر، وختم بالتحذير الحكيم أنهم إن ناموا عن تلك القضية فلن يفلحوا بعدها أبدا.

أما قصيدة القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني (ت١٣٦٢هـ)، فوصف فيها المجزرة بأنها جناية على الإسلام

كجناية أهل الكفر، وأنها نتيجة جهلهم بالإسلام، وألقى في القصيدة بالمسؤولية على ابنِ سعودٍ نفسِه، واعتبرها غدرا ضِدَّ وفدِ بيت الله، ورأى أن السبب هو انطلاق القتلة من أن الحج بدعة، وأن الحجاج كفار، وهو جحدٌ لآيات الكتاب، وبينما أوضح أنهم ينمِّقون في تكفيرهم للأمة كلَّ باطل، أكد أن دينَ الشهداء هو دين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مبيِّنا أن سبب قتلهم للحجاج هو اعتقادُهم حلَّ دمائهم، وحذَّرهم من تكفير المسلمين، ووبَّخهم على نهبهم أموال الحجاج وهدّدهم بأن الإمام يحيى سيسوق إليهم جنودا تجعل معمور الرياض خرابا.

أما قصيدة القاضي العلامة محمد أحمد الحجري (ت١٣٨٠هـ) فقد سأل فيها تقريرا عن سببية قتل الحجاج، أهو الكفر بدين الله، أم الاغترار بحلم الله، ثم دعا لأخذ الثأر بلغة مشبوبة وقوية وعاصفة، وحث الإمامَ بأن يصول صولة حيدرية، وأن يسيِّر القادة والجيوش من آل هاشم وأشياعهم من قبائل اليمن المختلفة، معدِّدًا كثيرا منها لقمع أولئك المعتدين، واقترح خِطة عملية على الإمام بفرض (معونة) مالية على البلاد؛ إذ آن للأموال أن تتبدد، وللخيل أن تغزو، مذكِّرا أن الشهداء قُتِلوا وهم ما بين قانتٍ وملبٍّ. ولم يُغْفِلِ الشاعرُ مطالبته الشعوبَ الإسلامية بالدفاع

عن دينهم ضد هؤلاء المعتدين، وطالبَهم بشنِّ الغارات معتبِرا المعتدين خوارجَ وكلابَ النار، وأن الله وعد المجاهدين لهم بالنصر، وحثَّهم بخطابٍ محفِّز يستنهض الهمم، ويحرِّك النخوة.

١- قصيدة السيد العلامة يحيى بن علي الذاري (ت١٣٦٤هـ)[(١)]:

ألا مَنْ لطرْفٍ فاض بالهملان	بدمعٍ على الخدّين أحمر قانِ
ومن لحشاشات تلظّى سعيرها	ومن لفؤادٍ جاش بالغليانِ
لخَطْبٍ تخِرُّ الشامخاتُ لهوله	أناخ بقاصٍ في البلاد وداني
بما كان في وادي تنومة ضحوةً	وما حل بالحُجّاج في سدَوَانِ
من المارقين الناكثين عن الهدى	وعن سنة مأثورةٍ وقُرَانِ
من ابنِ سعودٍ[(٢)] والخوارجِ قومِه	على غيرِ ما جُرْمٍ جنَتْه يدانِ
عن البيت ذي الأستار صدُّوا وفودَه	وباتوا بطُرَقِ الغيِّ في جولان
ولم يرقبوا إلّاً ولا ذمّة لهم	ولا واجبا من حرمة وأمان

---

(١) مجموع فيه رسائل وأشعار العلامة يحيى بن علي الذاري، موجود في دار المخطوطات اليمنية، برقم٣٠٢١، ق١١٥/أ، والقصيدة منقولة من خط قائلها، وذكر فيه أن عدد أبيات القصيدة ٣٩ بيتا؛ وينظر ديوان الشاعر المسمى عقود الدراري، مخطوط، لدى حفيده الأستاذ علي بن محمد الذاري، ص٣٨- ٣٩؛ وينظر الأكوع، دروب الحج، ص١٥٩- ١٦٠. وهي في الديوان ودروب الحج ٣٨ بيتا فقط.

(٢) حذف القاضي الأكوع كلمة (ابن سعود) ووضع بدلا عنها نقطا تدل على المحذوف. دروب الحج، ص١٥٩.

أحلُّـوهُمُ قـتلا وسـلبا وغـادروا ... جسومَهُمُ صرعى تُرَى بعِيان

تنوشُهُمُ وحشُ الفلاة وطيرُها ... لعمرُك لم تسمَعْ بذا أُذُنان

لذا لبس الإسلام ثوبَ حِداده ... وناح ونادتْ حالُه بلسان

ليبكِهِمُ البيت العتيقُ[1] وطيبةٌ ... وزمزمُ والتعريفُ والعلَمان[2]

وتبكِهِمُ تلك المشاعرُ عن يدٍ ... وتبكِهِمُ الأملاكُ والثقلانِ

حُثالةُ أهلِ النهروان[3] تذكّروا ... مواقعَ سيفٍ صارمٍ وسنان

لحيدرةٍ ربِّ الفضائل والعُلى ... بكلِّ مروقٍ ضلَّ ذي مَيَلان

وراموا لصدر الكفر شرْحًا بفعلهمْ ... وما انفكّ صدْرُ الكُفْر في خفَقان

لقد أحرز الحجاج خيْرَ شهادة ... وفازوا بحورٍ في الجِنانِ حِسانِ

وآبَ كلابُ النار[4] شرّ خليقة ... إلى سقَرٍ تسعى بهمْ قدَمان

لقد ملك الشيطانُ منهمْ قيادَهُمْ ... وخاض بهمْ في غيِّه بعِنان

هُمُ حقَروا قدْرَ النبيِّ محمدٍ ... نبيِّ الهدى مَنْ جاءنا ببيان

ختامُ النبيئين الكرام ومَنْ له ... لدى الله ربِّ العرشِ أرفَعُ شانِ

وسيلتُنا في كل حالٍ وذخرُنا ... شفيعُ الورى إن ضاق كلُّ جَنان

---

(١) في دروب الحج: البيت الحرام.

(٢) التعريف: عرفات. والعلمان: أماكن معلمة يمر منها الحجاج من وإلى عرفات.

(٣) النهروان مكان دارت فيه رحى معركة هزَم الإمام علي عليه السلام الخوراج في صدر الإسلام.

(٤) كلاب النار: الخوارج كما ورد وصفهم في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

جـزاه إلـهُ العـرْشِ خيْـرَ جزائـه   وصـلّى عليـهِ اللـه كـلَّ أوانِ

وأُمّتَـهُ قـد كفّروهـا تهافتـا   جـراءة[1] ذي كُفْـرٍ وذي شَـنآن

رويَـدَكُمُ يـا أخبـثَ النـاس فِرْقـةً   لِحـرْبٍ تُشـيبُ الناصـيات عـوَانِ

وضرْبٍ ببيضٍ يَجتَلي[2] الهام حدُّها   وطَعْـنٍ بِسُـمْرٍ في الأكُـفِّ لِـدانِ[3]

بأيدي بني الإسـلام كلِّ مُقَذَّفٍ[4]   غيـورٍ لأخـذ الثـأر غـيرِ هِـدانِ[5]

فهيـا بـني الـدين الحنيفـيِّ شمِّـروا   سِـرَاعا بـلا ريـبٍ[6] ولا بِتَـوَانِ

تنـادَوْا[7] لأخذ الثأر من كل وِجْهَةٍ   فقـد عظُمَـتْ فـيكُمْ جِنايـةُ جـانِ

أترضـون في أديـانكمْ بدنيـةٍ   أترضـون في أعراضـكمْ بِهَـوان

وشـنّوا علـيهم غـارةً بعْـدَ غـارةٍ   وحُسُّـوهُمُ قـتلاً بكـلِّ مكـان

وسـوقوا إلـيهمْ فيلقـا بعـد فيْلَـقٍ   وكـلَّ جـوادٍ سـابقٍ لِرِهـانِ[8]

وكـلَّ سـلاحٍ قـد أُعِـدَّ ومِـدْفَعٍ   لإعفـاء[9] شـأفاتٍ وهَـدْمِ مبـاني

---

(١) في مجموع أشعار العلامة الذاري: وجرأة ذي كفر.

(٢) في دروب الحج: يختلي. وما أثبت من الديوان أصح. وسُمْر لدان: أي رماح سمر لينة.

(٣) في مجموع أشعار العلامة الذاري: وضرب يزيل الهام عن مستقرها ★ بأيدي كماة في الوغى وطعان.

(٤) مقذِّف: صفة من صفات الأسد.

(٥) غير ذي هوادة.

(٦) في مجموع أشعار العلامة الذاري: بلا ريث.

(٧) في مجموع أشعار العلامة الذاري: تراموا.

(٨) في مجموع أشعار العلامة الذاري: وكل كراع وافر وحصان.

(٩) في دروب الحج: لإفناء شأفات.

دعـوتُكُمُ مـن كـلِّ قُطْـرٍ ولمْ أقُـلْ أيـا لَفـلانٍ لا ويـا لَفُـلانِ

هـزَزْتُ بهـا أعطافَ كلِّ مجـربٍ[1] مقالـةَ[2] مشـحوذِ الغـرار[3] يمـاني

ولكـنني منـها أخُـصُّ مؤنِّبـاً أولي[4] أمْـرِكمْ مـن نـازحٍ ومُـداني

(فحجـة رب العـالمين علـيهم مؤكَّـدة مـا أشـرق القمـران)[5]

فما[6] النـاسُ إلا بالسّـراةِ[7] تقودُهُمْ لإدراك ثـاراتٍ ونيـلِ أمـاني

لـئِنْ نمْـتُمُ عـن هـذه وقعـدتُمُ لقـدْ حِيـلَ بـين العِـيرِ والـنـزَوَانِ[8]

---

(١) في مجموع أشعار العلامة الذاري: كل سميدع.

(٢) في مجموع أشعار العلامة الذاري: بمَقْوَل.

(٣) الغرار: حد السيف.

(٤) في مجموع أشعار العلامة الذاري: ذوي.

(٥) هذا البيت زيادة من مجموع أشعار العلامة الذاري.

(٦) في مجموع أشعار العلامة الذاري: وما.

(٧) السراة: القادة.

(٨) العَيْر: الحمار. وهو مثل أول من قاله صخر بن عمرو السلمي أخو الخنساء، ويقال للرجل يحال بينه وبين مراده. والحقيقة التي لا بد من الاعتراف بها أن السيد الذاري رحمه الله لخص بتكثيف شديد مآلات التخاذل والقعود عن الاقتصاص من أولئك القتلة، وللأسف فقد مضى اليمن في ذلك الطريق، وها نحن اليوم نتعرض لمجازر جديدة كان بالإمكان الاستعداد لها، والإعداد لمواجهتها تربويا وثقافيا وسياسيا وعسكريا.

٢- قصيدة القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني (ت١٣٦٢هـ)[(١)]:

جنيتَ على الإسلام يا ابنَ سعود[(٢)] ... جناية ذي كفر به وجحود
جناية من لم يَدْرِ ما شرعُ أحمدٍ ... ولا فاز من عذب الهدى بورودِ
بقاصمة الإسلام بغيةَ هدمِه ... وتقويضِ ركنٍ من علاه مَشيدِ
أفي وفدِ بيتِ الله تغدرُ عنوة ... وهم في حمى الإسلام خيرُ وفودِ
أتغدر هذا الغدرَ في خيرِ فتيةٍ ... وتقتلُهم من ركّعٍ وسجود
وقد أمنوا في حَجّهمْ ومسيرِهمْ ... فتغدرُهم والغدرُ غيرُ حميدِ
أما تتقي الرحمنَ جلَّ جلالُه ... بسفكِ دماءٍ واعتداءِ حدودِ
فبيِّنْ لنا ماذا الذي قد أباح مِنْ ... دماءِ بني الإسلام كلَّ شهيدِ
أتزعُمُ أن القصدَ للحج بدعةٌ ... وأن وجوبَ الحج غيرُ سديدِ
وتجحدُ آياتِ الكتابِ جميعَها ... وتزعمُ أن النصَّ غيرُ مفيدِ
أم الكفرُ للحجاج قد كنتَ مثبِتاً ... بزورٍ وبهتانٍ لديك بعيدِ

---

(١) القصيدة لدى الأكوع، دروب الحج، ص١٦١- ١٦٢، وأورد منها بيتين في هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج١، ص٧٦، لكن فلتت من قلمه كلمة كان ينبغي أن لا تفلِت، وهي قوله: "ولما اعتدى جيش الملك عبدالعزيز آل سعود ... وقتل ٢٧٠٠ حاج يماني، وهم عزل في طريقهم إلى مكة المكرمة للحج، فأشاع الإمام يحيى أن هذا من عمل الخارجي ابن سعود، فقال المترجَم له: جنيت على الإسلام يا ابن سعود ...". وكأنه يريد التبرير للشاعر؛ ذلك أنه اتهم النجديين بأنهم خوارج.

(٢) حذف القاضي الأكوع كلمة: (يا ابن سعود) وأشار بالنقط إلى محل الحذف.

تُضِلُّ بهذا كلَّ مَنْ ليس عالماً — وكلَّ غبيٍّ في الأنامِ بليدِ
تمزِّقُ في تكفيرِهم كلَّ باطلٍ — وحكمٍ بلا علمٍ به وشهودِ
ودينُهمُ التوحيدُ لا يخلطونهُ — بأفعالِ سوءٍ في البريةِ سودِ
ودينُهُمُ أن يعبدوا اللهَ وحدهُ — تعالى بلا شركٍ به وجحودِ
وذلكُمُو دينُ النبيِّ محمدٍ — ومن لم يكن عن هديه بشَرودِ
وما اعتقدوا في ساكن القبر ميِّتا — كما قد زعمتمْ من عقائدَ تُودي
دعوا الزورَ في تكفيركمْ كلَّ مُسْلِمٍ — بشبهِ خيالٍ لا اعتذارِ حقودِ[1]
ونهبكمُ الأموالَ جُرمٌ محرَّمٌ — به صرتمُو للنار شرَّ وقودِ
فمن ذا الذي في دينكمْ قد أباحها — لآخذِها من طارفٍ وتليدِ
ألا فارجعوا للحق واتَّبِعوا الهدى — فإن جزاء البغيِ غيرُ بعيدِ
وكونوا على علمٍ بأن إلهنا — لذي البغيِ من كلِّ البريةِ مودي
وأن أميرَ المؤمنين الذي سما — على رغمِ ذي ضغنٍ وكلِّ حسودِ
له من جنودِ المسلمين عصابةٌ — أسودٌ لدى الهيجاءِ أيُّ أسودِ
ولا بُدَّ فورا أن يسوق إليكمُو — جنودا من الأبطال إثْرَ جنودِ
ويصبح معمورُ (الرياضِ) بلاقعا — وصاحبُه في الأرض شرَّ طريدِ

---

(١) كذا، وأظنها: واعتذار حقود.

٣- قصيدة القاضي العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الحجري (ت١٣٨٠هـ)[١]:

كتب رحمه الله قصيدة بعنوان: بسم الله المستعان على من صدَّ عن حَرَمِ الله، واستحلَّ ما حرَّم الله:

أكفراً بدين الله يا أخبثَ العِدى ... سقيتَ ضيوفَ الله كأساً من الرَّدى

وأغْمَدْتَ سيفَ البغيِ في كلِّ مسلمٍ ... مصلٍّ مزكٍّ مؤمنٍ طاب مقصدا

أغــرَّك تمهيــلُ الإلــهِ وحلمُــهُ ... جهلْتَ وآثرْتَ الضلال على الهدى

فيــا ربِّ عجِّلْ بالنكالِ لمَنْ بغى ... بـ(يا حيُّ يا قهارُ يا قاصمَ العدى)

وخذْ عاجلاً بالثأر للوفدِ منهمُ ... بحولِك يا مَنْ بالكمالِ تفرَّدا

وأيِّدْ أميرَ المؤمنينَ وكنْ له ... نصيراً على مَنْ للقبيحِ تعمَّدا

إمامَ الورى صُلْ صولةً حيدريةً ... تغادرُ حزبَ الظالمين مبدَّدا

وسيِّرْ نجارَ الحربِ من آل هاشمٍ ... وأشياعَهمْ واقمعْ بهمْ مَنْ تمرَّدا

وضُمَّ جناحي آلِ غيلانَ إنهمْ ... مرازبةٌ[٢] للحربِ تخشاهُمُ العدى

وكلَّ همامٍ من بكيلٍ وحاشدٍ ... أسود الشرى[٣] لا يفرُقون من الردى

كأرحبَ ركنِ الحربِ في كلِّ موطنٍ ... وسفيانَ أنصارِ الأئمة سرمدا

---

(١) القصيدة لدى الأكوع، دروب الحج، ص١٦٣- ١٦٤.

(٢) جمع مرزبان، وهو الفارس الشجاع.

(٣) أشداء شجعان.

وخـــولانَ والأبطـــال يـــامٍ ورازحٍ[(١)] ونهـمٍ وأهنـومٍ ومَـنْ طـاب محتِـدا

أولئـك همـدانُ بـنُ زيـدٍ هـمُ هـمُ لهُـمُ هِمـمٌ لا ترتضـي الأفْقَ مقعدا

ولا تـنسَ أربـابَ البسـالة مَـذحِجاً وأقيـــالَهُم كالحـــارثيين والحَـــدا

وحمـــيرَ أبنـــاءَ الملـــوك وقيفـــةً ومَـنْ حـلَّ أمصـارَ الـبلادِ ومَـنْ بـدا

وفتيـــانَ عـــكٍّ والأشـــاعرَ إنهـــمْ أحـابيشُ طعـنٍ بالصـوارم والمُـدى

وعـيِّنْ علـى كـلِّ الـبلاد (معونـةً)[(٢)] فقـــد آن للأمـــوال أن تتبـــدَّدا

وللخيـــلِ أن تغـــزو وكـــلِّ نجيبـــةٍ من النوق أن تسمد سمودا معدّدا[(٣)]

وكـــل معـــدٍّ للقتـــال إلى مـــتى فغايتـــه مـــا دون ذا أن يُجَـــرَّدا

أيَمْنَـعُ وفـدَ اللــه عـن حـجِّ بيتـه ويقـــتلُهمْ كلـــبُ الجحـــيمِ تعمُّـــدا

ويَـــذْبَحُ أولادَ الـــنبيِّ وحزبَـــه ويطـرحُهمْ للـذيب والنَّسـرِ والحِـدا

وهم — يا دفاع الله — ما بين قانتٍ ملَبٍّ ومَنْ أمسى لذي العرشِ ساجدا

فيـا ملـةَ الإســلام قومـوا بهمَّـةٍ علـى دينِكمْ ترقـونَ مجـداً وسُـؤددا

وشـنُّوا علـيهمْ غـارةً بعـد غـارةٍ تحـوزون فخـراً في الزمـان مخلَّـدا

أليسـوا كـلابَ النـارِ في قـولِ أحمـدٍ وأنتمْ على البرهانِ[(٤)] من سامعِ الندا

---

(١) في دروب الحج: وخولان الأبطال يام ورازح، وهو غير مستقيم، ولعله كما أثبته.

(٢) غرامة مالية تؤخذ من كل غرَّام (بالغ) أو متيسِّر.

(٣) كذا بإسكان (تسمد) ولعله لضرورة الشعر. والسمود: يقال سمد: إذا علا و رفع رأسَه و نصَب صدرَه.

(٤) في دروب الحج: على برهانٍ، بدون تنوين، من غير ضرورة، ولعل الصواب ما أثبته.

فلا تيأسوا من غارة الله إنه سينصركُمْ نصرا عزيزا مؤيَّدا

ويمْنَحُكُم فتحاً قريباً معجَّلاً ويُورِثُكُمْ أرضَ الذي ضلَّ واعتدى

على قومِكُمْ — يا غارة الله - جهرةً فهل فيكمُ من باذلٍ نفسَه فِدا

ألستُمْ لهاميمَ[1] الفخارِ وبأسُكمْ شديدٌ على مَنْ صار للحقِّ جاحدا

وآباؤكُمْ مَنْ قدْ علِمْتُمْ إباءَهُمْ فكلٌّ فخارٍ ما خلا فخرَهمْ سُدَى

وأنتُمْ بحمدِ الله جذوةُ نارهِمْ فيا حبَّذا نهر[2] الحمية مَوردِا

سلامٌ عليكمْ إن أخذتُمْ بثأرِكُمْ وجرَّعتمو الأعداءَ غيظاً[3] مؤبَّدا

ولا زلتُّمو للمجد أهلا ومعقِلاً وللعز ركنا ثابتَ الأصلِ أسعدا

(١) جمع لُهمُوم، وهو الجواد من الناس ومن الخيل.

(٢) كذا، ولعل الأصح: نار الحمية، لتناسبها مع السياق.

(٣) في دروب الحج: غيضا، والصواب ما أثبت.

ثانيا: الأدب الشعبي الحميني

في الأدب الشعبي تشتهر قصيدة (يا الله العونْ بكْ يا وثيق الحبالْ)، وهي مبنية على هيئة شعر الموشحات متألِّفة في كل دورٍ من أربعةِ أشطار، ويتبدَّل فيها الروي في كل مرة، في حين يتبع الأسماطَ الأربعة قفلٌ من شطرين، بروي واحد، ويتكرر الشطر الأخير من القفل في كل الأقفال.

ويبدو أن هذه القصيدة قد تم الإضافة فيها والتعديل والتغيير، فقد كان الناس في جهات حجة يتداولونها في المناسبات ولا سيما في الأعراس، وتقول في بعض أبياتها إن قائلها: (ابن عامر)، وهنا في صنعاء وجدت نسخة أخرى يذكر قائلها أنه (علي بن أحمد جبل)، تتشابه والأولى في الشكل وفي كثير من المضمون أيضاً ، ولعل كلتا القصيدتين نقلتا عن أصل آخر لاختلاف بينهما، حتى في الأبيات التي أوردتها كلتا القصيدتين.

وهي في مجملها تعبير عن السخط الشعبي تجاه تلك المجزرة، ووصف لبشاعتها، ودعوة للجهاد ضد مرتكبيها، وإشادة بالإمام وبولده سيف الإسلام أحمد، والطلب منهما لغارة مسرعة نحو أهل نجد الذين قد غيروا في الدين، وذكر أنهم كثيرو العدد ذوو أسلحة من (الخيار) في مقابل حجاج لا يعرفون تلك الديار، وتكرار الدعوة

إلى الحـرب، والقتـال علـى الـدين وأخـذ الثـأر، وأنـه قـد لاح نجـم السـعادة، وأتـى النصـر، والـدعاء للإمـام الـذي حمـى الـدين مـن الإنجليز ومن أصحاب عبدالعزيز.

١- مختارات من قصيدة (يا الله العون بك يا وثيق الحبال) – نسخة ابن عامر[(١)]

يـا اللـه ادْعُـوكْ يـا غـافرا للـذُّنوب	كاشـفُ الضـرِّ مـنْ عبـدِهْ والكـروبْ
عبـدْ عاصـيْ وراجـيْ لمحـوِ الـذنوبْ	مَـنْ سـواكْ يـا إلهـي علينـا يتـوبْ
إغفـرِ الـذنبْ وامحـي جميـع الفعـال	يـا اللـه العونَ بَكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ
يـا إلهـيْ لـكَ الحمـدُ في كـلِّ حـالْ	حمدْ دائمْ مدى الدهرْ ما لهْ زوالْ
مجـريَ المُـزْنْ بـين السـحابِ الثقـالْ	جـلّ أمـرَكْ لـكَ العِـزّ ثم النـوالْ
يـا لطيفـا تباركْـتْ يـا ذا الجـلالْ	يـا اللـه العونَ بَكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
يـا سـلامي عـلا المـامْ إمـام الهـدى	نجـمْ مصـباحْ مـنْ نـورِهْ قـد بـدا
مـا نَغَـمْ طـائر السـعدْ وطـير الهـدى	تشـمل الكـلّ والتـابعين مـن بـدا
والوصـيْ زوجْ بنـتِ الرسـول الكمـالْ	يـا اللـه العونْ بَكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
بلِّـغِ الخـطّ والَاخْبـارْ نحـو اليمـن	لِحْمَـدٍ واليَ الأمـرْ محيـي الـوطن
ناصـرِ الـدينْ والحـقْ وقـاء السـننْ	غـارةٌ مسـرعهْ بـالجيوشْ مـنْ يمـنْ

---

(١) القصيدة لـدى السـيد إسماعيـل محمـد عجـلان النعمـي، مـن القزعـة مديريـة المفتـاح، محافظة حجة، كان ينشدها في الأعراس والمناسبات، ويُطْلَق على هذا الشكل من الشعر الشعبي اسم (القوْل)، وذكرت القصيدة أن من قالها هو ابن عامر.

جيشٌ يملِّي العروضْ (منَّها) والجبالْ — يا الله العونْ بَكْ يا وثيقَ الحبِالْ

غارةٍ مسرعهْ يا وليّ الرقابْ — غابتِ الشامْ وأرْضَ الحجاز الكلابْ

اعتدوا فوقْ حجاج شيبهْ وشابْ — لا سقى الله تنومهْ وساقِ الغرابْ

قاتلوهمْ بأبطالْ أشدّ القتالْ — يا الله العونْ بَكْ يا وثيقَ الحبِالْ

أهل نجداً في الدينِ قدْ غيَّروا — قدْ بلَغْ كل ما كانْ قدْ سيَّروا

أيها الناس بالباطل تعبَّروا — غيروا كل ما كانْ قد أبدعوا

الله الله واستنكروا ذا الفعالْ — يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبِالْ

كيفْ يا ربْ تعطي خصيم الحجاز — التقاهم عدو الله بالبراز البراز

أشبع الذئب لحما وعجزا وباز — ثم ينادي لهم بالنجاز النجاز

قاتلوا كل حجٍّ حرامٍ حلالْ — يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبِالْ

ضاقتِ الأرضْ لكْ جيفةً والقتولْ — كنُّهم في العوارضْ شبيه السيولْ

مردفين الرواحلْ وفوق الذلولْ — يا لهم من مظالم تشيب العقولْ

املأوا الحَيْد والسايلهْ والرمالْ — يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبِالْ

لَمَّتَ آلافْ متْسَلِّحينْ للخيارْ — ومن البدو ذي عالمين الديار

وعلى الوفد ذي غايبين الديار — ما معاهمْ بتلك الطريقِ اختبارْ

لا ولا قومْ متسلِّحين للقتالْ — يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبِالْ

كل حجٍّ من المسلمين وحّدا — كتب الله بأنهمُ الشهدا

والشقيْ صارْ منهمْ من السعدا — يوم يلقى محمدْ يمدُّ اليدا

يمحـــو لـــهُ اللـــه كـــلَّ الفعـــالْ ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

يــا إلــهَ الســماواتْ أنــت الــودودْ ... اجعلَ اصْحَابَ نجدٍ كما قوم هـود

وكــبيراً لهــمْ مثــلِ فرعــونْ يعــودْ ... يــوردِ القــومَ نــاراً وبـئس الــورودْ

أهلــك اللـــه أطفـــالَهمُ والرجـــالْ ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

إن قـــومٍ مـــن الكـــافرين البغـــاه ... يفعلـــوا مثلمـــا ســـيَّروه الطغـــاه

في وفـــودٌ وحـــزبٌ وضـــيف الإلـــهْ ... فـرق اللـــه شمــلَ القــرودِ البغــاهْ

يــا إلهــي اجعــلِ النــارَ مثـوىً لهـم ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

كيـفَ يـا ربْ يرضـيك فعـلُ الـردي ... في عبــادَكْ مــن الكــافر المعتــدي

وهـمَ اضْـيافْ عنـدَكْ وكـمْ وافـدي ... فـارقَ اهلَـهْ وفي طاعتـك قاصـدي

قـومْ ملـبينَ في البيـتِ يمحـو الفعـالْ ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

نِعْــمَ قـــومٌ في الميتـــة الحاليـــهْ ... مســـتريحينْ في جنـــةٍ عاليـــهْ

عنــد رضـــوانْ واعْيانهـــا جاريـــهْ ... وقطـــوفٌ وأثمارهـــا دانيـــهْ

وحـورٌ مــن العــين حـوين الكمــالْ ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

نســـأل اللـــه يعجّـــلْ بإيصـــالهمْ ... لَــى بــلادٍ قريبــهْ واحنــا لهــمْ

نلقّـــيهِمْ بحـــــربٍ لإقبـــالهمْ ... نشـــلّ الغنـــايمْ مـــنَ امْـــوَالِهمْ

ثمّ نعْــدِيْ لفــود الخيــول والبغــالْ ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

وعلـى الإمـام يـدّي لنـا مـا نريـدْ ... حاليــات البنــادقْ ومونـهْ جديـدْ

صـاغْ أصـلي مـنَ أيَّـام عبدالحميـدْ ... ذي لــهُ البلّــغْ في المقربــهْ والبعــادْ

والسلاح الجرامل حِسِينَ القفالْ … يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

والصرف يدّي لنا ما معهْ … حب صفرا وبيضا من النايعهْ

لأجْل كلاًّ يقاتلْ وصرفهْ معهْ … يقسم القرش مصروف بينَ اربعهْ

والعريفهْ في اليوم واحد ريالْ … يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ[1]

قهر الله خصيمْ احْمَدْ بِنْ الِّمامْ … ورقى للمعالي إلى اعْلى مقامْ

كاشف الضر ما يرتضيهِ الأنامْ … حاز كلَّ الفضائلْ فوقَ الأنامْ

ما يكونوا لهُ الناسْ جَمْعهْ مثالْ … يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

أحمد النصر والفتحْ يوم الجهادْ … أحمد الموت يقضي على من أراد

كل واذي من الجوفْ عرضه شداد … ثمَّ أذِّنْ في الناسِ يومَ الجهادْ

ما في الناسْ كأحْمَدْ ولا لهْ مثالْ … يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

أحمد الليث مشهور يوم الحظا … أحمد الأصلْ والفرعْ منه الرضا

أحمد البدرْ من نورهْ قد أضا … ولهْ فعالْ من جدهِ المرتضى

قد حوى المجد واختص فيه الكمالْ … يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

قال ابنْ عامرْ الشّاعر المعتني … يا بديعَ السماواتْ لاطَفْتَني

واعفُ عني لما قالُّهْ ملقَني … وإلى الخير يا رب دلَّيْتَني

واحمني من جهنمْ ونار الشعالْ … يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

يا غياث الخلائقْ تكُنْ بي رؤوفْ … أمِّنِ العبد يا ربّ مما يخوف

---

(١) أظهر الشاعر في هذه الأبيات نفساً غير لائق.

واقبـلِ العــذرَ يــومَ اللقــا والوقــوفْ وتمجّـدْتَ أنـت الـرحيم العطـوفْ
يــا إلهــي تباركــت يــا ذا الجــلالْ يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
شُـبُّوَا الحـرب يـا اهْـل التقـى عجِّلوا وافْعلــوا الخـــير للّه ذي تفعلـــوا
كافــة النــاس يــا ســامعين اعقلــوا القرانـــات مـــن كـــل شـــق اقْبَلـــوا
قــاتلوهمْ علــى ديــنِكمْ يــا الرِّجــالْ يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
شُــلُّوَا العــزم في الســاعة الحاظيــهْ وخـــذوا الثـــأر بالحـــجةِ الماضـــيهْ
مــن يجاهــدْ ففــي عيشـــة راضــيهْ ثم يـــا ليتـــها كانـــتِ القاضـــيهْ
نأخـــذ الأجـــر بالفائـــدة والكمـــالْ يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
لاح نجـــم الســـعادهْ وعـــاد الأجـــلْ وأتـــى اللـــه بالنصـــر فـــوق الأمـــلْ
لكــنْ اسْــتَغْفِر اللـــه إذا اللِّسْــن زلّْ حيــث يــا رب مــا لي بغــيركْ وسَــلْ
فــاعفُ عــني إذا عــاد عــذري يقــالْ يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
أســألك تنصــر الإمــام نصــرا عزيــزْ ذي حمى دين الإسلام منَ الْانكليزْ
ومــن الكفــرْ واصْــحاب عبــدالعزيزْ واجعـلِ اَعْـداَهْ مـا تصـبحِ الا هزيـزْ
وجميــعْ مــا معــاهمْ يصــيرْ بيــت مــالْ يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
يــا جميــعَ العــوالمْ مــن المســلمينْ شـبُّوا الحـربَ لكـن بذمـهْ وديـنْ
واجمعوا القوم واعدوا على الظالمينْ وســـلام علـــى نـــوح في العـــالمينْ
ذي دعا دعوة الحقْ من ضيقِ حالْ يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
أيهـــا النـــاس لا بـــدّ مـــن ميســـره أسمعـــوني لمـــا أقـــولْ في التَّسْـــيره

الجهادُ حقٌ واجبٌ على الكفره | قد عصوا وبغوا فهمُ الفجرة
وقضى الله في أمرهِ ما يقالْ | يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ
أيها الناس لا تفرحوا بالغرورْ | إنما العزّ في المرتبهْ والسرورْ
يوم نلقى محمد بيوم النشورْ | كم لهُ من كراماتْ وكمْ لُهْ قصورْ
طاهر البيت مَنْ كلْمَتْهُ الغزالْ | يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ
جاهدوا أيها الناسْ بأموالكمْ | وابْذُلوا النفس يصلحْ لكمْ بالكمْ
واتقوا الله ذي أصْلَحَ احوالَكُمْ | وتموتوا على خيرْ أفعالكمْ
قولوَا الحقّ ما بعدهُ الّا الضلالْ | يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ
يا الله اليوم يا مَنْ يدكْ قادرهْ | ولكَ اعْيانْ يا ربنا ناظرهْ
أنت عالم بسري وبالظاهره | ظني الخير أنا طالب المغفره
واعف عني إذا عاد عذري يقالْ | يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ
الصلاة تبلغ الطهر ثم السلامْ | تبلغَ أحْمَدْ وآلهْ نجوم الظلامْ
عدّ ما لاح في الجو طير الحمامْ | وعلى الآل والتابعين الكرامْ
ما لمع كلّ بارقْ وما المزن سالْ | يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

٢- مختارات من قصيدة (يا الله العون بك يا وثيق الحبال) - نسخة ابن جبل [(١)]

... . بالكتـــــــاب المــــــبين | نـزل فيـه جبريـل ذي هـو أمـين
بلـــغ بـــه إلى خـــاتم المرســلين | أمـرت بـالحج فـرض علينـا يقـين
فلهـــذا أجبنـــاك بالامتثـــال | يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ
كيـف يـا رب تعطـي خصـيمٍ مـبين | صـــافقاتٍ يقاتـــلْ بهـــا المـــؤمنين
وهـو الـرجسْ إبـن السـعود اللعـين | وهـو كـان عنـدك مـن المنظـرين
لا ولا أوْفَـا بمـا عاهـد اللّهْ وقـالْ | يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ
كيـــف يـــا ربنـــا تمهـــل الناصـــبي | ذي قطـع بـين أمـرك وقـول الـنبي
حــارب البيــت والواصــل الــراغبي | ومنـــع كـــل مـــن يبـــذل الـــواجبي
هـــو الخصـــم والمعتـــدي لا محـــال | يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ
يـــا مســـلمينْ كيـــفْ عـــاد الســـرورْ | وحجـــاجنا في بطـــون النســـور
مـــن ذاك ملحـــق بهـــم في المغـــول | ســـواءك يـــا مـــن عليـــك الصـــبور
فـــالغوث بـــك يـــا مُجيـــب الســـؤال | يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ
كيـف يـا غـارةَ اللـه يـا اهْـلَ العقـولْ | حجـــاجنا اليـــومْ ســـاروا قتـــولْ
ســـاروا مقاتيـــلْ بتلـــكَ الســـهولْ | غُرَبَـــا مســـاكينْ ومـــاذا نقـــولْ

---

(١) القصيدة بحوزة العقيد عبدالوهاب الهندي. وكتب كاتبها في آخرها ما نصه: "بعناية الأخ ضياء الإسلام والدين حمود بن حمود إسحاق ، وكان رقمها يوم الثلوث في شهر محرم ١٣٤٢هـ ، وكان التمام من رقمها يوم الربوع ٢٣ محرّم سنة ١٣٤٢ ، نسأل الله يحسن لنا وللمؤمنين الختام. كاتبها: يحيى أحمد ... ".

كيفَ عادٌ سلا لا وكيف الحلالْ | يا الله العونَ بَكٌ يا وثيقَ الحبِالْ
يقولٌ عليٌ أحمدٌ جبلٌ في القصيدٌ | أمسيت ساهرٌ وعقلي بليدٌ
مِن علمٌ أغضبٌ جميع العبيدٌ | فابن جبل ليس عاده يريد
دون الشهادة واسير بروس النبال | يا الله العونَ بَكٌ يا وثيقَ الحبِالْ
ضاقت الأرضٌ من قتلةِ أهْلِ الحجاز | التقاهم عدو الإله للبراز
واشبع الذيب لحما وعجزا وباز | ثم نادى يقول النجاز النجاز
قاتلوا كل حجٍّ وقتله حلال | يا الله العونَ بَكٌ يا وثيقَ الحبِالْ
لمت عليهم الف متسلحة بالخيول | كأنِّهم في العوارض مثل السيول
مردفين الرواحل وفوق الذلول | والخيول الصواهل تشل العقول
إملَتِ الحيدٌ والسايلهٌ والرمال | يا الله العونَ بَكٌ يا وثيقَ الحبِالْ
جمعوا قوم من برِّها والبحار | والبداوه لي عامدين في القفار
وعلى الوفد ذي هم غريبين ديار | أذي ما معاهم بتلك البلاد اختبار
لا ولا قومٌ متسلحهٌ للقتالْ | يا الله العونَ بَكٌ يا وثيقَ الحبِالْ
يقولٌ عليٌ احْمَدٌ حسين يا رشود | أمسيت ساهر حزين الكبود
حجاجنا اليوم ساروا فيود | شاهد الموت منهم بأرض النجود
ساروا لحوماً مقطع وصال | يا الله العونَ بَكٌ يا وثيقَ الحبِالْ
أمسيت في الليل باكيٌ حزينٌ | ودمعي على الخد مثل الزنينٌ
والقلب ضايق وفيه الحنينٌ | يا عين ابكي بُكا كل حين

علـى مـن بنجـدٍ وتـاك الرمـالْ ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ

قـد بكـت الجـن الـذي في الحيـودْ ... وبِكْيَـتْ وحـاشٍ بكـلٍّ الـردودْ

ثم بكيَـتْ أطيـارْ وادي زرود ... مـنَ أفْعـالْ عبـد العزيز السـعود

البـاغيَ الكلـب ابـن الضـلال ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ

كيـف حجـاجْ قتّلوهمُـو وُحَـدا ... كتـب اللـهْ لهُـمْ أنهُـمْ شـهدا

والشـقيين صـاروا مـنّهم سُـعدا ... ويـوم نلقـى محمـد ومـدّ اليـدا

ثم يمحـي لـهُ اللـهْ كـلَّ الفعـال ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ

ألـف طوبى لحجـاجنا المسلـمين ... ولربنـا الأمـر في الظـالمين

قاتـل اللـهْ نجـداً في العـالمين ... يصـبحوا الكـل في دارهـم جـاثمين

شـرّدَ اللـه إجمـاعهم بالوبـال ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ

يـا إلـه السـماوات أنـتَ الـودود ... اجعل اصْحَابْ نجدٍ كما قوم هود

وكـبيراً لهـم مثـل فرعـونْ يعـود ... ذي أورد القـوم النـار بئس الـورود

أهلـك اللـهْ أطفـالهم والرجـال ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ

فكيـف يرضـيكْ يـا رب فعـلا ردي ... في عبـادك مـن البـاغي المعتـدي

وهـم ضـيفانْ عنـدكْ وكـم وافـدي ... فـارقَ اهلَـهْ وفي طاعتـكْ قاصـدي

واحتـرمْ سـعي بيتـك بهـذا الفعـال ... يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ

فـأين الاسـلام من شـامها واليمـن ... أين من كـان يعـرف شـروح السـنن

أيـن قـوم يعـدون طـود المحـن ... أيـن أهـل المهـاري وهجـم الـزمن

أيـن صـبيان ذي يطعنـوا بالنصـال
يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

أيها النـاس مـن كـان حامـل سـلاح
حامُوَا الـدين يـا اهـل العقـول الـرزاح

جاهـدوا بعـد هـذا قـدِ النصـر لاح
ارجعـوا اللـه وفي حـب سـيد المـلاح

ومـن توكّـل علـى اللـه نـال السـؤال
يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

أيهــا النـــاس مـــا هـــذه الخاتمـــه
القيامـــــه بـــــذا وقتنــــا قائمـــــه

والحـوايم علـى المسـلـمين حايمـه
والجنايــات في الــدين متلاحمــه

وكــثير مـــن النـــاس عنـــده مقـــال
يـا اللـه العـون بـك يـا وثيـق الحبـال

واسألك تنصـر المَـام[1] نصـرا عزيـزْ
ذي حمـى ديـن الاسـلام مـن الإنقليـز

ومـن الكفـر واصـحاب عبـدالعزيز
واجعـلِ اعْـداه مـا تصـبحِ الَّـا هزيـز

وجميـع مـا معاهـم يصـير بيـت مـال
يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

يــا جميــع العــوالم مــن المسـلمين
شـبوا الحـرب لكـن بذمـة وديـن

واجمعـوا قـوم تعـدو علـى البـاغيين
وســـلام علـــى نـــوح في العـــالمين

ذي دعا دعوة الحق من ضيق حال
يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

ما ظهر لي من ابن السعود إيش به
مظهـر الـدين والكفـر في مذهبـه

قــــربْ للّه أمــــا الــــنبي كذَّبِــــه
فبهــــذا أرى لعنتــــه واجبــــه

وِانْ قلنــا نوقّـِـفْ فقــد هــو محــال
يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبِـالْ

---

(١) أي الإمام.

لــو كــان معنــا للحــرب آلــه وزاد	والبنــادق مــع الجبخانــه[1] وجــاد
لكــان نســافر بأنفســنا للجهــاد	ونحمــي الــدين طاعــة لــرب العبــاد
ثم نعــدي لفيــد الخيــول والجمــال	يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
لكـن إذا نوينـا نجاهـد وقلنـا قيـام	ردنــا البعــد عنــهم وأمــر الإمــام
حيـث فيهـا رهـائن واسـم النظـام	والمعاشـات قلّـت وصـرف الطعـام
لا ولا بـه مـع النـاس شـي بيـت مـال	يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
سـافر القلـب مـا عـاد لهـا الا الغـروم	وعلــى اللّه قصــد الســبيل والقــدوم
يــا لهــا مــن شــهادة وعــزٍّ يــدوم	لـو لـي جنـاح لا اشـد بـين النجـوم
واقطـع البعـد يـوم المراحـل طـوال	يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
فمـن يريـد الشـهادة يجاهـد بـلاش	يطلـــب الا ذره وقـــل المعـــاش
ثم يرضي بها اللّه ومن عـاش عـاش	ومــع النــاس الى نجــد ليلــه ولاش
وخـــذوها نهـــار اللقـــا والـــزوال	يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
يقـول بـن جبـل النـاظم المعتـني	يـــا بـــديع الســـماوات لاطفْـــتَني
واعـفُ عـني بمـا قـال بـه ملقـني	وإلى الخـــير يـــا رب دليـــتَني
واحمـني مـن جهـنم ويـوم الشـعال	يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
يـا اللـه اليـوم يـا مـن يـدك قـادره	ولـــك أعيـــان يـــا ربنـــا نـــاظره
أنـــت عـــالم بســـرّي وبالظـــاهره	ظـني الخـير فيـكَ اطّلُـب المغفـره
فـاعف عنّـي إذا قـد ذنـوبي ثقـال	يـا اللـه العـونَ بَـكْ يـا وثيـقَ الحبـالْ
وتاريخهـــا اثـــنين بعـــد اربعـــين	داخـل الحجـةَ العلـم ذا بـاليقين

(١) مخزن لعدة وأدوات الحرب. والوجاد: أي كثيرة.

بأرض أهل الحجاز كان في المسلمين	وضبط القراش لموا الكافرين
واعتدوا القوم أهل الكذب والضلال	يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ
والصلاة تبلغ الطهر ثم السلام	تبلغ أحمد وآله نجوم الظلام
كلما ناح في الجو طير الحمام	وعلى الصحب والتابعين الكرام
والمع كل بارق وما المزن سال	يا الله العونَ بَكْ يا وثيقَ الحبالْ

٣- قصيدة: في القفار مجندلينا[١]

وهي قصيدة رائعة تعكس رأيَ عمومِ الناس تجاه تلك المجزرة، ومدى حزنهم وأساهم على شهدائها، ومدى استعدادهم للاقتصاص من المجرمين، ونظرتهم للإمام وعماله، تقول القصيدة:

ونبدعْ بالذي له اسمْ قاهرْ	ورافعْ للسما واحنا رجينا
خلقْ للعبد أشيا من فواكهْ	وإحنا مخطئين ومذنبينا
واثنِّي بالرسولْ طه محمدْ	ختام الأنبيا والمرسلينا
وعاد الحيدرهْ هو وإبن عمه	فكم أفنى من الجيش اللعينا
ضرب بالسيف يمنا ثم يسرا	وقال يا ذا الفقار مالك ثخينا
وفي الجنة ونسكن في رضاهم	بنات الحور هي بالواصلينا

(١) هذه القصيدة، حصلت عليها من السيد العلامة يحيى محمد جحاف، وهو صوّرها من أصل موجود لدى الأخ محمد يحيى قحطان، من أهالي بيت قدم، مديرية شرس، محافظة حجة، كان والده ينشدها في المناسبات بلحنٍ شجي، ذكر كاتبها في نهايتها أنها "قيلت من شاعر مجهول في شهداء ساق الغراب، الذين قتلهم غزاة الدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود، وإمام اليمن يحيى حميد الدين، وذكر أنها كتبها بتاريخ ٢٤ ... ".

ألا يــا ملقِـنـي مــا لــك تتــهجرٌ — وخلـــق اللّه قـــد هــــم راقـــدينا

وجــوب لـي وقــال الحــس ضــائع — وشــــد النـــــوم وادَّاهـــا يمينـــا

علـى الحجـاج لـي سـاروا شـهاداتٌ — وفي سـاق الغـراب حـن الحنينــا

عـــدو اللّه أخـــذهم بالـــدهايات — وهـــم في جيـــل وادي طارحينـــا

فيـا غـبني علـى شـيبه وشـبان — وســـاروا في الـــبلاد مســـتغربينا

ولا بكفـــن ولا بـــه قـــبر مفتـــوح — ولكـــن في القفـــار مجنـــدلينا

ألا يـا مـن رسـولٌ هـذي الكتابـات — يبلغهــــا إلـى مــــن يقربونــــا

اوْصَـلْ صـنعاءَ وانشِـدْ مـن محلـي — وهــــو شــــق الجبـــل ....؟؟[1]

وبلِّغهـــم ســـلامي مـــعْ تحيـــاتْ — وريـــح المســـك لأهـــلٍ أجمعينـــا

يســـلِّم لـــك معاشـــكْ لا تحيَّـــر — والايـــام عنـــدنا مثـــل الســـنينا

ومـن أرضِ الطعـام وحـث الاقـدام — وتلقـــى ذا العلـــوم في الجبينـــا

وطـيرٌ اخْضَـرْ وصـوته بـا ينـادي — ملـــكْ مـــن عنـــد ربِّ العالمينـــا

وزمـزم والحـرم والـركن الازحـم — ملائكـــة الســـما مســـتتكرينا

حمـام مكـهْ تقُـلْ يـا فقـد قلـبي — ويـا دمـع اهملـي مثـل الزنينـا

لنـا عهـدٌ مـن الحـج اليمـاني — وفي هـذي السـنه مـا زد رأينـا

جبل عرفـات تقـل يـا شـمس قيفـي — وعـاد اهـل الحجـاز متخرِّينـا

فـأينِ اهـل العقـول وأهـل فكـرٍ — يقولـــون يـــا إمـــام المســـلمينا

(١) لم تتضح العبارة الأخيرة في هذا البيت.

وأين حاشدٌ وخولانٍ وأرضٌ سنحان وقــالوا في خَمِــر متجمّعينـــا
وأيـن أرحـبٌ وهمـدانٌ ثم سـفيانٌ وســاروا في حمــى اللّه المــعينا
فيــا مــولاي لا تبخـــل علينـــا بيــوت المـــال كلّوهـــا الفارغينـــا
مــع العمـــال صـــاياتٌ ثم جيخـــانٌ وكـــانوا في المنــــازل قاعـــدينا
يجـيهمٌ ألضـعيف يشـكي ويبكـي يقولـــون يـــا خـــبير متعـــذرينا
وإن جـاء الغـني قـالوا لـه ادخـلٌ ودعـــواك والشـــهود محضـــرينا
ونخــتم بالصـــلاة علــى محمـــد ختـــام الأنبيـــا والمرســـلينا

الخاتمة: الاستنتاجات والتوصيات

توصَّل الباحث بعد التطواف في هذا البحث إلى التالي:

-أن ما يحدث اليوم من السعودية ضد اليمن ليس كما يتوهمه البعض نتيجة عدوانٍ استجدّ، أو رغبةٍ عدائية طارئة، بل لم يعرف اليمنيون النجديين من أول يوم إلا وهم يعتدون على هذا الشعب، ويوجِّهون إليه مجازرهم في مجزرة تنومة، ثم بعدها حينا بالحرب الباردة، أو الهيمنة، وحينا بالحرب الساخنة، والمجازر المروِّعة.

-أن اليمن في الفترة من عام ١٩١٨م إلى ١٩٢٣م كانت أهمَّ وأخطرَ فترة في تاريخها المعاصر. وأن ابن سعود كان حليفَ بريطانيا المفضَّل، وأنه كان الحاكم العربي الوحيد الذي يقبض إعاناته الشهرية من الإيرادات الامبراطورية البريطانية بالإضافة إلى الأسلحة والذخائر، وأنه هو من أسَّس هِجَر الإخوان التكفيريين ومنها هجرة الغُطغُط، التي تورط أتباعها في قتل حجاج تنومة وسدوان.

-وقعَتِ المجزرةُ في ظهر يوم الأحد ١٧ ذي القعدة ١٣٤١هـ الموافق ١ يوليو ١٩٢٣م، وكان الحجاج قد نزلوا على ثلاث فرق، الفرقة

الأولى في تنومة، والثانية والثالثة في سدوان، وأن جملة من الأسباب السياسية والعقائدية والاقتصادية كانت وراء الحادث، وأنها مجزرة دُبِّر أمرُها بليلٍ شيطانيٍّ مشؤوم، وأن ابن سعود وحده هو الشخص الذي يمكنه اتخاذُ قرار بذلك الحجم وتلك الخطورة، وأن هناك دلائلَ وأماراتٍ ترجِّح أنه العقل المدبِّر لتلك المجزرة، وأن تظاهره بالبراءة منها كان مشهدا من مشاهد مسرحية قرن الشيطان.

- اقتضت الخِطة الشيطانية النجدية إيجادَ طرف ثالث يتولَّى المجزرة في كمينٍ ينقض على الحجاج يتحمل في الظاهر وِزْرَ قتلهم، وتبين أن سلوكات داعش والقاعدة كانت حاضرة فيها، فعدد مَنْ ذبحتهم سكاكين الإخوان الوهابيين كانوا حوالي ٩٠٠ شهيد، وقتلوا النساء والكهول، وأن عدد الشهداء أكثر من ٣٠٠٠ شهيد، ينتمون لمختلف فئات وأماكن اليمن، وأنه لم ينج منهم إلا من تظاهر بالموت وانغمس بين الدماء، أو أمكنه الفرار عند بداية الهجوم، وهم حوالي ٥٠٠ شخص، ١٥٠ شخصا منهم بقيادة أمير الحج صمموا على مواصلة السفر للحج في ذلك العام عن طريق تهامة، وعاد البقية إلى اليمن.

- وضعت تلك المجزرة الإمام يحيى في وضعٍ صعب لا يُحْسَدُ

عليه، وترجح للباحث أن خيار المواجهة السلمية السياسية والقضائية الذي سلكه كان رهانا خاسرا، وأنه بذلك حُرِمَ من شرَفِ التصدي العسكري لأخطرِ مشروعٍ منتحِل للإسلام، كما لا يُعفَى من المسؤولية أولئك الطامحون والمتمردون، وأولئك المرتزِقة الذين فضلوا حكْمَ الإنجليز على حكم الإمام يحيى، والذين فرّ بعضهم إلى ابن سعود لمساعدتهم ضده.

- أشعلت تلك المجزرة الغضبَ الشديدَ في قلوبِ اليمنيين؛ ولذلك عبَّروا رسميا وشعبيا عن استعدادِهم للاقتصاص من القتلة أينما كانوا، كما أدّت المماطلة من ابن سعود في الإنصاف بالإضافة إلى ملف عسير ونجران وجيزان إلى توتُّرِ العلاقات السياسية بين الطرفين، ثم إلى اشتعالِ حرب ١٩٣٤م.

-تبين أن قضية الحجاج ظلت مطروحة طوال المسار التفاوضي بين الإمام يحيى وابن سعود قبل الحرب، وأن الأخير كان يلاين الجانب اليمني في أول الأمر، لكنه ما إن قوي موقفُه العسكري والسياسي والاقتصادي حتى كشف عن حقيقة موقفه الرافض لتعويض الحجاج أو دفع دياتهم، ولعل ذلك كان لإبقاء طابع التوحش والقسوة الذي حققته المجزرة في وعي اليمنيين، ولإظهار الإمام يحيى أيضا بمظهر الضعيفِ المتسوِّل، أكثر من

أي دافع مادي آخر.

-وظهر أن معاهدة الطائف إنما أقرَّت بشأن تعويض الحجاج واقعاً مفروضاً بالقوة العسكرية، وهو أن لا علاقة لابن سعود بهذه المجزرة، وأنه لا تلزمه أية تبعة؛ ولهذا لم تتناول المجزرة بأي ذكر.

-وظهر أن محاولة الاقتصاص من قبل الفدائيين من آل الحاضري كانت تعبيرا شعبياً عفوياً عن السخط والإحباط والشعور بالغبن الشديد، وترجَّح أن علاقة ابن سعود ببريطانيا وموافقته لها في جعل فلسطين وطنا لليهود كان أحد الدوافع لهم إلى محاولة اغتياله.

وعليه يوصي الباحث بـ:

-إجراء مزيدٍ من الدراسات حول العلاقة بين اليمن والنظام النجدي، وكشف المزيد من الحقائق حول تلك المجزرة، وتداعياتها، من خلال الوثائق، وتوثيق الروايات الشفهية والمتناثرة، وتراجم شهداء المجزرة والناجين منها، وأن يكون بُعْد مفهومِ قرن الشيطان وعلاقة دولِ الاستكبار حاضرا فيها.

- اشتمال المناهج التربوية على مظلومية تلك المجزرة ومجازر العدوان السعودي الأمريكي القائم، مقرونة بذكر الانتصارات

التي حققها اليمنيون من الجيش واللجان الشعبية.

- أن تكون مجزرة تنومة ومجازر هذا العدوان القائم ضمن مفردات حملة التعبئة الجهادية وإثارة السخط والتحريض ضد المعتدين، واعتبارها دَيْنًا على رقابنا يلزمنا أداؤه بالانتصار الفاعل على هذا العدو الغاشم.

- أن تتولى الدولة تهيئة الظروف المختلفة لرفع الدعاوى القضائية ضد المعتدين أمام المحاكم الدولية، بشأن ضحايا مجزرة تنومة وتعويضاتهم ودياتهم، مثلها مثل جرائم العدوان القائم اليوم.

- أن يتم التوثيق - بشكل يومي وطبقا لمقاييس الموثوقية القانونية والحقوقية والتاريخية - لكل أحداث وجرائم هذا العدوان السعودي الأمريكي القائم، وحفظ ذلك وأرشفته في المؤسسات الرسمية والأهلية ذات العلاقة، وعلى شبكة النت، وتمكين الباحثين من الوصول إليها والإفادة منها.

- أن يعادَ طرحُ موضوعِ تعويضاتِ شهداء تنومة في أية مفاوضات قد تنشأ بين اليمن والسعوديين، باعتباره لا زال ملفا مفتوحا لم تحسمه معاهدة الطائف، مع ملاحظة أن الأهم فيه ليس هو الجانب المادي وإنما ما يترتب عليه من الجانب المعنوي من إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، ورفع الظلامة التاريخية، وتمتين

الذاكرة الوطنية، وغير ذلك.

- أن يراعى في أية علاقة مستقبلية بين اليمن الإيماني، ونظام نجد الشيطاني بُعّد أنه (قرن الشيطان)، وعليه فيجب التعاون مع جميع علماء وشعوب الأمة الإسلامية المتضررين منه، واستمرار الإعداد للمنازلة الشاملة حتى إسقاطه، ومساعدة شعب الجزيرة العربية في اختيار نظامه العادل؛ لأن بقاءه شكَّل ويشكل خطرا قائما على الإنسانية عموما وعلى شعب الجزيرة وأهل اليمن خصوصاً.

المصادر والمراجع

١- الإرياني، يحيى بن محمد (ت١٣٦٢هـ)، هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين، ط١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مطبعة العلم، دمشق، مقدمة ولد المؤلف الرئيس الأسبق عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، التي كتبها في عام ١٩٧٦م.

٢- الأكوع، إسماعيل بن علي، دروب الحج طريق الحاج اليمني، منازل الحاج اليمني إلى مكة، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء.

٣- الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٤- جبل، علي أحمد حسين، قصيدة: يا الله العون بك يا وثيق الحبال، كتبت بعناية حمود بن حمود إسحاق ، وكان رقمها يوم الثلوث في شهر محرم ١٣٤٢هـ ، وكان التمام من رقمها يوم الربوع ٢٣ محرّم سنة ١٣٤٢بخط يحيى أحمد.

٥- ابن جبير، محمد بن أحمد، الكناني الأندلسي، (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.

٦- الجرافي، أحمد بن أحمد بن محمد (ت بعد١٣٩٧هـ)، تعليقة

عن المجزرة، كتبها بتاريخ محرم ١٣٤٢هـ على حامية كتاب ديوان المتنبي، موجود في مكتبة مركز بدر العلمي.

٧- الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ط٢، ١٩٨٤م، مؤسسة دار الكتاب الحديث.

٨- جريدة القبلة، العدد ٧٠٣، ٢٧ ذي القعدة، ١٣٤١هـ/ ١٢ يوليو، ١٩٢٣م، والعدد ٧٠٥، الخميس ٥ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ١٩ يوليو ١٩٢٣م.

٩- الحاضري، صالح علي الهجام (ت١٣٥٣هـ)، مذكرات عن نسب أسرته، وبعض أحداثهم التاريخية، نسخة مصورة لدي.

١٠- الحاكم، محمد أحمد الحاكم، إفادة أملاها علي بتاريخ ذي القعدة ١٤٣٧هـ.

١١- حبيب، جون، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله بن مصلح النفيعي، ط١٩٩٦م

١٢- حجر، عبدالرقيب مطهر، إفادة شفهية، بتاريخ ٢١ ذي الحجة ١٤٣٨هـ.

١٣- حمادي، عبدالله بن أحمد بن حمادي التركي، إفادة مكتوبة، بتاريخ ١٤٣٧هـ.

١٤- حميد الدين، أحمد بن عبدالملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين، ترجمة قصيرة لعمه الشهيد يحيى بن أحمد بن

قاسم، كتبتها عنه في عام ٢٠١٧م.

١٥- حميد الدين، أحمد بن محمد بن الحسين، الإمام الشهيد يحيى حميد الدين، دار المعارف.

١٦- الخطيب، محمد عوض، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

١٧- دلال، عبدالواحد محمد راغب، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، القاهرة.

١٨- دلال، عبدالواحد محمد راغب، مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية (دراسة نقدية)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، القاهرة.

١٩- الذاري، علي بن محمد بن يحيى الذاري، إفادة أملاها علي في ١٨ شعبان، ١٤٣٦هـ.

٢٠- الذاري، يحيى بن علي (ت١٣٦٤هـ)، عقود الدراري (ديوان شعره)، مخطوط لدى حفيده الأستاذ علي بن محمد الذاري.

٢١- الراجعي، حمود علي، إفادة شفهية كتبتها عنه في ذي القعدة ١٤٣٨هـ

٢٢- أبو الرجال، علي بن أحمد، رواية شفهية، كتبتها عنه بتاريخ ١٣/ ٩/ ٢٠١٧م.

٢٣- الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ط٦، ١٩٨٨م، دار

الجيل، بيروت تاريخ نجد الحديث.

٢٤- الريحاني، أمين، ملوك العرب، ط٨، ١٩٨٧م، دار الجيل، بيروت.

٢٥- زبارة، محمد بن محمد بن يحيى (ت١٣٨٠هـ)، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ج٣، بخط ولده السيد العلامة أحمد بن محمد زبارة رحمه الله، انتهى منه في ١١ رمضان، ١٤٠٤هـ، ج٤، انتهى من رقمها في شوال، ١٤٠٤هـ (نسخة خطية في المركز الوطني للمعلومات).

٢٦- زبارة، محمد بن محمد بن يحيى (ت١٣٨٠هـ)، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٢٧- الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط٥، ١٩٨٨م، دار العلم للملايين-بيروت.

٢٨- آل زلفة، محمد بن عبدالله، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، الرياض.

٢٩- سالم، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى، ط٤، ١٩٩٣م، القاهرة، دار الأمين.

٣٠- سالم، سيد مصطفى، مراحل العلاقات اليمنية السعودية (١١٥٨-١٣٥٣هـ/ ١٧٥٤-١٩٣٤م)، خلفية وحوارات تاريخية،

ط١، ٢٠٠٣م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٣١- سهيل، محمد أحمد، من صعدة، إفادة أرسل بها لي في عام ٢٠١٤م.

٣٢- السياغي، الحسين بن أحمد (ت١٤١٠هـ)، أصول المذهب الزيدي اليمني وقواعده، ط١٤٠٣هـ.

٣٣- شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

٣٤- شرف الدين، محمد بن عبدالله (ت١٣٩٣هـ)، تعليقة على كتاب تاريخ اليمن للواسعي، موجود في مكتبة ولده السيد عبدالخالق شرف الدين.

٣٥- الشماحي، عبدالله عبدالوهاب، اليمن الإنسان والحضارة، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥، منشورات المدينة، بيروت.

٣٦- صبر، طارق عبدالله قائد، إفادة شفهية بتاريخ ٣/ ١٠/ ٢٠١٧م.

٣٧- صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ط١، ٢٠٠٧م، دار الساقي — بيروت.

٣٨- ابن عامر، قصيدة: يا الله العون بك يا وثيق الحبال، نسخة مصورة من نسخة السيد إسماعيل محمد عجلان النعمي.

٣٩- العاملي، محسن الأمين، كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، مؤسسة دار الكتاب

الإسلامي.

٤٠- العرشي، حسين بن أحمد (ت١٣٢٩هـ)، بلوغ المرام شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، والكتاب ابتدأ تأليفه القاضي العرشي، ووصل فيه إلى حوادث عام ١٩٠٠م، ثم أكمل حوادثه الأب أنستاس الكرملي وانتهى فيه إلى عام ١٣٥٨هـ، الموافق ١٩٣٩م.

٤١- العظم، نزيه مؤيد، رحلة في العربية السعيدة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، منشورات المدينة، بيروت.

٤٢- فايع ، حسن فايع محمد حسين ، إفادة شفهية ، بتاريخ ٤/ ١٠/ ٢٠١٧م).

٤٣- الفقي، محمد حامد، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب وغيرها، ط١٣٥٤هـ.

٤٤- الكحلاني، عباس علي حفظ الدين، إفادة شفهية، كتبتها عنه بتاريخ ذي القعدة ١٤٣٨هـ.

٤٥- مجلة المنار، مج٣٣، العدد ٧، شعبان ١٣٥٢هـ/ نوفمبر ١٩٣٣م؛ و مج٣٤، العدد١، محرم، ١٣٥٣هـ/ مايو ١٩٣٤م؛ ومج٣٤، العدد٢٢، صفر ١٣٥٣هـ/ يونيو ١٩٣٤م؛ ومج٣٤، العدد ٩، ذو الحجة ١٣٥٣هـ/ إبريل ١٩٣٥م.

٤٦- مجهول، (لعله للعلامة يحيى بن علي الذاري)، بحث

مفيد، ضمن مجموع فيه رسائل وأشعار العلامة يحيى بن علي الذاري، موجود في دار المخطوطات اليمنية، برقم٣٠٢١.

٤٧- مجهول (شاعر)، قصيدة في القفار مجندلينا، حصلت عليها من السيد العلامة يحيى محمد جحاف، صوّرها من أصل موجود لدى الأخ محمد يحيى قحطان، من بيت قدم، مديرية شرس، محافظة حجة.

٤٨- مطهر، عبد الكريم بن أحمد (ت١٣٦٦هـ)، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، تحقيق محمد عيسى صالحية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار البشير – عمَّان.

٤٩- منتديات تنومة على النت، على الرابط:
http://www.tanomah.net/vb/showthread.php?t=12122.

٥٠- المؤيدي، مجد الدين بن محمد، التحف شرح الزلف، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية، صنعاء.

٥١- الهاجري، يوسف، السعودية تبتلع اليمن، ط١، ١٩٨٨م، لندن.

٥٢- الهاشمي، محمد قاسم، إفادة شفهية، كتبتها عنه بتاريخ ذي الحجة، ١٤٣٨هـ.

٥٣- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى (ت١٣٧٩هـ)، تاريخ اليمن

المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط١٣٤٦هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

٥٤- الوجيه، عبدالرحمن محمد حمود، عسير في النزاع السعودي اليمني، (بدون بيانات).

٥٥- الوشلي، عبدالرحمن بن حمود، إفادة كتبها إلي بخطه الجميل، بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٤٣٦هـ - الموافق ٢/ ٦/ ٢٠١٥م.

٥٦- الوشلي، عبدالله عبدالله علي محمد محمد الوشلي، إفادة مكتوبة أرسل بها إلي، بتاريخ ٢٧ / ١٢/ ٢٠١٧م.

٥٧- Ingrams, Docreen, and Ingrams, Leila, RECORDS OF YEMEN, 1798-1960, VOLUME 6, 1914-1923, E 1993.

مُحتويات الكتاب

أيَمْنَعُ وفدَ اللهِ عن حجِّ بيته
ويقتلُهمْ كلبُ الجحيمِ تعمُّدا

ويَذْبَحُ أولادَ النبيِّ وحزبَه
ويطرحُهمْ للذيب والنَّسر والحِدا

وهم – يا دفاعَ الله – ما بين قانتٍ
مُلَبٍّ ومَنْ أمسى لذي العرشِ ساجدا

فيا ملةَ الإسلام قوموا بهمَّةٍ
على دينِكمْ ترقونَ مجداً وسُؤددا

وشنُّوا عليهمْ غارةً بعد غارةٍ
تحوزون فخراً في الزمان مخلَّدا

سلامٌ عليكمْ إن أخذتُمْ بثأرِكُمْ
وجرَّعتمو الأعداءَ غيظاً مؤبَّدا

ولا زلْتُمو للمجد أهلا ومعقِلاً
وللعز ركنا ثابت الأصلِ أسعدا

القاضي العلامة/ محمد أحمد الحجري

(ت : ١٣٨٠هـ)